المملكة العربية السعودية
جامعة ام القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية

أمهات المؤمنين
في ضوء الكتاب والسنة

رسالة مقدمة
لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية
في الكتاب والسنة

UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

إعداد الطالبة
فاطمة محمد راضي فيروز

اشراف
الدكتور محمد أبو النور الحديدي

بسم الله الرحمن الرحيم

"شكر وتقدير"

ان لمن واجب المرء الاعتراف بالفضل لمن أغاثه ، وهذا مايجعلني أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذى الفاضل الدكتور محمد أبو النور الحديدى الذى منحنى من وقته الكثير فى متابعته ورعايته لهذا البحث ماكان له الأثر الطيب فى اخراجه ، راجية من الله العلى القدير أن يجزيه خير الجزاء .

كما اتقدم بشكرى وتقديرى لكل من أستاذى الكريمين اللذين تفضلا وتكرما بالاسهام في مراجعة البحث ومناقشته وكل من ساعدني ومديد العون لي في انجاز هذا العمل ولم يبخل على بالنصح والارشاد . فلهم جميعا مني عظيم التقدير والامتنان ، وأسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الحمد لله نستعينه ونستهديه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلاهادى له .

والصلاة والسلام على نبى الرحمة ورسول الهدى محمد بن عبد الله وعلى آله وأزواجه وصحابته الطيبين الطاهرين وبعد :-

فهذه مقدمة تناولت فيها سبب اختيارى للموضوع ومنهجى فى البحث، أما سبب اختيارى للموضوع فكان لمعرفة ما اتصفت به أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن من أخلاق وآداب اسلامية عالية وماكن يفعلنه في حياتهن ولا سيما أنهن عاشرن رسول الله فتخلقن باخلاقه وتأدبن بآدابه وسلكن منهجه فى عباداته حتى صرن مثلا نادرا ونماذج مضيئة فيها الأسوة الحسنة فكم نحن في حاجة الى مثل هؤلاء وخصوصا فى عصرنا الحاضر ذلك أن الميدان النسائى قد غزاه شياطين الانس فافسدوا على المرأة المسلمة سلوكها وأصبحت بحاجة ماسة الى أن ترد الى رشدها وتعود الى أصالتها فلعلها تقتدى بهذه الشخصيات العظيمة وتتجنب التقليد الأعمى والتبعية الذليلة للغرب .

أما منهجي في البحث فقد جعلته في ثلاثة أبواب وخاتمة .

الباب الاول اشتمل على ثلاثة فصول .

الفصل الأول : في نظرة الاسلام الى الزواج " وتناولت فيه حث الاسلام على الزواج والترغيب فيه ونهيه عن التبتل والتنبيه على أنه مناف للفطرة ومخالف للدين الحنيف ، كما تناولت أيضا الحقوق والواجبات

الزوجية التى تقع على عاتق كل منهما ، فحقوق الزوجة على زوجها لخصتها في ثلاثة نقاط الصداق ، النفقة ، العدل ، وحقوق الزوج على زوجته جعلتها أيضا في ثلاثة نقاط ، الطاعة ، القرار في البيت ، التأديب ، ثم تناولت بعد ذلك الحقوق المشتركة بينهما وهى حل الاستمتاع ، حسن المعشرة ، ثبوت التوارث .

الفصل الثاني : في تعدد الزوجات في الاسلام بوجه عام .. وتطرقت فيه لموقف الاسلام من التعدد ومعالجته بعد أن كان يسوده الفوضى والاضطراب وأنه مع اباحته للتعدد الا أنه لم يحبذه وانما رخصه كوسيلة احتياطية يلجأ اليها عند الضرورة . كما تطرقت فيه أيضا لتأييد المستشرقين المنصفين في تعدد الزوجات في الاسلام . ومن هؤلاء المؤيدين للتعدد كبير كتاب أوربا مك فارلين والدكتورة آنى بيزانت - وغوستاف لوبون .

الفصل الثالث : في تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم على الخصوص . وبينت فيه أن زواجه صلى الله عليه وسلم من هذا العدد الكثير من النساء لم يكن اجابة لداعي الهوى أو اشباعا للناحية الفريزية وانما هى لحكمة عامة وأسباب خاصة كلها تدل على نبل المشاعر الانسانية التى اتصف بها رسول الله ، أما الحكمة العامة فتتمثل في سياسته الرشيدة لتربية الأمة الاسلامية بضرب المثل الكامل والقدوة الحسنة في معاشرة النساء بالمعروف والعدل بينهن لمن يضطر من المسلمين أن يعدد زوجاته . وأما الأسباب الخاصة فتتلخص في أربعة نقاط :-

١- تقوية أواصر المودة والمحبة بينه وبين أصحابه الذين سبقوا الى الايمان بما دعا اليه وتأبوا أنفسهم على نشر الدعوة الاسلامية .

٢- انشاء علاقات وروابط بينه وبين بعض قبائل العرب للتقرب اليهم وتأليف قلوبهم والتخفيف من شدة عداوتهم له .

٣- رحمته صلى الله عليه وسلم وشفقته بمن فارقهن أزواجهن سواء باستشهادهم في سبيل الله أو بعد ولهم عن الاسلام .

٤- سن تشريع لنظام المجتمع الاسلامي وذلك لا زالة بعض العادات الموروثة بينهم والتي كانت من العمق والقوة بحيث لا يحطمها الا فعل واقع من رسول الله .

أما الباب الثاني : فكان أوسع الأبواب وأهمها واشتمل على أحد عشر فصلا .

الفصل الأول : في ترجمة حياة السيدة خديجة رضى الله عنها " وتناولت في ترجمتها نسبها ، مولدها ، نشأتها ، أزواجها قبل رسول الله وأولادها منهم ، خروج النبى صلى الله عليه وسلم بتجارتها الى الشام ثم زواجه منها ، سنها عند الزواج ، أولادها من رسول الله ، موقفها عند بدء الوحى وأسلامها ، فضائلها ، خروجها الى الشعب ، وفاتها ، ومن ثم وفاءه صلى الله عليه وسلم لها بعد وفاتها .

الفصل الثاني : فى ترجمة حياة السيدة سودة رضى الله عنها " وتناولت في ترجمتها نسبها ، هجرتها الى الحبشة ، تأيمها من زوجها ثم زواجه صلى الله عليه وسلم منها ، مناقبها ، مروياتها ، ومن ثم وفاتها .

الفصل الثالث : في ترجمة حياة بنت الصديق السيدة عائشة رضى اللـــه عنها .. وتناولت في ترجمتها نسبها ، كنيتها ، مولدها ، زواجهــا ، سنها عند الزواج ، مكانتها عند رسول الله ، غيرتها ، حديث الافــك ، موقف المستشرقين من هذه الحادثة ، فضائلها ومناقبهـــا ، مروياتهـــا ، ومن ثم وفاتها .

الفصل الرابع : في ترجمة حياة بنت الفاروق السيدة حفصه رضى الله عنهــا وتناولت في ترجمتها نسبها ، مولدها ، تأيمها من زوجها ثم زواج الرسول منها ، اختلاف الروايات في طلاقها ، فصاحتها وبلاغتها وإرثهــــا الصحيفة بعد وفاة والدها ، موقفها من الفتنة التى حصلت في عهد الامام على رضى الله عنه ، مروياتها ، ومن ثم وفاتها .

الفصل الخامس : في ترجمة حياة أم المساكين السيدة زينب بنت خزيمـــة رضى الله عنها .. وتناولت في ترجمتها نسبها وم تلقب ، اختـــلاف الأقوال فيمن كان زوجها قبل رسول الله ثم زواجه صلى الله عليه وسلـــم منها ، ومن ثم وفاتها .

الفصل السادس : في ترجمة حياة بنت زاد الركب السيدة أم سلمـــة رضى الله عنها .. وتناولت في ترجمتها نسبها ، هجرتها مع زوجهـــا الى الحبشة والمدينة ومالقياه في أثناء هجرتهما الى المدينة من مأســـاة

عظيمة . أولادها من أبي سلمة وذكر نبذة مختصرة عن حياتهم ، تأيمهـا من أبي سلمة وزواج الرسول منها ، ماورد في خوفها من الله عز وجل وحبها لفعل الخير ، مسندها ، ومن ثم وفاتها .

الفصل السابع : في ترجمة حياة المزوجة بأمر الله السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وتناولت في ترجمتها نسبها ، زواجها ، نزول الحجاب صبيحة عرسها ، مناقبها مروياتها ، ومن ثم وفاتها .

الفصل الثامن : في ترجمة حياة سيدة بني المصطلق السيدة جويرية رضي الله عنها وتناولت في ترجمتها نسبها ، وقوعها في الاسر هي وكثير من قومها ، عتقها وزواج الرسول منها ، عبادتها وزهدها ، مروياتها ، ومن ثم وفاتها .

الفصل التاسع : في ترجمة حياة عقيلة بني النضير السيدة صفية بنت حيي رضي الله عنها وتناولت في ترجمتها نسبها ، وقوعها في السبي ، عتقها وزواج الرسول منها ، نزولها في بيت احد الصحابة ، افتخار زوجاته صلى الله عليه وسلم عليها ، مناقبها ، مروياتها ، ومن ثم وفاتها .

الفصل العاشر : في ترجمة حياة السيدة أم حبيبة بنت ابي سفيان رضي الله عنها وتناولت في ترجمتها نسبها ، مولدها ، هجرتها مع زوجها عبيد الله الى الحبشة وتنصره فيها ، زواجه صلى الله عليه وسلم منها ، اختلاف الاقوال في الذي عقد عليها وموضع العقد ، مناقبها ، مروياتها ، ومن ثم وفاتها .

الفصل الحادي عشر : في ترجمة حياة السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها وتناولت في ترجمتها نسبها ، ذكر اخواتها لابيها وامها ، اختلاف الاقوال فيمن كان زوجها قبل رسول الله ، زواجه صلى الله عليه وسلم منها واختلاف الروايات في هذا الزواج هل تزوجها وهو حلال او وهو محرم ؟ والتوفيق بينهما ، مروياتها ، ومن ثم وفاتها .

أما الباب الثالث : فقد اشتمل على ثلاثة فصول .

الفصل الأول : في الأمور التى عرضت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم الزوجية .. وتناولت فيه قصة شرب العسل في بيت احدى الزوجات وقصة تحريم مارية على نفسه .

الفصل الثاني : في مسألة النفقة وتناولت فيها ماترتب على هذه المشاكل من اعتزالهن شهرا ونزول آيتي التخيير ، ثم ذكرت التوجيهات الالاهية لنساء النبي ليكن قدوة للنساء المسلمات كما كان رسول الله قدوة للجميع .

الفصل الثالث : في الشبهات .. وتناولت فيها ما أثير حول زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب بنت جحش والرد عليها . وما أثير حول تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم عموما والرد عليها .

أما الخاتمة : فقد جعلتها تلخيصا للنتائج التى توصلت اليها من خلال البحث .

هذا وارجو من الله العلى القدير ان يجعل عملى هذا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يلهمنى فيه السداد ويبصرنى الصواب ويجنبنى الزلل فمنه تعالى ألتمس النور والهدى والتوفيق ، سبحانه عليه توكلت واليه أنيب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

.. .. ..

الباب الأول

وتحته فصول

الفصل الأول : نظرة الإسلام إلى الزواج .

الفصل الثانى : تعدد الزوجات فى الإسلام بوجه عام .

الفصل الثالث : تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم على الخصوص

الفصل الأول

" نظرة الاسلام الى الزواج "

الزواج نعمة من نعم الله تعالى على عباده ، وقد عرفته البشرية من أول عهدها بالحياة ، وهو الطريق الذى أختاره الله سبحانه وتعالى لتعمير الكون بالذرية ، ولهذا نرى الاسلام يحث على الزواج ويرغب فيه حتى أنه في بعض الأحوال يكون واجبا ، وماذلك الا لوقاية المجتمع الاسلامي وتطهيره من الرذيلة .

قال تعالى : " وأنكحوا (١) الأيامى منكم والصالحين (٢) من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم. (٣)

---

(١) حمل الجمهور الأمر هنا على الندب ، ودليلهم انه قد وجد أيامى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزوجوا ، ولم ينكر ذلك أحد عليهم ، فلو كان الأمر للوجوب لزوجهم .
قال السيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) ونحن نرى أن الأمر للوجوب لا بمعنى ان يجبر الامام الأيامى على الزواج ولكن بمعنى أنه يتعين اعانة الراغبين منهم في الزواج وتمكينهم من الاحصان ، بوصفه وسيلة من وسائل الوقاية العملية وتطهير المجتمع الاسلامى من الفاحشة وهو واجب ووسيلة الواجب واجبة " جـ ٤ ص ٢٥١٥ .

(٢) قال الشوكانى : وذكر سبحانه الصلاح في المماليك دون الأحرار لأن الغالب في الأحرار الصلاح بخلاف المماليك . فتح القدير جـ ٤ ص ٢٨ .

(٣) سورة النور آية رقم ٣٢ .

والأيامى جمع أيم ، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذى لا زوجة له ، وسواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحد منهما ، حكاه الجوهري عن أهل اللغة ، يقال رجل أيم وامرأة أيم ، (١)

وعبادكم بمعنى عبيدكم ، وهذا اللفظ غالبا مايستعمل في الأرقاء والمماليك ، ويكون بمعنى الخلائق اذا أضيف الى البارى عز وجل . كقوله تعالى " قل ياعبادى الذين أسرفوا على انفسهم .... "(٢) الآية (٣)

ومعنى الآية : كأنه يقول للجماعة المسلمة زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من الأحرار والحرائر من رجالكم ونسائكم ومن أهل الصلاح والأمانة من غلمانكم وجواريكم ، وان كانوا هؤلاء الذين تريدون تزويجهم أهل فاقة وفقر ، فلا ينبغي أن يكون الفقر حجر عثرة في الاقدام على الزواج فتمتنعوا عنه ، فالرزق بيد الله وقد تكفل الله باغنائهم ان هم اختاروا طريق العفة النظيف . قال عليه الصلاة والسلام : ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذى يريد الأداء ، والناكح الذى يريد العفاف (٤)

---

(١) تفسير ابن كثير . جـ ٥ ص ٩٤ .

(٢) سورة الزمر بعض آية رقم ٥٣ .

(٣) بتصرف من روائع البيان تفسير آيات الأحكام . للشيخ محمد على الصابوني جـ٢ ص ١٧٦ .

(٤) أخرجه الترمذى في ابواب فضائل الجهاد . المجلد (٣) ص ١٠٣ وقال هذا حديث حسن .
وابن ماجه في كتاب العتق . المجلد (٢) ٨٤١ ، ٨٤٢ . والامام احمد في مسنده جـ ٢ ص ٢٥١ . واللفظ للترمذى .

(والله واسع عليم) أي ذو سعة ، لا ينقص من سعة ملكه غنى من يغنيه من عباده عليم بمصالحهم فيعطيهم على قدر ذلك " (١)

وأما الذين لم يتيسر لهم الزواج لأسباب مالية ، فيأمرهم الله تعالى بالاجتهاد في طلب العفة وقمع الشهوة ، والابتعاد عن كل ماحرمه من الزنا وهتك الأعراض حتى يوسع عليهم ويرزقهم ويمكنهم من ذلك ، وهذا ما اشارت اليه الآية الكريمة فى قولة تعالى " وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضلة " (٢)

ثم بين لهم أن من خير مايعينهم على التشبث بالطهارة والعفه ، الصيام لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " يامعشر الشباب من أستطاع منكم الباءة (٣)

---

(١) اعتمدت في تفسير الآية على المراجع الآتيه ، فتح القدير ، في ظلال القرآن ، تفسير الراغى ، تاج التفاسير ، تفسير ابن كثير .
(٢) سورة النور بعض آية رقم ٣٣ "
(٣) الباءة في اللغة أصلها الجماع ثم قيل لعقد النكاح .
قال الامام النووى أختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين يرجعان الى معنى واحد ، أصحهما ان المراد معناها اللغوى وهو الجماع ، فتقديره من أستطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه وهى مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطيع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء .
والقول الثاني أن المراد هنا بالباءة مؤن النكاح ، سميت باسم مايلازمها ، وتقديره من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ، ومن لم يستطعها فليصم ليدفع شهوته والذى حمل القائلين بهذا على هذا أنهم قالوا قوله صلى الله عليه ومن لم يستطيع فعليه بالصوم قالوا والعاجز عن الجماع لا يحتاج الى الصوم لدفع الشهوة فوجب تأويل الباءة على المؤن . وأجاب الأولون بماقدمناه في القول الأول وهو أن تقديره من لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه وهو محتاج الى الجماع فعليه بالصوم . شرح النووى على صحيح مسلم جـ ٩ ص ١٧٣ .

فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء (١) (٢)

وقد نهى الاسلام عن التبتل أى الانقطاع عن الزواج وعن كل شأن من شئون الدنيا والانصراف الى العبادة فقط ، فيقوم الليل كله ، ويصوم الدهر، ولا يتزوج النساء ، ونبه الى أن ذلك مناف للفطرة ، ومخالف للدين الحنيف وأنه لا رهبانية في الاسلام ، وأنه عليه الصلاة والسلام كان أخشى الناس وأخوفهم وأتقاهم لله عز وجل ومع ذلك كان يصوم ويفطر ويصلى وينام ويتزوج النساء وبين أن من لم يسر على نهجه الكريم فليس له حق الانتساب اليه .

فعن أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : " جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (٣) ،
فقالوا : وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر .

---

(١) والوجاء كما وضحه الامام النووى هو بكسر الواو ، وهو رض الخصيتين ، والمراد به هنا أن الصوم يقطع الشهوة ويقطع شر المني كما يفعله الوجاء . نفس المصدر السابق ، والجزء والصفحة .
(٢) أخرجه مسلم في كتاب النكاح . المجلد (٢) الجزء ٤ ص ١٢٨ ، والترمذى في أبواب النكاح المجد (٢) ص ٢٧٣ . واللفظ لمسلم .
(٣) تقالوها : أى عدوها قليلة .

قال احدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبدا . وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر انا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، واصلى وأرقد ، واتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " (١)

والاسلام حين شرع الزواج جعل لكل من الزوجين حقوقا وواجبات ، فهناك حقوق للزوجة على زوجها ، وحقوق للزوج على زوجته ، وحقوق مشتركة بينهما .

١- حقوق الزوجة على زوجها :

وأما حقوق الزوجة على زوجها فتتمثل في ثلاثة نقاط :-

أولا الصداق : هو حق من حقوق الزوجة على زوجها ، ويثبت هذا بمقتضى العقد ، ولها أن تسقطه وتبرئ زوجها منه ان كان دينا لم تقبضه ، ولها أن تهبه له ان قبضته . وقد سماه القرآن صدقة ، قال تعالى " وآتوا النساء صدقاتهن (٢) نحلة (٣) (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح . المجلد (٣) الجزء (٦) ص ١١٦

(٢) صدقاتهن : جمع صدقة ومعناها مهورهن .

(٣) قال ابن زيد والنحلة في كلام العرب الواجب . وقال مقاتل وقتادة وابن جريج نحلة . أي فريضة . تفسير ابن كثير . ج (٢) ص ٢٠٢ .

(٤) سورة النساء بعض آية رقم (٤) .

فالخطاب في هذه الآية موجه للأزواج (١) يوضح لهم وجوب الصداق للمرأة ، وهو يساعدها في بناء بيتها وتجهيز نفسها وقد اعتاد عليه جميع الأمم حاضرها وماضيها . ويصح للزوج أن يقدمه كله عند انشاء العقد ويجوز له أن يقدم بعضه ويؤخر بعضه الى اجل معلوم حسب اتفاق الزوجين . وقد اختلف الفقهاء في الحد الأدنى للمهر فالبعض منهم حدده ومنهم المالكية والحنفية .

فالمالكية قالوا : أقل المهر ثلاثة دراهم من الفضة الخالصة من الغش . (٢) والحنفية قالوا : أقل المهر عشرة دراهم ، وهى تساوى في زماننا أربعين قرشا . (٣)

والبعض الآخر لم يحدده بل جعل كل مايصدق عليه اسم المال قل أو كثر يصح أن يكون مهرا ، وهذا مذهب الشافعية والحنابلة .

وليس هناك حد أعلى فيه باتفاق العلماء . قال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا يعقوب بن ابراهيم ، حدثنا ابى عن ابن اسحاق

---

(١) كذا في تاج التفاسير ، وقيل أنه موجه للأولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم .

(٢) كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، تأليف عبد الرحمن الجزيرى . المجلد (٤) ص ٩٦ .

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

حدثني محمد بن عبد الرحمن عن خالد بن سعيد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : أيها الناس ، ما اكثاركم في صداق النساء ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك ، ولو كان الاكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم اليها . فلا عرفن ما زاد رجل في صداق امرأة على اربعمائة درهم . قال : ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين ، نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم ، قال : نعم ، فقالت : أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال : وأي ذلك . فقالت أما سمعت الله يقول " وآتيتم احداهن قنطارا " الآية ؟ قال : فقال : اللهم غفرا ، كل الناس أفقه من عمر . ثم رجع فركب المنبر فقال : أيها الناس اني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب . قال أبو يعلى : واظنه قال : فمن طابت نفسه فليفعل " (١)

وليس معنى هذا أن الشريعة الاسلامية تدعوا الى المغالاة في المهور ، بل العكس من ذلك فانها تدعوا الى التيسير والاعتدال فيها حتى يقدم الناس على الزواج ، فيعم الخير ويزول الفساد . قال عليه الصلاة والسلام " أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا " (٢)

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٢٣٠ وأشار الى أن اسناده جيد قوى ،

(٢) اخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب النكاح . المجلد (٢) ص ١٧٨ ، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وكان عليه الصلاة والسلام الأسوة الحسنة لأمته ، إذ ان تساهله في صداق ابنته فاطمة رضى الله عنها لدليل واضح على رغبته في أن تشيع بين الناس روح السهولة واليسر . وكان صداقها رضى الله عنها درع حطمية . قال ابن عباس : لما تزوج على فاطمة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعطها شيئا .. قال : ماعندى شئ . قال : وأين درعك الحطمية (١) ؟ (٢)

ثانيا : النفقة : فهي حق من حقوقها ، وينبغي للزوج الالتزام به ، والنفقة على الزوجه واجبة بالكتاب والسنة ، وأما وجوبها بالكتاب فلقوله تعالى : وعلى المولود (٣) له رزقهن (٤) وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها "(٥)

---

(١) والحطمية معناها الى تحطم السيوف أى تكسرها . وقيل هي العريضة الثقيلة وقيل هى منسوبة الى قبيلة يقال لها حطمة وكانوا يعملون الدروع . وهذا أشبه الاقوال . حاشية السندى على سنن النسائي ج ٦ ص ١٣٠

(٢) أخرجه ابو داود في كتاب النكاح . المجلد (١) الجزء ٢ ص ٢٤٠ . والنسائي في كتاب النكاح . المجلد (٣) ج ٦ ص ١٣٠ . واللفظ لابى داود .

(٣) المولود له : أى الأب .

(٤) رزقهن : اى مؤنة الوالدات من الطعام . كذا في تاج التفاسير ج ١ ص ٤٥ .

(٥) سورة البقرة بعض آية رقم ٢٣٣ .

وقوله تعالى في سورة أخرى " اسكنوهن من حيث (١) سكنتم من وجدكم (٢) ولا تضاروهن (٣) لتضيقوا عليهن وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن " (٤)

وقوله تعالى " لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر (٥) عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها " (٦)

ففي هذه الآيات نلاحظ ان النفقة واجبة على الزوج سواء كان موسرا أو معسرا ولكن في حدود مقدرته المالية لان الله لا يكلف أحدا فوق طاقته .

وأما وجوبها بالسنة فلقوله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل " ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف " (٧)

---

(١) " اسكنوهن من حيث سكنتم : اى اسكنوهن من بعض مساكنكم . تفسير الجلالين ص ٧٤٣ .

(٢) " من وجدكم " : أى من وسعكم الذى تطيقونه . تاج التفاسير ج ٢ ص ٤١٢ .

(٣) ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن : أى المساكن فيحتجن الى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم . تفسير الجلالين " ٧٤٣ "

(٤) سورة الطلاق بعض آية رقم (٦) .

(٥) قدر : أى ضيق .

(٦) سورة الطلاق بعض آية رقم (٧) .

(٧) الحديث اخرجه مسلم في كتاب الحج . المجلد (٢) ج ٤ ص ٤١ . وابو داود في كتاب المناسك . المجلد (١) ج ٢ ص ١٨٢ . والامام احمد في مسنده من حديث عم ابى حرة الرقاشى ج ٥ ص ٧٢ . واللفظ لمسلم .

وقوله صلى الله عليه وسلم لهند بنت عتبة عندما شكت اليه زوجها ابا سفيان بأنه رجل شحيح ولا يعطيها مايكفيها وولدها الا ماأخذت منه وهو لا يعلم "خذى مايكفيك وولدك بالمعروف" (١) (٢)

ومن هنا رأى جمهور الفقهاء ان النفقة الزوجية واجبة على الزوج ، ولو كان فقيرا وكانت الزوجة غنية . ولا تكلف المرأة بشئ من النفقة مهما كانت موسرة ، ولا يحل شئ من مالها لزوجها الا برضاها ، وفي هذا يقول الله عز وجل في كتابه العزيز " فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا " (٣) اى ان وهبن لكم شيئا من صدقاتهن وكان ذلك عن طيب نفوسهن وخاطرهن غير مضطرين الى الهبة لسوء معاملتكم وشراسة خلقكم فخذوه وانفقوه حلالا طيبا .

وتكون الزوجة مستحقة للنفقة ، اذا أدت واجباتها الزوجية ، وتحرم منها اذا تمردت وضيعت المعنى المقصود من الحياة الزوجية ، ويتمثل هذا في نشوزها كأن تمنعه من المباشرة بغير مبرر ، أوتترك المنزل بغير عذر شرعى ، أو تمتنع من الإنتقال معه الي الجهة التى يريدها .

لأن النفقة انما وجبت للزوجة ببذلها نفسها ووقفها وقتها وجهدها على راحة الزوج واسعاده ومنحه ثمار الحياة الزوجية ، فاذا فاتت هذا عمدا فلم يلتزم بالانفاق ؟

---

(١) والمراد بالمعروف : القدر الذى عرف بالعادة أنه الكفاية .
(٢) اخرجه البخارى في كتاب النفقة . المجلد (٣) الجزء ٦ ص ١٩٣ .
(٣) سورة النساء بعض آية رقم (٤) .

انما يحمل عبء الصراع والكدح خارج البيت مقابل أن تهيئ له زوجته السعادة والأمن داخل البيت" (١)

فالنفقة اذا حق من حقوقها وعلى الزوج الالتزام به ولكن كما ذكرت في حدود مقدرته المالية .

ثالثا : العدل : وهو حق من حقوق الزوجة على زوجها ، فعليه أن يعدل في جميع تصرفاته ، لأن الحياة التي يسودها العدل والانصاف لا تولد الضغينة والحقد في القلوب ، ولا تترك للشيطان سبيلا للتفرقة .

والعدالة حق ثابت لا يتغير سواء كان متزوجا واحدة أو اكثر ، فاذا تعددت الزوجات فعليه أن يعدل بينهن في جميع الأمور التي يمكنه أن يعدل فيها ، ولاسيما الأمور الظاهرية ، ولا فرق في ذلك بين الغنية والفقيرة والجديدة والقديمة والجميلة والقبيحة ، وهذا ماأشارت اليه الآية الكريمة في قوله تعالى " فان خفتم الا تعدلوا فواحدة" (٢)

أما الأمور العاطفية التي لا سبيل للانسان الى التحكم فيها فعليه أن يراعي الله في ذلك ،فلا يميل كل الميل قال الله تعالى " ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما "(٣)

---

(١) الأسرة في الاسلام للدكتور مصطفى عبدالواحد ص ٥٧ .
(٢) سورة النساء بعض آية رقم (٣) .
(٣) سورة النساء آية رقم (١٢٩) .

فهذا النص القرآني يوضح لنا أن العدل بين الزوجات غير مستطاع اذ أنه لابد من التفاوت وميل القلب الى احدى الزوجات أكثر من الأخريات وهذا ميل لاحيلة للأزواج فيه والاسلام لا يحاسبهم على ذلك لأنه خارج عن اراداتهم .

ولكن هناك ماهو داخل تحت اراداتهم ، هناك العدل في المعاملة العدل في القسمة العدل في النفقة العدل في الحقوق الزوجية وهذا ماهم محاسبون عليه .

فاذا الميل المنهى عنه في الآية هو الميل في المعاملة الظاهرة والميل الذى يحرم الأخريات حقوقهن فلايكن زوجات ولا مطلقات .

" وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما " ان تصلحوا أموركم وتتقوا الله في جميع احوالكم يغفر لكم ماكان من ميل قلوبكم الى بعض النساء دون بعض "(١)

ثانيا : حقوق الزوج على زوجته .

وأما حقوق الزوج على زوجته فتتمثل ايضا في ثلاثة نقاط :-

أولا : الطاعة فعليها أن تطيعه في كل مايأمرها ، الا ماكان فيه معصية لله عز وجل ، فعليها ان تخالفه ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . روى " أن امرأة من الانصار زوجت ابنتهافتمعط (٢) شعر رأسها فجاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقالت ان زوجها

---

(١) اعتمدت في تفسير الآية على تفسير الجلالين وتفسير في ظلال القرآن .
(٢) تمعط : أى تناثر وانتتف من اصله .

أمرتني أن اصل في شعرها ، فقال : " لا انه قد لعن الموصلات " (١)
ومن طاعتها لزوجها أن لا تصوم تطوعا الا باذنه ؛ روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله علية وسلم قال : لا تصوم المرأة وبعلها شاهد (٢) الا بأذنه . (٣)
قال النووى : وهذا محمول على صوم التطوع والمندوب الذى ليس له زمن معين ، وذكر أن النهي للتحريم ، وسببه أن الزوج له حق الاستمتاع بها في كل يوم وحقه فيه واجب على الفور فلا يفوته بتطوع " (٤)

ومن طاعتها أيضا أن لا تنازعه الرأى حتى ولو كانت تعتقد أنها على صواب مالم يكن فى الأمر محذور شرعى ، وخضوعها له وتنازلها عن رأيها في الأمور العادية خير وأفضل لها ، لان تمسك كل منهما برأيه كثيرآ ماتنجم عنه المنازعات والمشاكل الاسرية التى قد تفضى الى الطلاق . والمرأة العاقلة قد تتوصل الى استجابة الزوج لرأيها اذا تركت العناد وسايرته بوفق ولين .
ومن طاعتها أيضا ان تجيبه اذا دعاها الى الفراش مالم يكن هناك عذر شرعى . (٥)

---

(١) اخرجه البخارى في باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية . المجلد (٣) الجزء ٦ ص ١٥٣ .
(٢) وبعلها شاهد أى حاضر مقيم معها في البلد .
(٣) اخرجه البخارى في كتاب النكاح . المجلد (٣) الجزء ٦ ص ١٥٠ وسلم في كتاب الزكاة . المجلد (٢) الجزء ٣ ص ٩١ . والترمذى في كتاب الصوم . المجلد (٢) ص ١٤٠ . وأبو داود في باب صوم المرأة بغير اذن زوجها المجلد (١) الجزء ٢ ص ٣٣٠ . واللفظ للبخارى .
(٤) بتصرف من شرح النووى على صحيح مسلم ج ٧ ص ١١٥ .
(٥) والعذر الشرعي كأن تكون حائضا او نفساء .

لما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه (١) فأبت ان تجئ لعنتها الملائكة حتى تصبح . (٢)

ثانيا : القرار في البيت : ومن حقه عليها ان تلزم بيتها وتقر فيه ولا تغادره الا باذنه فان أذن لها كان بها ، وعليها حينئذ أن تخرج محتشمة بثياب طويلة متطلبة البعد عن الأعين ، متحرية بقدر استطاعتها السير في الأماكن التى لا ازدحام فيها . لأن حجابها وتسترها دليل على حيائها وعفافها ومانع لاصحاب القلوب المريضة من التصدى لها بالأذى والكلام الرخيص . ومايفعله نساء اليوم فى خروجهن وهن عاريات الرؤس والصدور والوجوه والأيدى ولبسهن الملابس الضيقة التى تجسم أعضاءهن لهو معصية لله عز وجل ومخالفة لأمره ، لانه كشف للعورات ومواضع الزينة التى أمر الله بسترها .

---

(١) قال ابن أبي جمرة الظاهر أن الفراش كناية عن الجماع ، ويقويه قوله " الولد للفراش " أى لمن يطأ في الفراش ، والكناية عن الأشياء التى يستحي منها كثيرة فى القرآن والسنة ، قال : وظاهر الحديث اختصاص اللعن بما اذا وقع منها ذلك ليلا لقوله " حتى تصبح " وكأن السر تأكد ذلك الشأن في الليل وقوة الباعث عليه ، ولا يلزم من ذلك ان يجوز لها الامتناع في النهار ، وانما خص الليل بالذكر لانه المظنة لذلك .
فتح البارى جـ ٩ ص ٢٩٤ .

(٢) اخرجه البخارى في كتاب النكاح . المجلد (٣) الجزء ٦ ص ١٥٠ ، واخرجه الترمذى بلفظ " اذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وان كانت على التنور " في كتاب النكاح المجلد (٢) ص٣١٤ . وقال هذا حديث حسن غريب .
والتنور : الكانون يخبز فيه الخبز والمراد به الفرن ، والمعنى وان كانت في اهم اعمالها .

قال تعالى " يأيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنيـــن(١) عليهن من جلابيبهن (٢) ذلك أدنى أن يعرفن(٣) فلا يؤذين وكـــان الله غفورا رحيما " (٤)

فالآية نصت على الامر بالتحجب عند الخروج ، وخروجهن وهن بهذا الـزى يجعلهن فى مأمن من معاكسة الفساق .

وملازمة النساء لبيوتهن ورد ذكرها في القرآن قال تعالى " وقرن (٥) في بيوتكن " (٦)

---

(١) يدنين : يرخين ويسدلن .
(٢) الجلابيب واحدها جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار. تفسير المراغى . جـ ٢ ص ٣٦ .
(٣) يعرفن : يميزن أنهن حرات . تاج التفاسير جـ ٢ ص ٩٣
(٤) سورة الاحزاب آية رقم ٥٩ .
(٥) وقرن كما جاء تفسيرها في ظلال القرآن ، من وقر يقر . أى ثقـــل واستقر . ولا يفهم من الاستقرارية أن لا يبرحنها على الاطلاق . لمـــا روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرجت سودة بنت زمعة ليـــلا فرآها عمر فعرفها فقال انك والله ياسودة ماتخفين علينا فرجعت الـــى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له وهو في حجرتى يتعشى وأن في يده لعرقا فأنزل عليه فرفع عنه وهو يقول قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن " أخرجه البخارى في كتاب النكاح . المجلد ٣ جـ ٦ ص ١٥٩ ، ١٦٠ .
والعرق : هو عظم له لحم .
(٦) سورة الاحزاب بعض آية رقم ٣٣ .

والآية وان نصت على أن الخطاب موجه لأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن الا أنها شملت جميع النساء المؤمنات .

وفي الزامهن لبيوتهن ليس اهانة أو تحقير لهن ، أنما هو لحمايتهن وحماية أسرهن ، فخروجهن المتكرر وعلى الدوام لا يمكن ان يهيئن للبيت جوه وعطره ، كما لا يمكن ان يمنحن الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها .

كما أن على الزوجة ان تتجنب مواقع الشبهات فلا تسمح لأحد بالدخول في بيتها من غير اذنه الا ان كان الداخل ذا محرم لها .

وأما خدمتها للبيت فقد اختلفت الاقوال والآراء في الزامها ذكر بعضها الامام ابن حجر تعليقا على قصة السيدة فاطمة رضي الله عنها عندما ذهبت الى بيت ابيها تسأله ان يأتي لها بخادم يساعدها في أعمال بيتها فقال : " قال الطبري يؤخذ منه ان كل من كانت لها طاقة من النساء على خدمة بيتها ، في خبز أو طحن أو غير ذلك ، ان ذلك لا يلزم الزوج اذا كان معروفا أن مثلها يلي ذلك بنفسه . ووجه الأخذ أن فاطمة لما سألت اباها صلى الله عليه وسلم الخادم لم يأمر زوجها بأن يكفيها ذلك ، اما باخدامها خادما او باستئجار من يقوم بذلك او يتعاطى ذلك بنفسه ولو كانت كفاية ذلك الى على لأمره به .

وحكى ابن حبيب عن أصبغ وابن الماجشون عن مالك أن خدمة البيت تلزم المرأة ولو كانت الزوجة ذات قدر وشرف اذا كان الزوج معسرا .

قال : ولذلك ألزم النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بالخدمة الباطنة وعليا بالخدمة الظاهرة . وحكي ابن بطال أن بعض الشيوخ قال : لا نعلم

في شئ من الآثار أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى على فاطمة بالخدمة الباطنة ، وانما جرى الامر بينهم على ما تعارفوه من حسن العشرة وجميل الاخلاق ، وأما ان تجبر المرأة على شيء من الخدمة فلا أصل له ، بل الاجماع منعقد على أن على الزوج مؤنة الزوجة كلها .

ونقل الطحاوى الاجماع على أن الزوج ليس له اخراج خادم المرأة من بيته ، فدل على أنه يلزمه نفقة الخادم على حسب الحاجة اليه .
وقال الشافعي والكوفيون : يفرض لها ولخادمها النفقة اذا كانت ممن تخدم .
وقال مالك والليث ومحمد بن الحسن : يفرض لها ولخادمها اذا كانت خطيرة،(١)
وشذ أهل الظاهر فقالوا ليس على الزوج أن يخدمها ولو كانت بنت الخليفة .
وحجة الجماعة قوله تعالى " وعاشروهن بالمعروف" واذا أحتاجت الى من يخدمها فأمتنع لم يعاشرها بالمعروف" (٢)
ثم رجح (٣) حمل الأمر في ذلك على عوائد البلاد .

وقصة السيدة فاطمة رضي الله عنها رواها البخارى في صحيحه عن على أن فاطمة عليها السلام أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو اليه ما تلقى في يدها من الرحى (٤) وبلغها أنه جاءه رقيق فلم تصادفه (٥) فذكرت ذلك

---

(١) اذا كانت خطيرة : أى ذات جاه وحسب .
(٢) فتح البارى ج ٩ ص ٥٠٦ ، ٥٠٧
(٣) ابن حجر .
(٤) الرحى : هي آلة الطحن .
(٥) فلم تصادفه : أى لم تجده .

لعائشة قلما جاء أخبرته عائشة قال فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا (١) فذهبنا نقوم فقال عَلىَ مكانكما (٢) فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت بَرْدَ قَدَمَيْهِ على بطني فقال الا أدلكما على خير مما سألتما اذا أخذتما مضاجعكما أو اويتما الى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين فهو خير لكما من خادم" (٣)

ولم تكن رضي الله عنها الوحيدة من بين الصحابيات اللاتي كن يقمن بخدمة بيوتهن ورعاية ازواجهن ، فهذه أسماء (٤) بنت ابي بكر الصديق رضي

---

(١) وقوله " وقد اخذنا مضاجعنا " أى أخذا مكانهما في النوم بأن استلقيا على فراشهما .

(٢) وقوله " على مكانكما " أى أثبتا في مكانكما ، والمعنى أنهما لما أرادا القيام من فراشهما احتراما له نهاهما عن ذلك .

(٣) اخرجه البخارى في كتاب النفقات . المجلد (٣) جـ٦ ص١٩٢، ١٩٣

(٤) واسماء هي أم عبدالله بن الزبير وشقيقة عبدالله بن ابى بكر، وأخت السيدة عائشة لابيها ، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، اسلمت قديما وهاجرت الى المدينة ، وكانت رضي الله عنها تسمى بذات النطاقين لانها صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم ولأبيها سفرة لما هاجرا فلم تجد ماتشدها به فشقت نطاقها وشدت السفرة به فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك التسمية .

الله عنها تخبر أيضا عن حالها في بيتها مع زوجها فتقول : " تزوجني الزبير (١) وماله في الارض من مال (٢) ولا مملوك (٣) ولا شيء غير ناضح (٤) وغير فرسه فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز (٥) غربه وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الانصار وكن نسوة صدق ، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي وهي مني على ثلثي (٦) فرسخ فجئت يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الانصار فدعاني ثم قال (٧) إخ إخ ليحملني (٨) خلفه

---

(١) هو الزبير بن العوام ، صحابي جليل يكنى بابي عبد الله ، وهو ابن عمة رسول الله وابن أخي خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ، وكان من السابقين الى الاسلام ومن المهاجرين الى أرض الحبشة والمدينة ، ولما آخى رسول الله بين المسلمين بمكة آخى بينه وبين عبد الله بن مسعود . ولما قدم المدينة وآخى رسول الله بين المهاجرين والانصار آخى بينه وبين سلمة بن سلامة . شهد بدرا وغيرها من الغزوات مع رسول الله وهو من العشر المبشرين بالجنة .

(٢) والمراد بالمال هنا الابل أو الأراضي التي تزرع وهو استعمال معروف عند العرب حيث يطلقون المال على كل من ذلك . بتصرف من فتح الباري ج ٩ ص ٣٢٢ .

(٣) والمملوك : هو الرقيق من العبيد والاماء .

(٤) والناضح هو الجمل .

(٥) وقولها " وأخرز غربه " أي أضبط غربه ، والغربة بفتح الغين واسكان الراء وهو الدلو .

(٦) وقولها " وهي مني على ثلثي فرسخ " أي من مكان سكناها ، والفرسخ ثلاثة اميال والميل أربعة آلاف خطوة . بتصرف من ارشاد الساري ج ٨ ص ١١١ .

(٧) اخ اخ : بكسر الهمزة واسكان الخاء . كلمة تقال للبعير لمن اراد ان ينيخه . فتح الباري ج ٩ ص ٣٢٣ .

فأستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسى النوى ومعه نفر من اصحابه فأناخ لاركب فأستحييت منه وعرفت غيرتك فقال والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه قالت حتى أرسل الىّ أبو بكر بعد ذلك بخادم (١) يكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقنى " (٢)

واذا كان هذا حال بنت امام المتقين صلوات الله وسلامه عليه ، وحال بنت الخليفة الأول ابى بكر الصديق رضى الله عنهما فما أحرى نساء الأمة أن تقتدى بهما .

ثالثا : التأديب : فهو ايضا حق من حقوقه وذلك اذا ظهر منها أمارات النشوز لقوله تعالى " واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجروهن فى المضاجع وأضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا " (٣)

والنشوز هنا هو العصيان والترفع عن طاعة الأزواج . فمتى ظهر للزوج امارات النشوز من زوجته فعليه أن يعظها ، وعظتها يكون بتذكيرها بالله عز وجل ، وتخويفها من عقابه ، وتنبيهها على اخطائها ، وانه ينبغى عليها طاعته ، وأن عصيانها ومخالفتها له يسقط الكثير من حقوقها ، فان كفتها

---

(١) وقولها " حتى أرسل الىّ أبوبكر بعد ذلك بخادم " أى جارية " والخادم كلمة تطلق على كل من الذكر والأنثى .
(٢) اخرجه البخارى فى كتاب النكاح . المجلد (٣) الجزء (٦) ص١٥٦، ١٥٧
(٣) سورة النساء بعض آية رقم ٣٤ .

الموعظة كان بها ، وان لم ينفع معها ذلك لجأ الى اسلوب آخر وهو الهجر في المضجع لا الهجر في الكلام . لما روى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة ايام" (١) وفي لفظ آخر قال " لا هجرة بعد ثلاث " (٢)

فان لم ترتدع بالوعظ والهجر فله أن يضربها وعليه أن يتجنب المواضع المخوفة (كالوجه وغيرها) وأن يكون الضرب غير مبرحا لأن الغاية منه التأديب وليس الضرر . فان اطعنكم فيما يراد منهن (فلا تبغوا) أى لا تطلبوا (عليهن سبيلا) أى طريقا الى ضربهن ظلما" (٣)

ثالثا : الحقوق المشتركة بينهما :

وأما الحقوق المشتركة بينهما فهى :

أولا : حل الاستمتاع ، فيحق لكل من الزوجين أن يستمتع احدهما بالآخر مالم يوجد عذر شرعى من حيض أو نفاس أو مرض شديد .

" وقد اتفق الفقهاء على أنه يجب على الزوج أن يعف زوجته من الناحية الجنسية حتى لا تقع فى الحرام متى كان قادرا على ذلك ، وان هذا الواجب من جهة الديانة أى فيما بينه

---

(١) اخرجة مسلم في كتاب البر والصلة والأدب ، المجلد (٤) الجزء (٨) ص١٠
(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والأدب . المجلد (٤) الجزء (٨) ص١٠
(٣) اعتمدت في تفسير الآية على تفسير النسفي وابن كثير والجلالين .

وبين الله تعالى ، فيحرم عليه أن يشتغل عنها بعمل أو عبادة كـل
وقته لأنه يعرضها بذلك للفتنة" (١)

ثانيا : حسن العشرة : ان حسن العشرة ليس المطالب به الرجل وحده ،
ولا المرأة وحدها وانما هو قدر مشترك بينهما فينبغى على كل من الزوجين
أن يحسن معاملته للآخر .

ولما كان الرجال هم القوامون على النساء كما ورد ذكره في القرآن (٢)
فانه يرى البعض منهم أن شخصيتهم لا تكتمل الا اذا ظهروا بمظهر العنف
والشدة ، وهذه جهالة وحمق ، اذ أن تكامل الشخصية والرجولة الحقة
لا تكون الا فى سلامة الطبع ورقة المعاملة وحسن العشرة . ولنا فى رسول
الله الأسوة الحسنة حيث كان عليه الصلاة والسلام مع أزواجه رضوان الله
عليهن مثال الشفقة والحنان واللطف .

لقد قدر عليه الصلاة والسلام حداثة سن السيدة عائشة رضى الله
عنها وحاجتها الى اللعب فكان يسرب اليها البنات ليلعبن معها . كما أنه
مكنها من رؤية الأحباش وهم يلعبون في المسجد .

وروى عنها أنها كانت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فسابقته

---

(١) أحكام الأسرة فى الإسلام محمد مصطفى شلبى ص ٣٢٧ .
(٢) في سورة النساء آية رقم ٣٤ وهو قوله تعالى " الرجال قوامون على
النساء بما فضل الله بعضهم على بعض "

فسبقته ، ولما حملت اللحم (١) سابقته فسبقها فقال " هذه بتلك السبقة" (٢)

وسئلت رضي الله عنها ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ؟ قالت : " كان يكون في مهنة (٣) أهله " (٤)

هكذا كانت معاملته صلوات الله وسلامه عليه لنسائه مستمدة من كتاب الله ومن المنهج الاسلامي الذى تخلق به .

قال عليه الصلاة والسلام " اكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا (٥) ، وخياركم

---

(١) ولما حملت اللحم : اى صارت سمينة كثيرة اللحم .
(٢) اخرجه ابو داود في كتاب الجهاد ، باب في السبق على الرجل ، المجلد (٢) الجزء (٣) ص ٣٠ واحمد في مسنده ج (٦) ص ٢٦٤ . واللفظ لأبي داود .
(٣) وقولها " كان يكون في مهنة أهله " أي أنه كان يشارك أهله في عمل البيت ، وهذا من كرم اخلاقه وحسن معاشرته لأزواجه . والمهنة : معناها الخدمة .
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأذان . المجلد (١) الجزء (١) ص ١٦٤ .
(٥) فمفهومه يشير الى أن حسن الخلق من الايمان ، فان كان أحسنهم خلقا كان اكملهم ايمانا .

خياركم لنسائهم (١) " (٢)

ثالثا ثبوت التوارث :- وأما ثبوت التوارث بين الزوجين فقد نصت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى " ولكم نصف ماترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ... " (٣)

بمعنى أن الزوجة اذا توفيت قبل زوجها ورثها ، ويكون له النصف ان لم يكن لها ولد فان كان لها ولد سواء كان منه أو من زوج آخر فيكون له الربع .

وأولاد البنين للزوجة كأولادها فانهم يحجبونه من النصف الى الربع . واذا توفي قبلها ورثته ، ويكون لها الربع مما ترك ان لم يكن له ولد ، فان

---

(١) فيه اشارة الى ان أعلى الناس رتبة في الخير وأحقهم بالاتصاف به من كان خير الناس لأهله لأنهم الأحقاء بذلك ، وان كان على العكس من ذلك فهو في الجانب الآخر من الشر ، وكثيرا مايقع الناس في مثل هذه الورطة ، نجد الرجل منهم وسط أهله من أسوأ الناس عشرة وأقلهم خيرا واذا التقى بغيرهم لانت عريكته وجادت نفسه وهذا مما لاريب فيه أنه زائغ عن الصواب .

(٢) اخرجه الترمذى في ابواب الرضاع . باب ماجاء في حق المرأة على زوجها . المجلد (٢) ص ٣١٥ وقال حديث حسن صحيح . واحمد في مسنده ج (٢) ص ٢٥٠ . واللفظ للترمذى .

(٣) سورة النساء بعض آية رقم ١٢ .

كان له ولد منها او من غيرها فلها الثمن ، وأبناء ابن الصلب يحجبونهما من الربع الى الثمن .

وفى الربع والثمن تشترك الزوجات ان كانت له اكثر من واحدة . وتقسم التركة بعد استيفاء الوصية أو الدين .

قال ابن كثير فى تفسيره " أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية " (١) " وتقديم الدين مفهوم واضح لأنه يتعلق بحق الآخرين فلا بد من استيفائه من مال المورث الذى استدان مادام قد ترك مالا ، توفية بحق الدائن ، وتبرئة لذمة المدين ، وقد شدد الاسلام في ابراء الذمة من الدين كي تقوم على أساس من تحرج الضمير ، ومن الثقة فى المعاملة ومن الطمأنينة في جو الجماعة فجعل الدين فى عنق المدين لا تبرأ منه ذمته حتي بعد وفاته " (٢)

فقد روى عن عبدالله بن ابى قتاده عن ابى قتادة رضي الله عنه انه سمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله والايمان بالله أفضل الاعمال فقام رجل فقال يارسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله تكفر عني خطاياى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت فى سبيل الله وانت صابر محتسب (٣) مقبل غير مدبر (٤)

---

(١) تفسير ابن كثير ج (٢) ص ٢١٥

(٢) فى ظلال القرآن ج (١) ص ٥٩٢

(٣) المحتسب : هو المخلص لله عز وجل ، فان قاتل لعصبية أو لغنيمة او لصيت فليس له هذا الثواب ولا غيره . قاله النووى في شرحه ج (١٣) ص ٢٩ .

(٤) وقوله " مقبل غير مدبر " أى لا يقبل في وقت ويدبر في اخرى .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت ، قال أرأيت ان قتلت فى سبيل الله أتكفر عنى خطاياى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل عليه السلام قال لى ذلك" (١)

" وأما الوصية فلأن ارادة الميت تعلقت بها . وقد جعلت الوصية لتلافى بعض الحالات التى يحجب فيها بعض الورثة بعضا ، وقد يكون المحجوبون معوزين ، أو تكون هناك مصلحة عائلية في توثيق العلاقات بينهم وبين الورثة ، وازالة أسباب الحسد والحقد والنزاع قبل أن تنبت . ولا وصية لوارث ولا وصية في غير الثلث وفي هذا ضمان الا يجحف المورث بالورثة في الوصية (٢)

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الامارة . المجلد (٣) الجزء (٦) ص ٣٧ ، ٣٨
(٢) فى ظلال القرآن للسيد قطب ج (١) ص ٥٩٢
واعتمدت في تفسير الآية على تفسير " فى ظلال القرآن " .

الفصل الثانى

" تعدد الزوجات فى الاسلام بوجه عام "

موقف الاسلام من التعدد :-

ان التعدد كان معروفا وسائدا منذ القدم ، ولكن كان يسوده الفوضى والاضطراب ، اذ كان الرجل في الجاهلية يعدد الزوجات دون الالتزام بشرط أو بعدد معين ، مع ماله من حق الطلاق متى أراد ، وتبديل زوجة بأخرى فى أى وقت شاء ، ولم تكن هناك قوانين تنظم تصرفاته في هذا الصدد ، وتحد من مغالاته فيه . فلما جاء الاسلام عالج هذا الموضوع بحكمة وتعقل ، اذ أنه لم يحرم التعدد تحريما مطلقا ، كما أنه لم يتركهم على ماهم عليه من الاسراف في العدد ، وانما حدده وقصره على عدد معين وهو أربع لا يجوز لهم تعديها كما اشترط فيه العدل بين الزوجات جميعا .

والأصل في التعدد قوله تعالى " وان خفتم الا تقسطوا[1] في اليتامى فأنكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ماملكت ايمانكم ذلك أدنى الا تعولوا " (٢)

---

(١) ومعنى تقسطوا : تعدلوا ، يقال اقسط الرجل اذا عدل ، ويقال قسط الرجل اذا جار ، فان كان الفعل رباعيا فمعناه العدل وان كان ثلاثيا فمعناه الظلم . بتصرف من تفسير آيات الاحكام للشيخ محمد على الصابونى - الجزء (١) ص ٤١٨ .

(٢) سورة النساء آية رقم (٣) .

ومفهوم الآية أن من كان عنده يتيمة ورغب في الزواج منها ، وخاف الا يعدل ، ـ والعدل المطلوب هنا هو العدل في كل صورة سواء فيما يتعلق بالصداق ، أو فيما يتعلق بأي اعتبار آخر ، كأن تكون رغبته في نكاحها صادقة لا يتزوجها لمالها ، ولا لمركزها ، وأن يراعي أيضا رغبتها في النكاح منه فلا يغصبها على الموافقة ، الى غير ذلك من الأمور التي يخشى الا يتحقق فيها العدل . فان خاف وتوقع الا يعدل ـ فاليتجه الى نكاح ماسواها من النساء ان شاء ثنتين وان شاء ثلاثا وان شاء أربعا ، ولا يجوز له الجمع لأكثر من ذلك .

روى عن قيس بن الحارث قال : اسلمت وعندى ثمان نسوة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ذلك له . فقال : " اختر منهن أربعا " (١)

وفي رواية عن ابن عمر قال : اسلم غيلان بن سلمة وتحته عشرة نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : خذ منهن أربعا " (٢)

فلو جاز الجمع لاكثر من أربع لسوغ لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سائر نسائهما ولا سيما أنهن أسلمن .

وكما ذكرت سابقا أنه اشترط في التعدد العدل بين الزوجات ، فان

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح باب الرجل يسلم وعنده اكثر من أربع نسوة . المجلد (١) ص ٦٢٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح باب الرجل يسلم وعنده اكثر من أربع نسوة . المجلد (١) ص ٦٢٨ .
واخرجه الحاكم في مستدركه في باب النكاح ، المجلد (٢) ص ١٩٢ .
واللفظ لابن ماجه .

خيف عدم العدل بينهن اذا عددهن ، تعين عليه حينئذ الاقتصار على الواحدة أو ما ملكت ايمانهم من الاماء .

" ذلك أدنى ألا تعولوا " اشارة الى أن البعد عن نكاح اليتيمات - ان خفتم الا تقسطوا في اليتامى - ونكاح غيرهن من النساء - مثنى وثلاث ورباع - ونكاح الواحدة فقط - ان خفتم الا تعدلوا - أو ما ملكت ايمانكم ، أقرب الى عدم الجور والظلم وقيل (١) أقرب الى عدم تكثير العيال .

وبهذا حفظ الاسلام حقوق الزوجات ، وسد باب الجور عليهن مما كان لا يتقيه رجال العرب في الجاهلية ، والاسلام مع اباحته لهذا التعدد لم يحبذه لهم ، وانما رخصة كوسيلة احتياطية يلجأ اليها عند الضرورات ، وقد تكون هذه الضرورات شخصية او اجتماعية .

أما الضرورات الشخصية : فمن المعلوم أن الاسلام حرم الزنا تحريما كليا ، وعاقب مرتكبيه أشد العقاب ، قال تعالى " الزانيه والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين " (٢)

فلو حرم التعدد أيضا لانتشر الزنا ، لأن هناك أسبابا وظروفا قاهرة تجعل التعدد ضرورة منها :-

---

(١) وهذا قول زيد بن اسلم والشافعي في معنى (ألا تعولوا) والصحيح عن ابن كثير أن معناها الا تجوروا واشار الى ان هذا هو قول الجمهور . انظر تفسير ابن كثير . الجزء (٢) ص (٢٠١) . واعتمادي في تفسير الآيه على تفسير " في ظلال القرآن " وتفسير " ابن كثير "

(٢) سورة النور . آية رقم (٢) .

١- قد تصاب الزوجة بمرض مزمن يقعدها عن واجباتها الزوجية ويفقدهـا وظيفة الأمومة ، أيترك الاسلام الزوج وهو على هذه الحالة بين تيارات متصارعة وأفكار مشتتة دون أن يفسح له مجال التعدد :
ثم أي موقف أسلم وأفضل لهذه الزوجة ؟ أتغادر بيتها أم تبقى وتأتي الى جانبها امرأة اخرى وتكون عونا في رعاية زوجها الذى قـد لا ينسى مافعلته معه في الايام السابقة من حسن العشرة فيجازيهـا على ذلك خير الجزاء .
٢- اذا كانت الزوجة عاقرا لا تنجب والرجل في حاجة الى ذرية .
٣- بلوغها لسن اليأس وتوقفها عن الولادة .
٤- عنف الغريزة لدى بعض الرجال ، فهناك طبائع غير عادية بين الرجال بحيث لا يستطيع الواحد منهم الامساك عن الاتصال بزوجته في اثنـاء الحيض وفي مدة الوضع فتتطلع نفسه الى أخرى ، أمن الأفضل أن يباح لمثل هذه الطبائع التعدد أم تترك تعبث كما تشاء فتدنس نفسهـا وتدنس غيرها فتنتشر الرذيلة والفاحشة بين الناس .

أما الضرورات الاجتماعية : فهي كأن تبتلى الامم بكارثة الحرب ، فتفقـد بذلك شبابها ، وينقص حينئذ عدد رجالها عن عدد نسائها ، ويزداد الفـرق بينهما كلما تعددت الحروب ، كما حدث في الحرب العالمية الاولى والثانية ، والتى ذهب ضحيتها العديد من الرجال . ومما لا شك فيه أن نقص عددهـم مضر بالمجتمع لعدة أسباب منها :-
١- نقص الانتاج لقلة الايدى العاملة .
٢- ضعفها في المقاومة الحربية اذا تعرضت لغارات الدول الطامعـة فيها .

فمثل هذه الأمم التي أصيبت بهذا الارتكاس لا يعيدها الى قوتها وكثرة مواليدها الا تعديد الزوجات ، كما أن زيادة عدد النساء بلا زواج سبب ومدعاة لانتشار الفساد .

أعداء الاسلام والتعدد :-

يقولون أنه ليس من العدل أن يجمع الرجل اكثر من امرأة واحدة ، وأن هذا التعدد يعتبر جريمة في حق المرأة ، ويتساءلون بسخرية واستهزاء لم لا تعدد الزوجة الازواج فيكونان على قدم المساواة ؟

يقول الشيخ الغزالي :-

" وقرأت لبعض الصحافيين يعترض على مبدأ التعدد ، لماذا يعدد الرجال الزوجات ولا تعدد النساء الازواج ؟ ولقد نظرت الى هؤلاء المتسائلين فوجدت جمهورهم بين داعر أو ديوث أو قواد ، وعجبت لانهم يعيشون في عالم من الزنا ، ويكرهون أشد الكره اقامة أمر الاسرة على العفاف.
والجواب على هذا التساؤل المريض أن الهدف الأعلى من التواصل الجنسي هو انشاء الاسرة وتربية الاولاد في جو من الحضانة النظيفة ، وهذا لن يكون وفي البيت امرأة يطرقها نفر من الناس يجتلدون للاستحواذ عليها ولا يعرف لأيهم ولد منها . ثم أن دور المرأة في هذه الناحية دور القابل من الفاعل ، والمقود المحمول من القائد الحامل ، وانك لتتصور قاطرة تجر أربع عربات ، ولا تتصور عربة تشد أربع قاطرات ، ومن الكفر بطبائع الاشياء المماراة في أن الرجال قوامون على النساء . (١)

---

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ٤٦٩ .

فاذا ميزة الشريعة في مسألة التعدد من الميزات التي لم تعترف بها بعض المجتمعات حتى الآن ، ولكن مع عدم اعترافهم وتأييدهم لها نجد أن الرجال منهم لا يقتصرون على زوجة واحدة ، بل يتخذون العديد من الخليلات اللاتي يشاركن زوجاتهم ، فهم يبيحون لأنفسهم التمتع بمن بمن أرادوا ، ولكن اذا عرضوا رأيهم في هذا الموضوع طعنوا المسلمين ورموهم بالهمجية واتهموهم بأنهم شهوانيون .

تأييد المستشرقين المنصفين تعدد الزوجات في الاسلام :-

لقد أيد بعض المستشرقين تعدد الزوجات في الاسلام وعدوه من حسنات الاسلام ومزاياه ومن هؤلاء كبير كتاب أوروبا مك فارلين فقد قال :- " اذا نظرنا الى تعدد الزوجات في الاسلام من الناحية الاجتماعية أو الاخلاقية او المذهبية فهو لا يعد مخالفا بحال من الأحوال لأرقى اسلوب من أساليب الحضارة والمدنية ، بل هو علاج عطى لمشاكل النساء البائسات والبغاء واتخاذ الخطايا وتعدد العوانس على الاستمرار في المدن الغربية أوروبا وامريكا "(١)

وأما الدكتورة آني بيزانت فقد قالت حول هذا الموضوع " ان فردية الزواج أو نظام الزوجة الواحدة المتبع في بلاد الغرب ماهو الا نظام ادعائي أو طريقة تصنيعية فهناك تعدد عملي في الزوجات ولكن من غير مسئولية

---

(١) الى الدين الفطرى الأبدى تأليف مبشر الطرازى الحسيني ج(٢) ص ١٩٥ .

ودون تحمل تبعية ألا وهو اتخاذ المحظيات اللائى يصبحن بعد مايملهن الرجل منبوذات ، وتغرق الواحدة منهن اثر واحدة في حمأة الرذيلة فتوصف بوصف امرأة الشارع ،لأن حبيبها الاول الذى أفسدها وحظى بها لم يكن مسئولا عن مستقبلها وهي بهذه الحالة تصبح أحط وأحط - مائة مرة لا مرة واحدة - من الزوجة المصونة ، أو الأم التى تعيش في منزل رجل له زوجات متعددة " ثم قالت : " عندما نشاهد آلافا من النساء المتسكعات في الشوارع بالمدن الغربية اثناء الليل ندرك من غير شك أن ماتردده ألسنة الغربيين من ذم الإسلام لإباحته تعدد الزوجات ذم في غير محله .." (١)

وفي الختام ذكرت أنه من المستحسن للمرأة ان تعيش في ظل نظام الشريعة الاسلامية المبيح لتعدد الزوجات حيث يكون بجانبها من يرعاها ويحميها ويهتم بحالها بدلا من أن تبتذل ثم تنبذ في الشوارع حاملة ابنا غير شرعي وتصبح كل ليلة ضحية عابر سبيل محرومة من كل ماتتمتع به الأمومة .

هذا وقد فضل غوستاف لوبون نظام تعدد الزوجات فقال : " ان التعدد على مثال ماشرعه الاسلام من أفضل الأنظمة وأنهضها بأدب الأمة التى تذهب اليه وتعتصم به وأوثقها للأسرة عقداً وأشدها لاصرتها أزراً ، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالا وأوجه شأنا وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية .

---

(١) نفس المصدر السابق جـ (٢) ص ١٩٥ ، ١٩٦

ثم قال : لست أدرى على أى قاعدة يبنى الأوربيون حكمهم بانحطاط ذلك النظام - نظام تعدد الزوجات - على نظام التفرد عند الأوربيين المشوب بالكذب والنفاق على حين ارى هناك أسبابا تحملنى على ايثار نظام التعدد على ماسواه " (١)

أقول والحقيقة التى يجب ان يضعها الانسان نصب عينيه فى هذه المسألة هى أن التعدد رخصة ورحمة من الله عز وجل التى وسعت رحمته كل شىء لعبادة المؤمنين ، وانها مفخرة من مفاخر الاسلام لانه استطاع ان يواجه مشكلة تعتبر من اكبر المشاكل التى واجهت الامم والمجتمعات الكبرى وعجزوا عن حلها ولم يجدوا بدا الا بالرجوع الى حكم الاسلام والأخذ به .

---

(١) محمد رسول الله تأليف محمد رضا ص ٣٦٥ .

الفصل الثالث

" تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم على الخصوص "

لقد أراد اعداء الاسلام النيل والتشويه من سمعة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، الذى قال فيه " وانك لعلى خلق عظيم " (١) فصوروه بالرجل الشهوانى الذى لا هم له الا اشباع رغباته الجنسية والجرى وراء النساء، وهذا افتراء على رسول الهدى والرحمة لانهم لو بحثوا عن أسرار تعديده زوجاته لظهر لهم مدى عظمة هذا الرسول ومبلغ عطفه ورحمته فزواجه صلى الله عليه وسلم من هذا العدد الكثير من النساء لم يكن اجابة لداعى الهوى أو اشباعاً للناحية الغريزية ، وانما هو لحكمة عامة وأسباب خاصة كلها تدل على نبل المشاعر الانسانية التى اتصف بها رسول الله .

أولا الحكمة العامة :

وهذه تتمثل في سياسته الرشيدة لتربية الامة الاسلامية بضرب المثل الكامل لها في معاشرة النساء بالمعروف والعدل بينهن وتخريج بضع معلمات للنساء المسلمات يعلمنهن امور دينهن ولاسيما الامور المتعلقة بهن كأحكام الحيض والنفاس والجنابة وما الى ذلك من الامور التى كان عليه الصلاة والسلام يستحى من التصريح بها للنساء ، لأنه عليه الصلاة والسلام كما تروى كتب السنة أشد حياء من العذراء في خدرها . روى مسلم في صحيحه عن

---

(١) سورة القلم آية رقم (٤)

عبدالله بن ابى عتبة يقول سمعت أبا سعيد الخدرى يقول كان رسول اللـه صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها (١) .....* (٢)

هذا وقد تحدث القرآن الكريم عن حيائه في قوله تعالى" ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم" (٣) ولذا نجده يلجأ في اسلوبه الى الكناية وقد لا يتضح للمرأة مراده .

روى عن عائشة رضى الله عنها " ان امرأة سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل ، قال : خذى فرصة (٤) من مسك (٥) فتطهرى بها . قالت كيف اتطهر بها ؟ قال : سبحان (٦) الله تطهرى ، فاجتذبتها الى فقلت تتبعى بها أثر (٧) الدم (٨)

---

(١) الخدر : هو ستر يجعل للبكر فى جنب البيت .
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل . المجلد (٤) الجزء (٧) ص ٧٨ ، والبخارى في كتاب الأدب . المجلد (٤) الجزء (٧) ص ١٠٠ . وابن ماجه في كتاب الزهد . المجلد (٢) ص ١٣٩٩ . واللفظ لمسلم .
(٣) سورة الاحزاب بعض آية رقم (٥٣) .
(٤) والفرصة : هى القطعة .
(٥) والمسك : هو الطيب .
(٦) قالها تعجبا منها لعدم فهمها المراد .
(٧) قال النووى المراد به عند العلماء الفرج ، وقال المحاملى يستحب أن تطيب كل موضع أصابة الدم من بدنها .
(٨) اخرجه البخارى في كتاب الحيض . المجلد (١) الجزء (١) ص ٨١ .

فمفهومة يشير الى أن حياءه صلى الله عليه وسلم منعه من أن يوضح للسائلة المكان الذى تضع فيه القطنة المطيبة ، وقد أدركت السيدة عائشة رضى الله عنها ما أراده الرسول صلى الله عليه وسلم فتولت تعليمها .

كما أن النسوة فطرن على الحياء والخجل وأن القليل منهن من تستطيع أن تتغلب على حيائها فتجاهر النبى صلى الله عليه وسلم بالسؤال عما يقع لها ، فقد روى عن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها قالت ، جاءت أم سليم (١) امرأة ابى طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يارسول الله ان الله لا يستحى من الحق ، هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت (٢) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم اذا رأت (٣) الماء" (٤) وزاد مسلم في روايته بأن أم المؤمنين رضى الله عنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم وتحتلم المرأة ؟ فقال : تربت يداك فبم يشبهها ولدها" (٥) .

---

(١) أم سليم : هى والدة انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارقها مالك في الجاهلية عندما أسلمت حيث غضب منها وخرج الى الشام فمات بها ، ثم تزوجها أبو طلحة وماتت فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

(٢) والاحتلام كما وضحه ابن حجر افتعال من الحلم بضم الحاء واسكان اللام ، وهو مايراه النائم فى منامه . والمراد به هنا اذا رأت الجماع فى منامها .

(٣) وقوله علية الصلاة والسلام " نعم اذا رأت الماء " أى اذا رأت المني بعد الاستيقاظ .

(٤) أخرجه البخارى في كتاب الغسل . المجلد (١) الجزء (١) ص ٧٤ . والامام احمد في مسنده الجزء (٢) ص ٩٠ . واللفظ للبخارى .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الحيض . المجلد (١) الجزء (١) ص ١٧٢ .

فقوله عليه الصلاة والسلام " تربت يداك " لم يرد الدعاء عليها ، ومعناها افتقرت وصارت في يدك التراب ، وهي من الالفاظ التي تطلق عند انكار الشيء وقد اعتادت العرب على استعمالها غير قاصدة حقيقة معناها .

وهكذا مثل هذه الاسئلة المحرجة كان يتولى الجواب عنها فيما بعد أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن ، فكن خير مبلغ في حياته وخير مرجع في الاستفتاء بعد وفاته ، ولهن اكبر الفضل في نقل اخباره صلى الله عليه وسلم ، ولا سيما فيما يتعلق بحياته الزوجية التي لا يمكن للصحابة نقلها وقد كانوا حريصين كل الحرص على نقل جميع ما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يطلعوا على حياته البيتية .

كما أن الاسئلة التي وجهت اليهن بعد وفاة الرسول لم تكن قاصرة من النساء فقط ، بل كان الاكابر من الصحابة رضوان الله عليهم اذا أشكل عليهم أمر من أمور الدين أتوا اليهن ليستفتوهن ولا سيما السيدة عائشة رضي الله عنها فقد بلغت القمة والذروة في كل ما أتصل بالدين من قرآن وتفسير وحديث وفقه .

وخلاصة القول أن أمهات المؤمنين التسع اللاتي توفي عنهن رسول الله كن خير مبلغات ومفتيات وما قمن به لا يمكن أن تؤديه امرأة واحدة مهما أوتيت من قوة الحافظة وفرط الذكاء .

ثانيا : الأسباب الخاصة بتزوجه بكل واحدة منهن :

١- سودة بنت زمعة :-

كانت رضي الله عنها امرأة متقدمة في السن ليس لها جمال ولا شباب ،

تزوجها عليه الصلاة والسلام بعد وفاة السيدة خديجة رضى الله عنهما ، والحكمة من التزوج بها التكريم لها ولزوجها ، فهى من المؤمنات المهاجرات المهاجرات لأهليهن من أجل الدعوة الاسلامية ، وزوجها كان من اوائل السابقين الى الاسلام والمهاجرين الى الحبشة ، وبعد وفاته تركها وحيدة لا أحد يعولها ويرق لحالها اذ أن أهلها آنذاك لم يزالوا على كفرهم فلو رجعت اليهم لفتنوها في دينها ، فاختار رسول الله كفالتها وتزوجها .

كما أن في زواجه منها تأليفا لبنى عبد شمس أعدائه وأعداء بنى هاشم ، وتشريفا لبنى النجار لأن أمها الشموس بنت قيس من بنى عدى بن النجار .

ولو كان غرضه عليه الصلاة والسلام من هذا الزواج هو قضاء الشهوة والانسياق وراء اللذات ومتعة الجسد كما يدعيه المفترون من أعداء الاسلام لأستعاض عنها بالنواهد الأبكار .

٢- عائشة بنت ابى بكر :-

خطبها عليه الصلاة والسلام وهى في سن السادسة أو السابعة من عمرها على اختلاف الروايات ودخل بها وهى في سن التاسعة ، وهذا دليل على أن زواجه منها لم يكن لشهوة يبتغيها وانما لتقوية عرى الصحبة التى بينه وبين أبيها الذى تحمل الكثير من المتاعب والأهوال في سبيل العمل على نشر الاسلام والذود عن رسول الله .

وقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يكافئه على ذلك فلم يجد أعظم من أن يقر عينه بالزواج من ابنته .

٣- حفصة بنت عمر بن الخطاب :-

كان والدها رضى الله عنه من أبطال العرب الذين دون لهم التاريخ الاسلامى أروع الصفحات في البطولة والجهاد ، وكان اسلامه فاتحة خير على الاسلام والمسلمين . وهى أرملة الشهيد خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أشد أنصار رسول الله والمتبعين لهداه ، قيل شهد بدرا وتوفى بعدها ، وقيل شهد أحدا وأصيب فيها بجراحات عظيمة فمات على اثرها ، وترك وراءه زوجته وقد خيم عليها الحزن والآلام بوفاته ، ولما علم النبى صلى الله عليه وسلم بحالها تولى مواساتها بنفسه الكريمة فخطبها وتزوجها بعد أن عرضها ابوها على عثمان بن عفان وأبى بكر الصديق رضى الله عنهما : والحكمة من الزواج بها توكيد العلاقة والاخاء الذى بينه وبين أبيها ، وتكريم زوجها الذى قاتل في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ، وتعويضها عما فقدته من الزوج والعائل .

٤- زينب بنت خذيمة :

تزوجها عليه الصلاة والسلام بعد دخوله على حفصة ، ولم تكن رضى الله عنها ذات جمال أو شباب وانما ليعولها بعد أن انقطع عنها الناصر والمعين ، وليكافىء زوجها الذى دافع عن الحق .

٥ - أم سلمة :-

أسمها هند بنت أبى أمية ، وكانت زوجة لعبد الله بن عبد الأسد

الهلالى المخزومى . وكان من السابقين الى الاسلام ، قال ابن اسحاق : " أسلم بعد عشرة أنفس" (١) شهد بدرا وأبلى فيها بلاءً حسنا واشترك مع المسلمين فى غزوة أحد وأصيب فيها بجراح دامية حيث رماه أبو اسامة الجشمي بمعلبة فى عضده فمكث شهرا يداويه فلما شفى منها عقد له النبى صلى الله عليه وسلم لواء لقتال بنى أسد فقاتل فيها قتال الابطال حتى عاودته جراحه واشتد عليه ألمه

وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاده وكان اذ ذاك يحتضر فدعا له بالمغفرة وقال " اللهم اغفر لأبى سلمة وأرفع درجته في المهديين وأخلفه في عقبه (٢) في الغابرين وأغفر لنا وله يارب العالمين وأفسح له في قبره ونور له فيه " (٣)

وبعد وفاته ترك أم سلمة وأبناءها وقد تقدمت بها السن وليس هناك من يعولهم ويكفلهم ، عندئذ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمد اليها يد العون، فأرسل حاطب بن أبى بلتعه يخطبها له فاعتذرت لشدة غيرتها وأنها ذات عيال ولكن رسول الله أصر على مواساتها .

---

(١) الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، الجزء (٢) ص ٣٣٥ .
(٢) وقوله " واخلفه في عقبه " أى كن خليفة له في ذريته .
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز . المجلد (٢) الجزء (٣) ص ٣٨ .

يروى عنها أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله انا لله وانا اليه راجعون ، اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا أخلف الله له خيرا منها ، قالت : فلما مات أبو سلمه ، قلت : أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اني قلتها فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : أرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت : ان لي بنتا وأنا غيور فقال أما ابنتها فندعوا الله أن يغنيها عنها وأدعوا الله أن يذهب بالغيرة (١)

وهكذا نجد زواجه صلى الله عليه وسلم من أم سلمه لم يكن الا رحمة وشفقة بها وبعيالها . فهل بعد هذا يتقول متقول على أن زواجه منها كان الباعث عليه اللذة الجسدية ؟! .

٦- زينب بنت جحش :-

هي من أكرم عائلات العرب حسبا ونسبا تزوجها عليه الصلاة والسلام لحكمة عظيمة ، وهذه الحكمة تتضح في سن تشريع جديد لنظام المجتمع الاسلامي ، وذلك بمخالفة بعض العادات المتعارف عليها في الجاهلية ، ومن ذلك بدعة التبني ، فقد كان الرجل منهم في الجاهلية اذا أعجبه ولد غيره ضمه الى نفسه وأقامه مقام الابن الحقيقي يجرى عليه حقوقه من الميراث والطلاق وحرمة زوجة على من تبناه ، كما كان من عاداتهم أيضا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز . المجلد (٢) الجزء (٣) ص ٣٧

أن لا تتزوج بنات الأشراف من موال وان اعتقوا ، فلما جاءت الشريعة السمحة ألغت تلك العادات ، وذلك بأن تبنى الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، وقد سبى صغيرا في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته السيدة خديجة رضى الله عنها فلما تزوجها رسول الله وهبته له ، ثم طلبه ابوه وعمه فخيره الرسول فأختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه فكانوا يدعونه زيد بن محمد الى أن نزل قوله تعالى " ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله " (١) وبنزولها أبطل التبنى ، وجعله محرما في الشريعة الاسلامية ، ورد نسب زيد الى أبيه بعد أن كانوا يدعونه زيد بن محمد ، وأراد رسول الله تزويجه من احدى قريباته ليزيل الفوارق الطبقية الموروثة بينهم وليحقق معنى قوله تعالى " ان أكرمكم عند الله اتقاكم " (٢) فخطب له ابنة عمته زينب بنت جحش وقد عارضت في بادىء الأمر ان تكون زوجة له اعتزازا بنفسها ، واستصغارا لشأنه ووافقها على ذلك أخوها عبد الله معللا بأن زيدا ليس كفؤا لها ، ولكن لاراد لقضاء الله وقدره ، وقضاؤه هو انفاذ هذا الزواج قال تعالى " وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا " (٣)

وقد اختلف الروايات في من نزلت فيه الآية فذكر ابن كثير في تفسيره

---

(١) سورة الأحزاب بعض آية رقم (٥) .
(٢) سورة الحجرات بعض آية رقم (١٣) .
(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٣٦) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم (زينب بنت جحش) لزيد بن حارثة رضى الله عنه ، فاستنكفت منه ، وقالت : أنا خير منه حسبا ، وكانت امرأة فيها حدة ، فأنزل الله تعالى " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة " الآية كلها (١)

كما ذكر رواية أخرى قال فيه ، وقال : عبد الرحمن بن زيد بن أسلم " نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها ، وكانت أول من هاجر من النساء يعني بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه يعني - والله أعلم - بعد فراقة زينب ، فسخطت هى وأخوها ، وقالا : انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده ، قال فنزل القرآن " وماكان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا " الى آخر الآية " (٢)

وروى الامام احمد عن أنس قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم على جليبيب امرأة من الأنصار الى أبيها فقال حتى استأمر أمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم فنعم اذا قال فانطلق الرجل الى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لا ها الله ، اذا ماوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان ، قال والجارية في سترها تستمع ، قال : فانطلق الرجل يريد ان يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقالت الجارية أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ان كان قد رضيه لكم فأنكحوه فكأنها جلت عن ابويها ، وقالا :

---

(١) تفسير ابن كثير الجزء (٥) ص ٤٦٣ .
(٢) تفسير ابن كثير الجزء (٥) ص ٤٦٣ .

صدقت فذهب أبوها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ان كنت قد رضيته فقد رضيناه ، قال : فاني قد رضيته فزوجها ، ثم فزع أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم ، قال : انس فلقد رأيتها وانها لمن أنفق بيت في المدينة . (١)

ومهما يكن سبب نزولها فان نص الآية أعم وأشمل من أي حادث خاص ، وذلك اذا قضى الله ورسوله امرا من الأمور فليس لأحد الاختيار ولا المخالفة ، ولهذا شدد على من يخالف أمره ، وأمر رسوله فقال " ومن يعصي الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا " .

هذا وقد قضى الله عز وجل زواج زينب من زيد فليس لها الا الاذعان والخضوع لتنفيذ امر الله ورسوله ، وبعد زواجه منها وجدها تتعاظم عليه بشرفها وحسبها وتتغلظ له القول ماكان يوئذيه ذلك ، فذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو من سوء معاملتها له ويعرض عليه طلاقها ورسول الله ينصحه بامساكها ، وقد أعلمه الله بأن زيدا سيطلقها وأنها ستصير زوجته ، وسيبطل بزواجه منها بدعة التبنى ، ولكن رسول الله مع ذلك كان يخفي في نفسه ماأعلمه الله خشية من السنة الفجار والمنافقين فيقولون ان محمدا تزوج بامرأة ابنه ، ولهذا نزل العتاب في قوله تعالى " وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها

---

(١) مسند الامام احمد ، الجزء (٣) ص ١٣٦ .

لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا (١) وكان أمر الله مفعولا " (٢)

وبهذا الزواج انتهى حكم التبني ونزل الوحي السمائي مؤكـــدا هذا التشريع بقوله تعالى " ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسـول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما " (٣)

فسياق الآية تبرز لنا العلاقة التي بين نبينا محمد صلى اللــه عليه وسلم وبين جميع المسلمين - منهم زيد بن حارثة - وهي علاقة النبي بقومه ، فهو رسول الله وخاتم النبيين وليس أبا لأحد منهم .

٧- جويرية بنت الحارث :-

هي أرملة مسافع بن صفوان ، وكان من أشد الناس عداوة وخصومة لرسول الله ، قتل في غزوة بني المصطلق وهي ماتسمى أيضا بغـــزوة المريسيع (٤) وقد وقعت بين المشركين والمسلمين وكان والدها قائدهم.

---

(١) قول الشوكاني قضاء الوطر في اللغة بلوغ منتهي مافي النفس من الشيء ، يقال قضى وطرا منه اذا بلغ ماأراد من حاجته فيه. والمراد هنا انه قضى وطره منها بنكاحها والدخول بها بحيث لم يبق له فيها حاجة ، وقيل المراد به الطلاق لان الرجل انما يطلق امرأته اذا لم يبق له فيها حاجة . وقال المبرد : الوطـر الشهوة والمحبة ، وقال ابو عبيدة الوطر : الأرب والحاجة" فتح القدير . المجلد (٤) ص ٢٨٤.

(٢) سورة الأحزاب بعض آية ٣٧ .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٤٠.

(٤) والمريسيع : اسم ماء لقبيلة خزاعة .

والتى انتهت بانهزام قومها شر هزيمة ووقوع نسائهم في الأسر ومن بينهن جويرية حيث كانت عند توزيع السبايا من نصيب ثابت بن قيس (أو ابن عم له) فكاتبها على مبلغ من المال ثمنا لحريتها ، فأتت النبى صلى الله عليه وسلم تستعينه على أمرها ، فعرض عليها أن يدفع عنها الفداء ويتزوجها فقبلت ، وبزواجه منها سارع المسلمون بعتق من وقع في أيديهم من الأرقاء اكراما لمصاهرة الرسول لهم ، وقد أعتق على اثر هذا الزواج مائة أهل بيت .

وبفضل هذا التصرف العظيم أسلم بنو المصطلق وصاروا أعوانا لرسول الله بعد أن كانوا اعداء له .

وهكذا نجد زواجه صلى الله عليه وسلم منها كان رحمة وشفقة عليها بعد أن انهزم قومها ووقعت هى فى هوان الاسر ، والرحمة تقتضى باقالة عثرة العزيز اذا ذل .

٨- صفية بنت حي بن أخطب :-

أسرت رضى الله عنها بعد مقتل زوجها كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق فى غزوة خيبر فأخذها دحية في سهمة ثم استعادها النبى صلى الله عليه وسلم فاعتقها وتزوجها ، وغايته صلى الله عليه وسلم من هذا الزواج هو :-

أولا : تخفيف شدة العداوة والخصومة التى بين اليهود والمسلمين والتقريب بينهم، لأن اليهود كما نعلم منذ القدم كانوا مصدر قلق للدولة الاسلامية .

ثانيا : انسانيته صلى الله عليه وسلم تأبى ان تتركها تذل بالرق عند من تراه دونها ولا سيما أنها بنت سيد وزوجة سيد من سادات خيبر .

٩- أم حبيبة :-

هي رملة بنت أبي سفيان ، وكانت عند عبيدالله بن جحش ، هاجر بها الى أرض الحبشة حينما أضطهد المسلمون في مكة .

وهناك تنصر زوجها اذ أرتد عن الاسلام والعياذ بالله وأعتنق النصرانية دينا له . فتخلت عنه وبقيت هي متمسكة بعقيدتها لم توضخ لتوسلاته اليها في طلب اللحاق به ، وقد لاقت رضى الله عنها في أرض الغربة وفي دار الهجرة الكثير من المتاعب لكنها بقوة ايمانها صمدت أمامها بالصبر والجلد ، ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بحالها رق لها فأرسل الى النجاشي بزوجه اياها ، فأبلغها النجاشي الخبر ، وسرت رضى الله عنها بذلك سرورا عظيما .

ولما بلغ والدها خبر زواج رسول الله من ابنته افتخر به ولم ينكر كفاءته وقال : " ذلك الفحل لا يقرع أنفه " (١)

ومن هنا تظهر لنا الحكمة العظيمة في سبب زواجه منها حيث اختارها

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد . الجزء (٨) ص (٩٩) .

لنفسه تكريما لها ومكافأة على صبرها واستقامتها وثباتها على دينها القويم .

١١ـ ميمونة بنت الحارث :ـ

تزوجها عليه الصلاة والسلام في السنة السابعة من الهجرة وهو في طريقه لعمرة القضاء وذلك تأليفا لقلوب أهلها الى الاسلام ، وقد تم ذلك بالفعل اذ أدى زواجها الى اعتناق الكثير منهم الدين الاسلامي ومن بينهم سيف الله المسلول (١) خالد بن الوليد (٢) هذا بالاضافة الى مافي زواجه منها من توثيق صلته بقبيلة تعتبر من أشراف القبائل العربية.

وقيل ايضا في سبب زواجه منها أن المسلمين عندما دخلوا مكة لعمرة القضاء أخذوا يذكرون الله ويلبون فخرجت نساء قريش الى الشرفات ليشاهدن المشهد ومن بينهن ميمونة التى ما أن رأت الركب حتى خرجت تشاهده عن كثب من فوق بعيرها ، وقد راعها منظر رسول الله وهو على ناقته القصواء فلم تملك نفسها فصاحت من فوق بعيرها البعير وماعليه لله ولرسوله

---

(١) المسلول : الذى أسله الله على المشركين .

(٢) خالد بن الوليد : هو ابن أخت زوج رسول الله ميمونه ، أمه لبابه الصغرى أخت لبابه الكبرى زوج العباس ، شهد مع كفار قريش الحروب الى أن أسلم ، وبعد اسلامه شهد مع رسول الله غزوة مؤته وفتح مكة وحنين والطائف ، له رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وغيرهما ، روى عنه ابن عباس ، وجابر بن عبدالله ، والمقدام بن معد يكرب ، وقيس بن أبى حازم ، وجماعة آخرون .
واختلفوا في سنة وفاته فقيل مات بحمص سنة احدى وعشرين وقيل بالمدينة سنة اثنان وعشرين .

وماكان لرسول الله ان يخذلها أو يخيب رجاءها فحقق رغبتها في شـــرف التزوج به .

وهكذا يتبين لنا بعد وضوح الحكمة العامة والأسباب الخاصة الــتى أدت الى زواج الرسول بهذا العدد من النساء ، أن ما يلصقة أعــــداء الاسلام برسول الهدى انما هى مفتريات والرسول براء منها .

... ...

الباب الثاني

وتحته فصول :-

الفصل الأول : السيدة خديجة بنت خويلد .

الفصل الثاني : السيدة سودة بنت زمعة .

الفصل الثالث : السيدة عائشة بنت أبي بكر .

الفصل الرابع : السيدة حفصة بنت عمر .

الفصل الخامس : السيدة زينب بنت خزيمة .

الفصل السادس : السيدة أم سلمة بنت زاد الركب .

الفصل السابع : السيدة زينب بنت جحش .

الفصل الثامن : السيدة جويرية بنت الحارث .

الفصل التاسع : السيدة صفية بنت حيي

الفصل العاشر : السيدة أم حبيبة بنت أبي سفيان

الفصل الحادي عشر : السيدة ميمونة بنت الحارث .

الفصل الأول

" السيدة خديجة بنت خويلد "

نسبها : هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة " (١)

أمها فاطمة بنت زائدة قرشية من بني عامر بن لوي ، تجتمع خديجة رضي الله عنها مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده قصي ، وهي من اقرب نسائه اليه في النسب حيث انه لم يتزوج من ذرية قصي غيرها سوى أم حبيبة .

مولدها ونشأتها : - ولدت رضي الله عنها بمكة ، قبيل قبل الهجرة بثمانية وستين عاما وقبل عام الفيل بخمس عشرة سنة ، نشأت رضي الله عنها في بيت من البيوتات الشريفة فتربت على الاخلاق الحميدة واتصفت بالحزم والعقل والعفة حتى لقبها قومها في الجاهلية بالطاهرة .

تزوجت رضي الله عنها في فجر شبابها برجلين هما أبو هالة (٢)

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد الجزء (٨) ص (١٤)

(٢) ابو هاله اختلف في اسمه راجع اسد الغابة في ترجمة ابنه هند ، المجلد (٥) ص (٧١) والاصابة في تمييز الصحابة ، الجزء (٣) ، ص (٥٩٤) .

التميمي وعتيق بن عائذ (١) المخزومي .

واختلف اهل السير في تقديم احدهما على الآخر ، فمنهم من قال كانت عند ابي هالة أولا ثم خلف عليها بعده عتيق وهذا قول ابن عبدالبر ونسبه للأكثر .

ومنهم من عكس ذلك ومن هولاء قتادة فقال : " كانت خديجة تحت عتيق بن عائذ ابن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، ثم خلف عليها بعده أبو هالة هند ابن زرارة بن النباش" (٢) ووافقه على ذلك ابن شهاب وابن اسحاق .

ولدت لأبي هالة هندأو هالة ، ولعتيق هندا وقيل ولدت له عبدالله وقيل عبد مناف وهندا .

هند بن ابي هالة : صحابي أدرك النبوة فأسلم ، كان فصيحا بليغا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن الوصف واتقنه ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحدث عنه الحسن بن علي قال الزبير بن بكار : قتل مع علي يوم الجمل .

وهالة اسم ذكر وليس بأنثى قاله الزرقاني في شرحه على المواهب ، وله صحبة قاله أبو عمر وابن الأثير وابن حبان .

---

(١) وقيل عتيق بن عابد .
(٢) الاستيعاب في معرفة الاصحاب الجزء (٤) ص (٢٨٠) .

وهند بنت عتيق قيل انها أسلمت وصحبت ولم تروعنه شيئا ، وذكر ابن سعد في ترجمة أمها " السيدة خديجة " انها تزوجت بابن عمها صيفى بن أمية بن عابد المخزومى فولدت له محمدا ويقال لبنى محمد بنو الطاهرة لمكان خديجة .

وأما عبدالله وعبد مناف فلم أظفر من أخبارها بشيء .

خروج النبى صلى الله عليه وسلم بتجارتها الى الشام :-

روى ابن سعد بسند فيه الواقدى عن نفيسه بنت منية قالت : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له أبو طالب أنا رجل لامال لي وقد أشتد الزمان علينا وهذه عير قومك وقد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك في عيراتها ، فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت اليك ، وبلغ خديجة ماكان من محاورة عمه له فأرسلت اليه في ذلك وقالت له أنا اعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك " (١)

وفى روايه أن أبا طالب قال : يا ابن أخى قد بلغنى أن خديجة أستأجرت فلانا ببكرين ولسنا نرضى لك بمثل ما اعطته ، فهل لك أن تكلمها ؟ قال : ماأحببت ؛ فخرج اليها فقال : هل لك يا خديجه أن تستأجرى محمدا ؟ فقد بلغنا أنك استأجرت فلانا ببكرين ، ولسنا نرضى لمحمد

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات الجزء (١) ص ١٢٩ .

دون أربع بكار ، قال : فقالت خديجة : لو سألت ذاك لبعيد بنفيض فعلنا فكيف وقد سألت لحبيب قريب " (١) ثم خرج عليه الصلاة والسلام بتجارتها برفقة ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدم بصرى من الشام وهي مدينة على طريق دمشق فنزلا في ظل شجرة ، فقال نسطور الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبي . ثم قال لميسرة : أفي عينيه حمرة ؟ قال نعم لا تفارقه . قال هو نبي وهو آخر الأنبياء .

وفي أثناء تجارته صلى الله عليه وسلم وقع خلاف بينه وبين رجل في ثمن بعض المشتريات فقال له الرجل أحلف باللات والعزى . فأجابه صلوات الله وسلامه عليه ما حلفت بهما قط واني لأمر فأعرض عنهما . فقال له الرجل القول قولك . ثم قال لميسرة هذا والله لنبي تجده احبارنا موصوفا في كتبهم . وكان ميسرة في خلال هذه الرحلة يرى ملكين يظلان رسول الله من الشمس في وقت الهاجرة واشتداد الحر ، وهناك باع رسول الله سلعته وأشترى ما اراد أن يشتري ثم أقبل قافلا الى مكة وقد وفقه الله تعالى في هذه الرحلة اذ ربح ربحا عظيما لم تحصل عليه السيدة خديجة من قبل ، فلما أخبرها بذلك سرت رضي الله عنها سرورا عظيما وأعطته ضعف ما سمت له .

أما غلامها فقد جاءها بحديث أوفر من هذا الربح عن هذا الرفيق الكريم فقد حدثها بما قاله الراهب نسطور وبما قاله الرجل الذي خالفه في البيع وبما رأى من اظلال الملكين له وما لمس فيه من حسن السيرة في خلقه ومعاملته .

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الجزء (١) ص ١٣٠ .

زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

وبعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الشام ومعه الربح العظيم سرت رضى الله عنها ولكن اعجابها به كان له أثر كبير فى نفسها ، ولا سيما بعد أن حكى لها غلامها عما سمع ورأى ، مع ماسبق من معرفتها عنه من الأمانة والاستقامة وحسن الخلق .

ولكن ماذا تفعل أتعرض نفسها عليه ؟ أم ترسل من تحسس الأمر فتعرف رغبته ؟ هنا تختلف الرواية ، فعند ابن اسحاق أنها بعثت الى رسول الله فقالت له : يا ابن عم انى قد رغبت فيك لقرابتك ، وسطتك (١) فى قومك ، وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك . وعند ابن سعد أنها أرسلت نفيسه بنت منية دسيسا (٢) اليه فقالت له : يامحمد مايمنعك أن تزوج ؟ قال مابيدى ما اتزوج به . قالت فان كفيت ذلك ودعيت الى الجمال والمال والشرف والكفاءة الا تجيب ؟ قال ومن هى ؟ قالت خديجة . قال وكيف السبيل الى ذلك ؟ قالت على . قال فأنا أفعل .

ثم انطلقت الى خديجة تزف اليها البشرى بموافقة الأمين وحددت رضى الله عنها للنبى صلى الله عليه وسلم واهله موعدا يحضرون فيه وأرسلت الى عمها عمرو بن اسد ليزوجها (٣) فحضر ودخل رسول الله

---

(١) سطتك : أى شرفك وسامى منزلتك .
(٢) الدسيس هو الشخص الذى تبعثه ليأتيك بالأخبار .
(٣) وقيل أن المزوج لها ابوها خويلد بن اسد وقيل أخوها عمرو بن خويلد والذى رجحه اهل السير هو عمها " عمرو بن اسد " لان اباها مات قبل الفجار .

فى عمومته فزوجه احدهم .

وقيل ان الذى ولى زواجه صلى الله عليه وسلم هو عمه ابو طالب الذى أفتتح خطبة الاملاك قائلا : الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ (١) معد وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسواس (٢) حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجا (٣) ، وحرما آمنا ، وجعلنا الحكام على الناس. ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبدالله لا يوزن برجل الا رجح به ، وان كان فى المال قلا (٤) فان المال ظل زائل (٥) ، وأمر حائل (٦) ، ومحمد من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وقد بذل لها من الصداق ما آجله وعاجله اثنتا عشرة أوقية ذهبا ونشا وهو والله بعد هذا له نبأ (٧) عظيم وخطر جليل (٨)» (٩)

---

(١) الضئضئ هو الأصل وكذا معنى عنصر وغوير للتفنن وقيل الضئضئ المعدن .

(٢) سواس حرمه : اى القائمين على شئونه .

(٣) بيتا محجوجا : اى مقصودا بالحج .

(٤) قلا : اى قليل .

(٥) ظل زائل : اى سريع الزوال .

(٦) امر حائل : اى لا بقاء له لتحوله من شخص لآخر .

(٧) نبأ عظيم : أى خبر عظيم ألا وهى النبوة .

(٨) خطر جليل : اى أثر جليل ، وهذا ما كان حيث كون أمة اسلامية مثالية .

(٩) خاتم النبيين للشيخ محمد ابوزهرة الجزء (١) ص ٢٠٦

ولما انتهى من خطبته تكلم ورقة بن نوفل فقال : "الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ماعددت فنحن سادة العرب وقادتها وانتم اهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم ولا شرفكم وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا يا معشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله" (١)

لكن ابا طالب طلب من عمها عمرو بن أسد أن يشركه في ذلك لأنه أقرب اليها من ورقة ، عندئذ تكلم فقال : "أشهدوا على يا معاشر قريش أني قد انكحت محمد بن عبدالله خديجة بنت خويلد" (٢)
وشهد على ذلك صناديد قريش .

وقد جاء في سيرة ابن هشام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقها عشرين بكرة وهذا لا يتعارض مع ماجاء في خطبة ابى طالب من أنه بذل لها من الصداق اثنتا عشرة أوقية ذهبا ونشا ، اذ أنه يمكن الجمع بينهما فالنبى صلى الله عليه وسلم اما أنه زاد في صداقها ، أو أن المذكور من المذهب هو تقدير للقيمة .

ولما تزوجها عليه السلام أقيمت الولائم ونحرت الذبائح وأطعم الناس وأمرت رضى الله عنها جواريها أن يغنين ويضربن بالدفوف فكانت أول امرأة تزوجها في حياته ، ولها من العمر أربعون سنة بينما رسول الله كان عمره

---

(١) خاتم النبيين للشيخ محمد ابوزهرة الجزء (١) ص ٢٠٦ ، ٢٠٧
(٢) نفس المصدر والجزء صفحه ٢٠٧

خمسا وعشرين سنة وهذا هو القول المشهور بين اصحاب السير والتاريخ .

أولا دها من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لقد رزق النبي صلى الله عليه وسلم منها جميع اولاده ذكورا واناثا ماعدا ابراهيم فانه من مارية القبطية التى اهداها اليه المقوقس حاكم مصر وهذا مما لا خلاف فيه . وانما الخلاف في عدد الذكور الذين انجبتهم فمنهم من قال : ما نعلمها ولدت له الا القاسم وولدت له بناته الأربع "(١)

ومنهم من قال ولدت له ثلاثة بنين واربع بنات وهذا قول ابن اسحاق حيث قال : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم الا ابراهيم القاسم وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر والطيب ، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليهم السلام "(٢)

ومنهم من قال أربع بنين وأربع بنات وهذا منقول من تاريخ الطبرى ونصه " فولدت لرسول الله ثمانية القاسم والطيب والطاهر وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة " (٣)

---

(١) الاستيعاب الجزء (٤) ص (٢٨١).
(٢) السيرة النبوية لابن هشام الجزء (١) ص ٢٠٧
(٣) تاريخ الطبرى الجزء (٣) ص (١٦١) .

والقول المشهور عند جمهور المسلمين ولد بن وهما القاسم وعبد الله ، وأربع بنات وهن زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة .

القاسم فبه كان يكنى النبي صلى الله عليه وسلم ، مات صغيرا قبل البعثة وقيل بعدها .

وعبد الله هو الطيب (١) والطاهر سمي بذلك لأنه ولد بعد النبوة ، وهذا قول الزبير ، وقيل أن ولاده كانت في الجاهلية مات هو الآخر صغيرا .

وزينب هي اكبر بنات صلى الله عليه وسلم ولدت رضى الله عنها قبل مبعثه بمدة قيل عشر سنين ، تزوجها ابن خالتها ابى العاص بن الربيع أنجبت له عليا وأمامة ، توفيت في اوائل السنة الثامنة من الهجرة .

ورقية قيل أنها تصغر أختها زينب بثلاث سنين ، وكانت قد خطبت لعتبة بن أبى لهب ثم فارقها قبل ان يدخل بها ، فتزوجها عثمان بن عفان وكان ذلك بمكة ، ثم هاجر بها الى أرض الحبشة وهناك ولدت له عبد الله فبه كان يكنى ، وقيل أنها لم تلد له وهذا قول قتادة ، قال ابن الأثير وهذا ليس بصحيح وذكر أن التى لم تلد لعثمان هى أختها أم كلثوم فقد تزوجها بعدها . مرضت رضى الله عنها عند خروج رسول الله الى بدر فتخلف عثمان بأمر من رسول الله ، توفيت يوم وصول زيد بن حارثة مبشرا بظفر رسول الله بالمشركين ، وقيل ان وصوله كان عند دفنها .

---

(١) وقيل الطيب غير الطاهر وهذا من جعل اولاده ثلاثة ، ومن جعلهم أربعة فقد فرق بين عبد الله والطيب والطاهر .

وأم كلثوم كانت عند عتيبه أخو عتبه بن ابى لهب ، فارقها قبل أن يدخل بها فتزوجها عثمان بن عفان بعد وفاة أختها رقية ، وكان نكاحه اياها فى السنة الثالثة من الهجرة ، لم تلد منه ولدا ، توفيت سنة تسع صلى عليها رسول الله ، ونزل قبرها أبو طلحة ، قال الواقدى نزل فى حفرتها على بن ابى طالب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد .

وأما فاطمة فكانت تلقب بالزهراء ، وتكنى بأم أبيها ، تزوجها على بن أبى طالب ، وفى الصحيحين وغيرهما لما استأذن بنو هشام بن المغيرة في أن ينكحوا ابنتهم على بن ابى طالب خطب رسول الله على المنبر وقال : فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا أن يريد ابن ابى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فانما هى بضعة منى يريبنى ما أرابها ويؤذينى ما آذاها " (١)

روت عن النبى صلى الله عليه وسلم وروى عنها ابناها الحسن والحسين وابوهما على بن ابى طالب وأم المؤمنين عائشة وأم سلمة .

وهى أول آل النبى لحوقا به ، توفيت رضى الله عنها بعد رسول الله بستة اشهر ، قال ابن الاثير وهذا أصح ما قيل ، وقيل بثلاثة اشهر وقيل عاشت بعده سبعين يوما وقيل غير ذلك .

صلى عليها على بن ابى طالب وقيل العباس ، ودفنت بليل ، ونزل قبرها على والعباس وابنه الفضل .

---

(١) الحديث في صحيح البخارى في كتاب النكاح . المجلد (٣) الجزء (٦) ص ١٥٨ ، وعند مسلم فى كتاب الفضائل ، باب فضائل فاطمه المجلد (٤) الجزء (٧) ص (١٤١) .

موقفها عند بدء الوحي :-

نعلم أن أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة هي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا في منامه الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلوة فكان يخلو بغار حراء شهرا من كل عام مشتغلا فيه بالعبادة والتفكر في ملكوت السموات والارض ، حتى اذا كانت الليلة المباركة التي اكرمه الله فيها برسالته جاءه أمين الوحي جبريل عليه السلام وقال له اقرأ . فقال ماأنا بقارئ فأخذه وغطه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله وكرر الطلب ثلاث مرات وفي كل مرة يقول له اقرأ ورسول الله يقول ماأنا بقارئ ثم قال : اقرأ باسم ربك الذي خلق.خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم" فقرأها عليه الصلاة والسلام ثم رجع بها الى السيدة خديجة رضي الله عنها وقلبه يرجف من الخوف والفزع ويقول زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم أخبرها بالخبر وقال لها لقد خشيت على نفسي فطمأنته رضي الله عنها وأكدت له انه ماكان الله ليخزيه أبدا وذكرت خصاله الحميدة ثم توجهت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان عنده علم بالكتب السماوية فلما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى بشره بالنبوة ثم أخبره بما سيجده من قومه من عنت وأذى وانهم سيخرجونه من مكة وتمنى ادراكه لينصره نصرا مؤزرا ولكن ورقة لم يلبث أن توفي .

وقصة بدء الوحي رواه الشيخان في صحيحهما عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ولفظه عند البخاري انها قالت : أول مابدئ به

رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكـــان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق(١) الصبح . ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار (٢) حراء (٣) فيتحنث (٤) فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله ويتزود (٥) لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق (٦) وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ (٧) قال : فأخذني فغطني (٨) حـــتى بلغ مني الجهد (٩) ثم ارسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ . فأخذني

---

(١) فلق الصبح اى ضياؤه .

(٢) الغار هو الكهف او النقب في الجبل .

(٣) حراء : جبل بينه وبين مكة ثلاثة اميال على يسار الذاهب الى منى

(٤) فيتحنث : هي بمعنى يتحنف اى يتبع الحنيفيه وهى دين ابراهيـــم أو التحنث القاء الحنث وهو الاثـــم قاله ابن حجر .

(٥) والتزود هو استصحاب الزاد .

(٦) جاءه الحق : أى الامر الحق .

(٧) وفى قوله " ما أنا بقارئ " قال الامام النووى معناه لا أحسن القراءة ، فما نافيه وهذا هو الصواب ، وحكى القاضي عياض رحمه الله فيهمـــا خلافا بين العلماء ، منهم من جعلها نافيه ، ومنهم من جعلهـــا استفهاميه وضعفوه بادخال الباء فى الخبر ، قال القاضي ويصـحح قول من قال استفهامية روايه من روى ما أقرأ ؟ ويصح ان تكون ما فـــي هذه الرواية ايضا نافية . شرح النووى على صحيح مسلم ، ج (٢) ص ١٩٩ .

(٨) وفى قوله " فغطني " قال ابن حجر كأنه اراد ضمني وعصرني ، والغط حبس النفس ومنه غطه في الماء أو اراد غمني ومنه الخنق . فتـــح البارى جزء (١) ص ٢٤ .

(٩) الجهد بفتح الجيم وضمها لغتان وهى الغاية والشقة .

فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم ارسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثه ، ثم ارسلني فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم" فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني (١) ، زملوني . فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت (٢) على نفسي . فقالت خديجة كلا والله مايخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل (٣) ، وتكسب المعدوم (٤) ، وتقرى الضيف (٥) ، وتعين على نوائب الحق (٦)

---

(١) زملوني : اى لفوني أو غطوني .

(٢) وفي قوله لقد خشيت على نفسي : ذكر ابن حجر ان الخشية المذكورة اختلف العلماء في المراد بها على اثنى عشر قولا أولها الجنون ثانيها الهاجس ثالثها الموت من شدة الرعب رابعها المرض خامسها دوام المرض سادسها العجز عن حمل اعباء النبوة سابعها العجز عن النظر الى الملك من الرعب ثامنها عدم الصبر على اذى قومه تاسعها ان يقتلوه عاشرها مفارقة الوطن حادى عشرها تكذيبهم اياه ثاني عشرها تعييرهم اياه .
ثم رجح القول الاسلم من هذه الاقوال وهو القول الثالث واللذان بعده (فتح الباري ج ١ ص ٢٤) .

(٣) قال الامام النووى واما الكل فهو بفتح الكاف واصله الثقل ومنه قوله تعالى " وهو كل على مولاه "
ويدخل في حمل الكل الانفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغيرذلك وهو من الكلال وهو الاعياء .

(٤) تكسب المعدوم : تعطي الناس مالا يجدونه عند غيرك .

(٥) وتقرى الضيف اى تهيء له طعامه ونزله .

(٦) وتعين على نوائب الحق ، اى حوادثه وقيل انما قالت نوائب الحق لأن النائبه تكون في الخير وتكون في الشر .

فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبدالعزى ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن اخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقه : هذا الناموس (١) الذى نزل الله على موسى ، ياليتنى فيها جذعا (٢) ، ليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم ؟ قال نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا (٣) . ثم لم ينشب (٤) ورقة ان توفى ، وفتر الوحى (٥) . (٦)

---

(١) الناموس قيل المراد به جبريل عليه السلام .

(٢) جذعا أى شابا قويا .

(٣) مؤزرا أى قويا صادقا .

(٤) لم ينشب : لم يلبث .

(٥) وفتر الوحى : أى تأخر مدة من الزمن ، واشار ابن حجر ان تأخره كان ليذهب ما كان صلى الله عليه وسلم وجده من الروع ، وليحصل له التشوق الى العود . فتح البارى ج (١) ص ٢٧ .

(٦) اخرجه البخارى في باب كيف كان بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المجلد (١) الجزء (١) ص ٣ - ٤ واخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب بدء الوحى الى رسول الله المجلد (١) الجزء (١) ص ٩٧ ، ٩٨ ، واللفظ للبخارى .

ومن تلك اللحظة المباركة سعدت الدنيا اذ من الله عليها برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم .

ولما شرفه الله بهذه الرسالة الخالدة كانت رضى الله عنها أول من استجاب لدعوته وصدق بما جاء به وقد خفف الله بسبب ايمانها عن نبيه كل هم وحزن ، فكان لا يسمع من المشركين شيئا يكرهه من تكذيب وجحود وعناد له الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها ، حيث تواسيه وتهون عليه أمر الناس ، وتبعث الى نفسه الطمأنينة .

وتشرفت رضى الله عنها بمنقبة الوضوء واستقبال الكعبة المشرفة والصلاة مع رسول الله وكان جبريل عليه السلام قد علم النبى صلى الله عليه وسلم تلك الصلاة قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة المناجاة فكان يصلى صلاتين مرة فى العشية ومرة فى الغداة .

روى ابن سعد عن عفيف الكندى قال : جئت فى الجاهلية الى مكة وأنا اريد ان ابتاع لاهلى من ثيابها وعطرها ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب ، قال فأنا عنده وأنا انظر الى الكعبة وقد حلقت الشمس فأرتفعت اذ اقبل شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه الى السماء فنظر ثم استقبل الكعبة قائما مستقبلها ، اذ جاء غلام حتى قام عن يمينه ثم لم يلبث الا يسيرا حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ، ثم ركع الشاب فركع الغلام وركعت المرأة ثم رفع الشاب رأسه ورفع الغلام رأسه ورفعت المرأة رأسها ، ثم خر الشاب ساجدا وخر الغلام ساجدا وخرت المرأة . قال فقلت : ياعباس انى أرى امرا عظيما . فقال العباس : أمر عظيم هل تدرى من هذا الشاب ؟ قلت لا ما أدرى . قال هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن اخى .

هل تدرى من هذا الغلام ؟ قلت لا ماأدرى . قال على بن ابى طالب بن عبد المطلب ابن اخى . هلى تدرى من هذه المرأة ؟ قلت لا ماأدرى . قال هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن اخى هذا . ان ابن أخى هذا الذى ترى حدثنا أن ربه رب السموات والأرض امره بهذا الدين الذي هو عليه ، فهو عليه ولا والله ماعلمت على ظهر الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

قال عفيف فتمنيت بعد انى كنت رابعهم " (١)

ومن فضائلها رضى الله عنها : - مجئ جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم ليبلغها السلام من ربها ومنه ويبشرها ببيت في الجنة . ففي الصحيحين واللفظ للبخارى عن ابى هريرة قال : اتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذه خديجة قد اتت معها اناء فيه ادام أو طعام أو شراب فاذا هى اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومنى وبشرها ببيت في الجنة من قصب (٢) لا صخب (٣) فيه ولا نصب (٤) " (٥)

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات : الجزء (٨) ص ١٧ ، ١٨ ، وروى بنحوه ابن كثير في البداية والنهاية ، في فصل أول من اسلم من متقدمى الاسلام والصحابة وغيرهم المجلد (٢) الجزء (٣) ص ٢٥

(٢) وقوله " من قصب " قال جمهور العلماء المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف .

(٣) لا صخب : اى لا صياح .

(٤) ولا نصب : أى لا تعب ولا مشقة .

(٥) اخرجه البخارى فى باب تزويج النبى صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضى الله عنها المجلد (٢) الجزء (٤) ص ٢٣١ ، واخرجه مسلم فى باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها ، المجلد (٤) الجزء (٧) ص ١٣٣ .

وهذه فضيلة لم تثبت لأحد من نسائه صلى الله عليه وسلم وكل ماثبت للسيدة عائشة رضى الله عنها هو اقراء جبريل - عليه السلام - السلام لها .

ومن فضائلها ايضا أنها من افضل نساء العالمين ، روى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : حسبك (١) من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون " (٢)

وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال : خير نسائها (٣) مريم

---

(١) وفى قوله صلى الله عليه وسلم " حسبك من نساء العالمين " قال الطيبى (حسبك) مبتدأ و (من نساء) متعلق به ، ومريم خبره ، والخطاب اما عام أو لأنس ، أى كافيك معرفتك فضلهن عن معرفة سائر النساء .

(٢) اخرجه الترمذى واللفظ له في فضل خديجة رضى الله عنها ، المجلد (٥) ص ٣٦٧ وقال هذا حديث صحيح .

(٣) وفى قوله صلى الله عليه وسلم " خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة " قال القرطبى : الضمير عائد على غير مذكور ، لكنه يفسره الحال والمشاهدة يعنى به الدنيا .
وقال الطيبى : الضمير الاول يعود على الامة التى كانت فيها مريم والثانى على هذه الامه ولهذا كرر الكلام تنبيها على أن حكم كل واحدة منهما غير حكم الاخرى .
قال ابن حجر : ووقع عند مسلم من رواية وكيع عن هشام في هذا الحديث " وأشار وكيع الى السماء والارض " فكأنه أراد أن يبين ان المراد نساء الدنيا وان الضميرين يرجعان الى الدنيا . =

وخير نسائها خديجة " (١)

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا وكلها متفقة على أن مريم وخديجة وفاطمة وآسية هن من أفضل نساء العالمين .

والخلاف الذي بين العلماء هو اختلافهم في تعيين أولا هن

= ويحتمل أن يريد أن الضمير الأول يرجع الى السماء والثاني الى الأرض ان ثبت أن ذلك صدر في حياة خديجة ، وتكون النكتة في ذلك أن مريم ماتت فعرج بروحها الى السماء فلما ذكرها اشار الى السماء ، وكانت خديجة اذ ذاك في الحياة فكانت في الارض فلما ذكرها أشار الى الأرض .
وعلى تقدير أن يكون بعد موت خديجة فالمراد أنهما خير من صعد بروحهن الى السماء وخير من دفن جسدهن في الأرض وتكون الاشارة عند ذكر كل واحدة منهما .
ثم قال والذي يظهر لي أن قوله " خير نسائها " خبر مقدم والضمير لمريم فكأنه قال مريم خير نسائها أي نساء زمانها وكذا خديجة فتح الباري الجزء (٧) ص ١٣٥ .

(١) اخرجه البخاري في باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها رضي الله عنها ، المجلد (٢) الجزء (٤) ص ٢٣٠ .

والموازنة في الافضلية بينهن ، فأجتهد البعض في تعيين واحدة ، ولا أرى في ذلك فائدة اذ أن لكل واحدة منهن ميزة وخصائص .

فالسيدة مريم بنت عمران خصها الله تعالى بما لم يؤت احدا من النساء طهرها واصطفاها على نساء العالمين وكلمها روح القدس ونفخ في درعها وصدقت بكلمات ربها وكانت من القانتين وخديجة بنت خويلد امتازت بالسبق الى الاسلام ومواساتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموازرتها ومناصرتها له منذ بعثته الى أن توفيت .

وفاطمة بنت محمد امتازت بالبضعية الشريفة وقد قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم " انما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها . (١)

وأما آسية بنت مزاحم امرأة فرعون فقد امتازت ايضا بكثير من الخصائص ومن أهمها ذكرها في كتاب الله عز وجل بالثناء عليها .

قال الله تعالى " وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين " (٢)

---

(١) اخرجه مسلم في باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام المجلد (٤) الجزء (٧) ص ١٤١ .
(٢) سورة التحريم رقم الآية (١١) .

ومن فضائلها ايضا اكرامه صلى الله عليه وسلم لها في حياتهـا حيث لم يتزوج عليها حتى ماتت ففى الصحيح من طريق الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : لم يتزوج النبى صلى الله عليه وسلم على خديجة حتى ماتت" (١)

خروجها الى الشعب :-

ومن المعلوم ان وقوفها الى جانب رسول الله كان في كل أوقات الشدة والمحنة ، ولعل من اعظم المواقف التي واجهتها رضى الله عنها هو مقاطعة الاعداء له في الشعب ، حيث خرجت من بيتها رغبة في متابعته صلى الله عليه وسلم ، وذلك عندما رأت قريش أن مكائدها التي دبرتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد فشلت أجمعت أمرها على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ، وكتبت بذلك صحيفة وعلقتها في جوف الكعبة وتضمنت هذه الصحيفة ألا يتعاملوا معهم في بيع ولا شراء وألا يزوجوهم او يتزوجوا منهم ، عندئذ اضطر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة الى الاحتباس في شعب ابى طالب ، وانضم اليهم بنو هاشم وبنو المطلب ، وخرج من بني هاشم ابو لهب فقد انضم الى قريش يؤازرهم ويناصرهم ، واستمر الحصار مدة ثلاث سنوات ، قاسوا خلالها التعب والجوع والالم ولم تكن السيدة خديجة رضى الله عنها بأقل منهم ، حتى رثا لحالهم بعض ذوى الرحمة من قريش ، فتعاقدوا على نقض الصحيفة ،

---

(١) اخرجه مسلم في باب فضائل خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها ، المجلد (٤) الجزء (٧) ص ١٣٤ .

وكان من بين هؤلاء هشام بن عمرو ، الذى ساءته حال المسلمين وما هم عليه من تعب وعناء ، فمشى الى زهير بن ابى أمية ، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : يازهير ارضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء واخوالك حيث قد علمت ؟ اما أنى أحلف بالله لو كانوا اخوال ابى الحكم ثم دعوته الى مثل مادعا اليه ما أجابك ابدا . فقال له ويحك ياهشام وماذا أفعل وانا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمت في نقضها . فقال له قد وجدت رجلا . قال : ومن هو ؟ قال انا قال زهير ابغنا رجلا ثالثا . فذهب الى المطعم بن عدى وقال يامطعم أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وانت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ؟ أما والله لئن امكنتموهم من هذه لتجدنهم الى مثلها منكم اسرع . فقال ويحك وماذا أصنع انما انا رجل واحد ، قال قد وجدت ثانيا " . قال ومن هو ؟ قال انا . قال ابغنا ثالثا " . قال قد فعلت ، قال ومن هو ؟ قال زهير بن ابى امية . قال ابغنا رابعا . فذهب الى ابى البخترى بن هشام وقال له نحوا مما قال للمطعم بن عدى ، فقال له وهل من احد يعيننا على هذا ؟ قال نعم . قال ومن هو ؟ فذكر له اسماءهم فقال أبغنا خامسا . فذهب الى زمعة بن الاسود فكلمه في ذلك فقال له وهل على هذا الأمر من معين ؟ قال نعم . ثم سمى له القوم . ومن ثم تواعدوا على اللقاء في خطم الحجون ليلا ، وهناك تم اتفاقهم على القيام بنقض الصحيفة ، وقال لهم زهير انا ابدؤكم فأكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال : ياأهل مكة أنا كل الطعام ونلبس الثياب وبنوهاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ؟ والله لاأقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة ، وكان ابو جهل حينذاك جالسا

في ناحية المسجد فقال : كذبت والله لا تشق . فقال زمعة انت والله اكذب مارضينا بها حين كتبت . وقال ابو البخترى صدق زمعة لا نرضى ماكتبت فيها ولا نقربها . ثم قال المطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال غير ذلك . وقال هشام بن عمرو نحوا من هذا . فقال ابو جهل هذا أمر قد قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان . ثم قام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الأرض قد أكلتها الا كلمة باسمك اللهم . وبفشل هذا الحصار خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ليستأنفوا نشاطهم وخرجت معهم السيدة خديجة رضى الله عنها لتعود الى دارها ولكن الاعياء والتعب قد ألما بها فلازمت فراشها الى ان اسلمت روحها الطاهرة بين يدى رسول الله بعد أن اقامت معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح قاله ابن حجر . وقيل أربعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وهذا قول ابن عبد البر . وكانت وفاتها هى وأبو طالب فى عام واحد فكانت فجيعتين على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه سمى هذا العام الذى توفيا فيه بعام الحزن . وقيل ان وفاتها كان قبل مهاجرة صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وقيل باربع سنين وقيل بخمس سنين . وصحح ابن حجر القول الاول . ودفنت رضى الله عنها بالحجون ونزل قبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن يومها شرعت الصلاة على الجنائز . ولها من العمر خمس وستون سنه قاله الواقدى .

وفاؤه صلى الله عليه وسلم لها بعد وفاتها :

ولما انتقلت رضى الله عنها الى جوار ربها ظل طيفها ماثلا امام عينيه صلى الله عليه وسلم فكثيرا ماكان يذكرها على لسانه ولهذا كانت السيده عائشة رضى الله عنها تغار منها فقد جاء على لسانها انها قالت : ماغرت للنبي صلى الله عليه وسلم على امرأة من نسائه ماغرت على خديجة لكثرة ذكره اياها ومارأيتها قط " (١)

كما أن وفاءه لها لم يقف عند ذكرها فقط بل كان يحسن ايضا الى صديقاتها ويكرم من له صلة بها . فكان اذا ذبح الشاة وقطع اعضاءها خص بها اصدقاءها وأقرباءها .

وعن عائشة قالت : جاءت امرأة عجوز الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو عندى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أنت ؟ قالت أنا جثامة المزنية . فقال بل انت حسانة المزنية . كيف انتم؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ قالت بخير بأبي انت وأمي يارسول الله . فلما خرجت قلت يارسول الله تقبل على هذا العجوز هذا الاقبال ؟ فقال انها كانت تأتينا زمن خديجة وأن حسن العهد من الايمان " (٢)

---

(١) اخرجه مسلم في باب فضائل خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها المجلد (٤) الجزء (٧) ص ١٣٤ .

(٢) اخرجه الحاكم في مستدركه الجزء (١) ص ١٦ . وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في احاديث كثيرة وليس له علة .

ذلك هو الوفاء النادر الذى تمتعت به السيدة خديجة رضى اللــه عنها في قلب زوجها الحبيب محمد عليه أفضل الصلاة وازكى التسليم الى آخـر لحظات حياته . وانها لجديرة بهذا الوفاء والاحترام فهي التى وقفـت بجانبه تقاسمه وتشاطره متاعب الدعوة منذ أن نبئ الى أن اختارها اللــه . رضى الله عنها وأرضاها وجعل الجنة مثواها .

الفصل الثاني

" السيدة سودة بنت زمعة "

نسبها :- هي سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل (١) بن عامر بن لوى ." (٢)

امها الشموس بنت قيس : اسلمت سودة رضى الله عنها قديما ، وكانت تحت ابن عم لأبيها يقال له السكران بن عمرو ، قال ابن سيد الناس : هو أخو سهل وسهيل وسليط وحاطب ولكلهم صحبة " (٣) اسلم قديما وهاجر بها الى أرض الحبشة عندما أشتد اذى قريش للمسلمين في مكة ، ولما بلغتهم الاخبار بأن قريشا كفت اذاها عن المسلمين رجعا الى مكة قيل أنه مات بها ، وقيل انه مات بالحبشة .

زواجها : ولما تأيمت رضى الله عنها تزوجها رسول الله وكان ذلك بعد وفاة خديجة ولا خلاف فيه ، انما الخلاف في ان زواجها كان قبل عائشة أو بعدها ؟

فذهب البعض ومنهم قتادة وابو عبيدة وابن اسحاق الى ان زواجها قبل عائشة ، وذهب البعض الاخر ومنهم عبدالله بن محمد بن عقيل الى أن زواجها بعد عائشة ، وهذا ماقاله ايضا يونس عن ابن شهاب .

---

(١) ويقال حسيل كذا في العقد الثمين والاستيعاب .
(٢) كذا في أسد الغابة ، المجلد (٥) ص ٤٨٤ ، وعيون الأثر ج(٢) ص ٣٠٠ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج(٨) ص ٥٢ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ج (١٢) ص ٤٢٦ .
(٣) قاله ابن سيد الناس في عيون الأثر . ج (٢) ص ٣٠٠

ويجمع بين القولين بأنه صلى الله عليه وسلم عقد على عائشة قبل سودة ، ودخل بسودة قبل عائشة ، اذ التزويج يطلق على كل منهما وان كان المتبادر الى الفهم الأول . (١)

روى الامام احمد في مسنده عن محمد بن عمرو عن ابو سلمة ويحيى قالا لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت يارسول الله ألا تزوج ؟ قال من ؟ قالت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا ، قال فمن البكر ؟ قالت ابنة أحب خلق الله عز وجل اليك عائشة بنت ابى بكر ، قال ومن الثيب ؟ قالت سودة ابنة زمعة قد آمنت بك وأتبعتك على ماتقول ، قال فاذهبى فاذكريهما ، فدخلت بيت ابى بكر فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عز وجل عليكم من الخير والبركة ، قالت وماذاك؟ قالت ارسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة ، قالت انتظرى ابا بكر حتى يأتى فجاء ابو بكر فقالت يا أبابكر ماذا ادخل الله عليكم من الخير والبركة ؟ قال وماذاك ؟ قالت أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطب عليه عائشة ، قال وهل تصلح له انما هى ابنة اخيه ، فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك ، قال أرجعى اليه فقولى له انا اخوك وأنت اخى فى الاسلام ، وابنتك تصلح لى ، فرجعت فذكرت ذلك له قال انتظرى وخرج ، قالت أم رومان أن مطعم بن عدى قد كان ذكرها على ابنه فوالله ماوعد وعدا قط فاخلفه لابى بكر ، فدخل أبو بكر على مطعم بن عدى وعنده امرأته أم الفتى ، فقالت ياابن ابى

---

(١) اى العقد ، فللبخارى في كتاب النكاح عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها وهى بنت ست سنين وأدخلت عليه وهى بنت تسع .. " المجلد (٣) جـ (٦) ص (١٣٤) .

قحافة لعلك مصب صاحبنا مدخله في دينك الذي أنت عليه ان تزوج اليـك ،
قال ابو بكر للمطعم بن عدي أقول هذه تقول ، قال انها تقول ذلك ، فخرج
من عنده وقد أذهب الله عز وجل ماكان في نفسه من عدته التي وعده ، فرجع
فقال لخولة ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجها اياه وعائشة
يومئذ بنت ست ستين ، ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت
ماذا أدخل الله عز وجل عليك من الخير والبركة ؟ قالت وماذاك ؟ قالت
أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه ، قالت وددت : أدخلي
الى أبي فاذكري ذاك له ، وكان شيخا كبيرا قد أدركه السن قد تخلف عن
الحج ، فدخلت عليه فحييته بتحية الجاهلية ، فقال من هذه ؟ فقالت
خولة بنت حكيم ، قال فما شأنك ؟ قالت أرسلني محمد بن عبدالله أخطب
عليه سودة ، قال كفء كريم ، ماذا تقول صاحبتك ؟ قالت تحب ذاك ، قال
ادعها لي فدعوتها قال أي بنية أن هذه تزعم أن محمد بن عبدالله بن
عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم أتحبين أن ازوجك به ؟ قالت
نعم قالت أدعيه لي ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه فزوجها
اياه ، فجاءها أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثي في رأسه
التراب فقال بعد أن أسلم لعمرك اني لسفيه يوم احثي في رأسي التراب
أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة ..." (١)

---

(١) رواه الامام احمد واللفظ له ، ج(٦) ص ٢١٠ ، ٢١١ ، وأورده
الهيثمي في مجمع الزوائد وقال في الصحيح طرف منه ، ورواه احمد بعضه
فيه الاتصال عن عائشة واكثره مرسل وفيه محمد بن عمرو بن علقمة
وثقة غير واحد وبقية رجاله رجال الصحيح . ج (٩) ص ٢٢٥ ،
٢٢٧ .

وقد أفاد الحديث أن والدها هو الذى زوجها ، قال ابن هشام وقيل زوجه اباها سليط بن عمرو ويقال ابو حاطب واشار الى أن ابن اسحاق يخالف هذا ويذكر انهما كانا غائبين بأرض الحبشه في هذا الوقت .

وقد صح انها وهبت يومها لأحب الناس الى قلب رسول الله ، الا وهى السيدة عائشة رضى الله عنها ، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يقسم لها يومين يومها ويوم سودة .

روى البخارى في صحيحه عن عائشة ان سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة " (١)

كما رواه مسلم عنها ايضا ولفظه انها قالت مارأيت امرأة أحب الى ان اكون في مسلاخها (٢) من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة (٣) قالت فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة قالت يارسول الله قد جعلت يومى منك لعائشة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم (٤) لعائشة يومين يومها ويوم سودة " (٥)

---

(١) اخرجه البخارى في كتاب النكاح ، المجلد (٣) الجزء (٦) ص(١٥٤)

(٢) المسلاخ : بكسر الميم وبالخاء المعجمة وهو الجلد ، والمراد هنا هديها وسيرتها .

(٣) وقوله " فيها حدة " أى حديدة القلب حازمة الرأى .

(٤) وقولها " فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة " قال الامام النووى معناه انه كان يكون عند عائشة في يومها ، ويكون عندها ايضا في يوم سودة ، لا أنه يوالى لها اليومين والاصح عند اصحابنا انه لا يجوز الموالاة للموهوب لها الا برضى الباقيات وجوزه بعض أصحابنا بغير رضاهن وهو ضعيف " شرح النووى على صحيح مسلم ج (١٠) ص ٤٩ .

(٥) اخرجه مسلم في كتاب الرضاع ، المجلد (٢) الجزء (٤) ص ١٧٤ .

وفي الفتح قال ابن حجر : وأخرج ابو داود هذا الحديث وزاد فيه بيان سببه اوضح من رواية مسلم ، فروى عن احمد بن يونس عن عبد الرحمن بن ابى الزناد عن هشام بن عروة با لسند المذكور " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض في القسم " الحديث ، وفيه " ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنت وخافت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله يومي لعائشة ، فقبل ذلك منها (١)

كما أخرج الترمذى بنحوه من حديث ابن عباس قال : خشيت سودة أن يطلقها النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالت : لا تطلقني وامسكني واجعل يومى لعائشة ، ففعل فنزلت " فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ، فما أصطلحا عليه من شئ فهو جائز " (٢)

وأخرج ابن سعد بسند رجاله ثقات من رواية القاسم ابن ابى بزة مرسلا : أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الى سودة بطلاقها فلما اتاها جلست على طريقه بيت عائشة ، فلما رآه قالت أنشدك بالذى أنزل عليك كتابه واصطفاك على خلقه لم طلقتنى الموجدة وجدتها في ؟ قال لا قالت فانى أنشدك بمثل الأولى اما راجعتنى وقد كبرت ولا حاجة لى فى الرجال ولكنى أحب أن ابعث في نسائك يوم القيامه . فراجعها النبى صلى الله عليه وسلم قالت فانى قد جعلت يومى وليلتى لعائشة حبة رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٣)

---

(١) فتح البارى ، جـ (٩) ص ٣١٣

(٢) اخرجه الترمذى فى ابواب تفسير القرآن ، تفسير سورة النساء ، المجلد (٤) ص ٣١٥ . وقال هذا حديث حسن صحيح .

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات المجلد (٨) ص (٥٤)

ومن هذه الروايات نلاحظ أن مارواه ابو داود والترمذى يدلان على أنها خشيت الطلاق فوهبت يومها ، وماوراه ابن سعد يفيد ان هبتها كانت بعد طلاقها .

والراجح كما جاء في تحفة الأحوذى ماروراه الترمذى وابو داود فقال : رواية ابن سعد هذه مرسلة وهى لا تقاوم حديث ابن عباس وماوافقه في أن سودة خشيت الطلاق فوهبت " (١)

وقد صح أنها استأذنت رسول الله يوم مزدلفة أن تدفع قبل حطمة الناس فأذن لها .

روى الشيخان واللفظ لمسلم عن عائشة قالت : وددت انى كنت استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنته سودة فأصلى الصبح بمنى فأرمى الجمرة قبل أن يأتى الناس فقيل لعائشة فكانت سودة ، استأذنته قالت نعم انها كانت امرأة ثقيلة ثبطة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها " (٢)

---

(١) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى " للامام الحافظ المباركفورى . ج (٨) ص ٤٠٤ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة الى منى في اواخر الليل قبل زحمة الناس واستحباب المكث لغيرهم حتى يصلوا الصبح بمزدلفة في المجلد (٢) ج (٤) ص ٧٦ ، ٧٧ ، واخرجه البخارى فى كتاب الحج ايضا ، المجلد (١) ج (٢) ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

ومن مناقبها رضى الله عنها :-

أنها كانت على هدى وسيرة حسنة ، وقد شهدت لها بذلك أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها كما فى الحديث السابق حيث قالت : مارأيت امرأة أحب الى أن اكون فى مسلاخها من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة " (١)

كما اتصفت رضى الله عنها بالزهد وحب الصدقة ، روى ابن سعد باسناد صححه ابن حجر في الاصابة عن محمد بن سيرين ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث الى سودة بغرارة من دراهم فقالت ماهذه ؟ قالوا : دراهم ، قالت فى غرارة مثل التمر ثم فرقتها " (٢)

مروياتها :- لها رضى الله عنها عدة أحاديث أخرج لها البخارى حديثا واحدا (٣) روت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها ابن عباس ويحى بن عبدالله الأنصارى ، ومن مروياتها التى انفرد باخراجها البخارى انها قالت : ماتت لنا شاة فدبغنا مسكها (٤) ثم مازلنا ننبذ (٥) فيه

---

(١) هذا الحديث سبق ذكره وتخريجه
(٢) بتصرف من الطبقات ج (٨) ص ٥٦ ورواه ابن حجر في الاصابة الجزء (٤) ص (٣٣٩) والزرقاني من طريقة فى شرحه على المواهب اللدنيه ، المجلد (٣) ص ٢٢٩ .
(٣) وقيل حديثين كذا في أعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام .
(٤) مسكها : أى جلدها
(٥) ننبذ : ننقع

حتى صارت شنا (١) - (٢)

وفاتها : توفيت رضى الله عنها بالمدينة ، واختلفوا في سنة وفاتها فقيل توفيت فى آخر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه جزم بذلك ابن الاثير والذهبى ، وفى عيون الأثر قال هذا هو المشهور فى وفاتها ، وقال الخميس انه الأصح ، وكان وفاة عمر فى آخر ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ورجح الواقدى أن وفاتها في شوال سنة أربع وخمسين فى خلافة معاوية ، وقال الحافظ ابن حجر في التقريب ان وفاتها سنة خمس وخمسين على الصحيح وقال ابن حبان : من زعم انها اخت عبد الله بن زمعة فقد وهم وهى أول امرأة تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت خديجة وماتت سنه خمس وستين .

والراجح ان شاء الله القول الأول لاننا كما نعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها وقد تخطت مرحلة الشباب .

---

(١) شنا : باليا ، والشنة هى القربة العتيقة قاله ابن حجر في الفتح .
(٢) أخرجه البخارى في كتاب الايمان والنذور المجلد (٤) ج(٧) ص ٢٣٠

الفصل الثالث

" السيدة عائشة بنت ابى بكر "

نسبها :-

هي عائشة بنت (ابى بكر) ، عبد الله بن (ابى قحافة) عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لوى القرشى التيمى (١) والدها خليفة رسول الله ، وصاحبه في الغار ومن العشرة المبشرين بالجنة ، شهد المشاهد مع رسول الله واشتهر في جميع مواقفه بالشجاعة ، منها موقفه المشرف يوم وفاة رسول الله التي كادت تكون فتنة عصم الله المسلمين منها حين وقف في الناس وقال لهم : " الا من كان يعبد محمدا فان محمدا صلى الله عليه وسلم قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت " (٢) ثم تلا عليهم الآيتين الكريمتين قوله تعالى " انك ميت وانهم ميتون " (٣) وقوله " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات ، أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين " (٤)

---

(١) كذا في الاصابة عند ترجمة ابيها (ابى بكر) . الجزء (٢) ص ٣٤١ ، واسد الغابة في معرفة الصحابة الجزء (٣) ص ٢٠٥ .

(٢) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في باب مناقب المهاجرين وفضلهم . المجلد (٢) الجزء (٤) ص ١٩٤ . واخرجه ابن ماجه في كتاب الجنائز ولفظه : من كان يعبد الله فان الله حي لم يمت ومن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات . المجلد (١) ص ٥٢٠

(٣) سورة الزمر آية رقم ٣٠

(٤) سورة آل عمران آية رقم ١٤٤ .

امها ام رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة ابن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة" (١)

وقيل غير ذلك في نسبها لكنهم اجمعوا على أنها من بني غنم بن مالك ابن كنانة ، وكانت تحت عبد الله بن الحارث بن سخبرة (٢) توفي عنها بعد أن ولدت له الطفيل فخلف عليها ابو بكر فولدت له عبد الرحمن وعائشة . وكانت عائشة رضى الله عنها تكنى بأم عبد الله فقد روى أنها استأذنت رسول الله في الكنية فقالت : يارسول الله كل صواحبي لهن كنى قال فاكتني بابنك عبد الله" (٣)

وفي رواية عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله : كل نسائك لها كنية غيرى ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتني ،

---

(١) كذا في الاصابة الجزء (٤) ص ٤٥٠ . والاستيعاب في معرفة الاصحاب الجزء (٤) ص ٤٤٨ .
والعقد الثمين الجزء (٨) ص ٣٤١ . وطبقات ابن سعد الجزء (٨) ص ٢٧٦ .

(٢) وهذا قول الواقدى كذا في الاصابة والاستيعاب ، وعند ابن سعد امرأة الحارث بن سخبرة .

(٣) اخرجه ابو داود في كتاب الأدب - باب في المرأة تكنى - المجلد (٢) الجزء (٤) ص ٢٩٣ . وفي التاج الجامع للأصول قال رواه ابو داود بسند صالح . ذكره في كتاب الأدب . باب اللقب والكنية المجلد (٥) ص ٢٧٨ .

أنت أم عبدالله (١) ، فكان يقال لها أم عبدالله حتى ماتت ولم تلد قط . (٢)

مولدها وزواجها :-

ولدت رضى الله عنها بعد البعثة النبوية قبل بأربع سنين وقيل بخمس سنين اسلمت هى واختها اسماء في زمن كان المسلمون انذاك قلة معدودة ، ونشأت رضى الله عنها وهى متوقدة الزكاء حاضرة البديهة سريعة الخاطر ، تزوجها عليه الصلاة والسلام وكان عمرها اذ ذاك ست أو سبع سنين كما ثبت في الصحيحين . فقد روى البخارى في صحيحه عنها : ان النبى صلى الله عليه وسلم تزوجها وهى بنت ست سنين .. " (٣)

وكذا عند مسلم (٤) في احدى الروايتين . وفى أخرى (٥) تزوجها وهى بنت سبع سنين .

---

(١) قال الشيخ احمد البنا فى كتابه الفتح الربانى مع مختصر شرحه بلوغ الأمانى : يريد عبدالله بن الزبير ، وهو ابن اختها أسماء . كناها النبى صلى الله عليه وسلم جبرا لخاطرها لانها لم يكن لها أولاد ولم تلد قط كما في الحديث وما يقال من انها اسقطت سقطا فسموه عبدالله لا يعول عليه . ج (١٣) ص ١٥٦ .

(٢) اخرجه الامام احمد في مسنده . الجزء (٦) ص ١٥١ . وفى الفتح الربانى اشار احمد البنا الى انه حديث صحيح . الجزء (٢٢) ص ١١٢

(٣) اخرجه البخارى في كتاب النكاح . المجلد (٣) الجزء (٦) ص ١٣٤ .

(٤) ذكره مسلم في كتاب النكاح . المجلد (٢) الجزء (٤) ص ١٤٢ .

(٥) ذكره ايضا فى نفس الجزء والصفحة .

قال ابن حجر في الجمع بينهما بأنها اكملت السادسة ودخلت السابعة (١) ولا خلاف أنه أعرس بها في المدينة وهي بنت تسع سنين . فقد صح عنها أنها قالت : تزوجني (٢) النبي صلى الله عليه وسلم وانا بنت ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن خزرج فوعكت (٣) فتمرق (٤) شعرى فوفى (٥) جميمة (٦) فأتتني امى أم رومان واني لفي أرجوحة (٧) ومعي صواحب لي فصرخت بي فاتيتها لاأدرى ماتريد بي فأخذت بيدي حتى اوقفتني على باب الدار واني لانهج (٨) حتى سكن

---

(١) قاله في كتابه الاصابه في تمييز الصحابة . الجزء (٤) ص ٣٥٩ .
(٢) التزويج هنا بمعنى العقد .
(٣) فوعكت : قال النووى الوعك الم الحمى . والمعنى انها موعوكة بالحمى
(٤) فتمرق : أى انتتف .
(٥) فوفى : اى كثر . قال ابن حجر في الفتح وفي الكلام حذف تقديره ثم فصلت من الوعك فتربى شعرى فكثر .
(٦) جميمة : تصغير جمة قال ابن حجر يقال للشعر اذا سقط عن المنكبين جمة واذا صار الى شحمة الأذنين وفرة .
(٧) والأرجوحه كما وضحها الامام النووى هي عبارة عن خشب يلعب عليها الصبيان والجوارى الصغار يكون وسطها على مكان مرتفع ويجلسون على طرفيها ويحركونها فيرتفع من جانب وينخفض من الجانب الآخر .
(٨) لأنهج أى اتنفس نفسا عاليا .

بعض نفسي ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم ادخلتني الدار فاذا نسوة من الأنصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر (١) فاسلمتني اليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني (٢) الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فأسلمتني اليه وانا يومئذ بنت تسع سنين. (٣)

وثبت في الصحيح ان بناءه بها كان في شهر شوال فكانت رضي الله عنها تستحب أن تدخل نساءها في ذلك الشهر.

روى مسلم في صحيحه عن عروة عنها قالت، تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال فأي نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان احظى عنده مني، قال: وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال" (٤)

---

(١) وعلى خير طائر : اى على خير حظ ونصيب.
(٢) فلم يرعني : اى لم يرعني شيء الا دخوله علي.
(٣) اخرجه البخاري في باب المناقب. المجلد (٢) الجزء (٩) ص (٢٥١، ٢٥٢). واخرجه مسلم في كتاب النكاح. باب تزويج الاب البكر الصغيرة. المجلد (٢) الجزء (٤) ص (١٤١، ١٤٢) واخرجه الامام احمد مطولا من طريق ابي سلمه ويحيى. الجزء (٦) ص ٢١٠، ٢١١، واللفظ للبخاري.
(٤) اخرجه مسلم في كتاب النكاح. المجلد (٢) الجزء (٤) ص ١٤٢ والترمذي في ابواب النكاح. باب ماجاء في الاوقات التي يستحب فيها النكاح. الجزء (٦) ص ٢٧٧. والنسائي في كتاب النكاح المجلد (٣) الجزء (٦) ص ١٣٠. وابن ماجه في كتاب النكاح باب متى يستحب البناء بالنساء. المجلد (١) ص ٦٤١. واللفظ لمسلم.

قال الامام النووي في شرحه قصدت / عائشه بهذا الكلام رد ماكانت الجاهلية عليه ومايتخيله بعض العوام اليوم من كراهة التزوج والتزويج والدخول في شوال وهذا باطل لا أصل له ، وهو من آثار الجاهلية كانوا يتطيرون بذلك لما في اسم شوال من الاشالة والرفع" (١)

ونظرا لصغر سنها عند الزواج ظلت رضى الله عنها تلعب مع صواحبها لفترة من الزمن وكما ذكرت كان عليه الصلاة والسلام يقدر حداثه سنها وحاجتها الى اللعب فكان يرسل اليها صواحبها اللاتى يأتينها ثم ينقمعن حياء وهيبة منه .

روى عن هشام بن عروة عن ابيه عنها انها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكانت تأتيني صواحبي فكن ينقمعن (٢) من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر بهن (٣) الى " (٤)

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ـ الجزء (٩) ص (٢٠٩)
(٢) ينقمعن : أى يتغيبن .
(٣) يسر بهن : أى يرسلهن .
(٤) اخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهم . المجلد (٤) الجزء (٧) ص ١٣٥ . واخرجه البخارى فى كتاب الأدب ، المجلد (٤) الجزء (٧) ص ١٠٢ ، واخرجه احمد في مسنده الجزء (٦) ص ٢٣٤ . واللفظ لمسلم .

كما أنه مكنها من رؤية الأحباش وهم يلعبون في المسجد تقول رضي الله عنها : " جاء حبش يزفنون (١) في يوم عيد في المسجد فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر الى لعبهم حتى كنت انا التى انصرف عن النظر اليهم " (٢)

وهكذا قضت رضى الله عنها طفولتها فى بيت النبوة ، ومرت الأيام وأخذت رضى الله عنها تتفهم الحياة وتعرف أنها ليست زوجة عادية وانما زوجة لأشرف خلق الله تعالى الذى كان على كاهله نشر الدعوة الاسلامية فكان عليها أن تتحمل معه هذا العبء الكبير .

مكانتها عند الرسول :-

لقد احتلت رضى الله عنها المكانة الأولى من بين سائر نسائه ولعل مايؤيد ذلك ماروى عن عمرو بن العاص حين سأله عن أحب الناس اليه فقال : عائشة " (٣)

---

(١) وقولها يزفنون أى يرقصون ، قال الامام النووى وحمله العلماء على التوثب بسلاحهم ولعبهم بحرابهم على قريب من هيئة الراقص ، لأن معظم الروايات انما فيها لعبهم بحرابهم فيتناول هذه اللفظه على موافقة سائر الروايات . شرح النووى على صحيح مسلم الجزء (٦) ص١٨٦ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة العيدين . باب الرخصة في اللعب الذى لا معصية فيه في ايام العيد المجلد (٢) الجزء (٣) ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) واصل الحديث ذكره البخارى في كتاب فضائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . المجلد (٢) الجزء (٤) ص ١٩٢ . ومسلم في كتاب فضائل اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . المجلد (٤) الجزء (٧) ص١٠٩ . والترمذى في المناقب المجلد (٥) ص ٣٦٤ .

ولما روى عن ابن ابى مليكة أن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها لما بلغها موت السيدة عائشة : قالت " والذى نفسى بيده لقد كانت أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا اباها" (١) فكن بواسطتها يسترضين رسول الله اذا غضب على واحدة منهن . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على صفية بنت حيي فى شئ فقالت صفية ياعائشة ارضى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولك يومى فقالت نعم . فأخذت خمارا لها مصبوغا بزعفران فرشته بالماء ليفوح ريحه فقعدت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك ياعائشة انه ليس يومك قالت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء واخبرته بالأمر فرضى عنها " (٢)

ان منزلتها الرفيعة عند رسول الله جعلت الناس يتحرون يومها ليقدموا للنبى صلى الله عليه وسلم هداياهم ابتغاء بذلك مرضاة رسول الله وقد ثبت ذلك فى الصحيحين وغيرهما .

وهذا ماجعل أمهات المؤمنين يغرن منها اذا دفعتهن الغيرة الى أن يوفدون اليه ابنته فاطمة رضى الله عنها لتقول له : ان ازواجك

---

(١) اخرجه الحاكم في مستدركة . الجزء (٤) ص ١٣ ، ١٤ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) اخرجه الامام احمد في مسنده عن أم المؤمنين عائشة . الجزء (٦) ص ٩٥ . وفى الفتح الرباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني قال الشيخ احمد البنا سنده جيد . الجزء (٢٢) ص ٢١٢ .

ارسلنني اليك يسألنك العدل في ابنة ابي قحافة " .

ففي صحيح مسلم أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : أرسل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في مرطي (١) فأذن لها فقالت يارسول الله ان أزواجك ارسلنني اليك يسألنك العدل في ابنة ابي قحافة وأنا ساكتة قالت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بنية ألست تحبين ماأحب فقالت بلى قال فأحبي هذه قالت فقامت فاطمة حين سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعت الى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرتهن بالذى قالت وبالذى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن لها مانراك اغنيت عنا من شيء فارجعي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولي له ان ازواجك ينشدنك (٢) العدل في ابنة ابي قحافة فقالت فاطمة والله لا أكلمه فيها أبداً قالت عائشة فأرسل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي كانت تساميني منهن في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب واتقى الله واصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذى تصدق به وتقرب به الى الله تعالى ماعدا سورة (٣) من

---

(١) والمرط كما قاله السيوطي هو كساء من صوف وربما كان من خز أو غيره .
(٢) ينشدنك : يسألنك .
(٣) سورة : بسين مفتوحة وواو ساكنة اى ثوران وعجلة غضب .

حدة (١) كانت فيها تسرع منها الفيئة (٢) قالت فاستأذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع عائشة في مرطها على الحالة التى دخلت فاطمة عليها وهو بها فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ازواجك ارسلننى اليك يسألنك العدل في ابنة ابى قحافة قالت ثم وقعت بى فاستطالت على وانا أرقب (٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرقب طرفه هل يأذن لى فيها قالت فلم تبرح زينب حتى عرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكره أن انتصر (٤) قالت فلما وقعت بها لم أنشبها (٥) حتى انحيت (٦) عليها قالت فقال

---

(١) الحدة هى شدة الخلق

(٢) الفيئة : بفتح الفاء وهي الرجوع والمعنى انها كاملة الأوصاف الا أن فيها شدة خلق وسرعة غضب ولكن سرعان ماترجع عنه .

(٣) ارقب : أى أنظر .

(٤) ان انتصر منها: أى أن انتقم منها . قال الامام النووى ليس فيه دليل على ان النبى صلى الله عليه وسلم اذن لعائشة ولا أشار بعينه ولا غيرها بل لا يحل اعتقاد ذلك فانه صلى الله عليه وسلم تحرم عليه خائنة الأعين وانما فيه انها انتصرت لنفسها فلم ينهها .

(٥) لم أنشبها : أى لم امهلها .

(٦) انحيت عليها : أى قصدتها واعتمدتها بالمعارضة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم انها ابنة ابى بكر(١) " (٢)

وعلى الرغم من هذه المنزلة التى كانت تتمتع بها عند رسول الله الا انها كانت اكثرهن غيرة وأشدهن حساسية في هذا الأمر .

ففي الصحيح عن انس رضى الله عنه : ان النبى صلى الله عليه وسلم كان عند بعض نسائه ، فأرسلت (٣) احدى امهات المؤمنين مع خادم بقصعة (٤) فيها طعام ، فضربت بيدها فكسرت القصعة فضمها وجعل فيها الطعام وقال : كلوا . وحبس الرسول والقصعة حتى فرغوا ، فدفع (٥) القصعة الصحيحة وحبس المكسورة " (٦)

---

(١) وقوله صلى الله عليه وسلم " انها ابنة ابى بكر " فيه اشارة الى كمال فهمها ومتانة عقلها .

(٢) اخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهم المجلد (٤) الجزء (٧) ص ١٣٥ ، ١٣٦ . والنسائي فى كتاب عشرة النساء المجلد (٤) الجزء (٧) ص ٦٤ الى ٦٦ . واللفظ لمسلم .

(٣) وقوله " فأرسلت " قال ابن حجر في الفتح ان المرسلة هى زينب بنت جحش وعزاه الى ابن حزم في المحلي . واما الخادم فقد قال بأنه لم يقف على اسمها .

(٤) القصعة : اناء من خشب .

(٥) وقوله " فدفع القصعة الصحيحة وحبس المكسورة " أى انه دفع القصعة الصحيحة الى التى كسرت قصعتها وامسك المكسورة في بيت التى كسرت

(٦) اخرجه البخارى في كتاب المظالم . المجلد (٢) ج (٣) ص ١٠٨ والترمذى في ابواب الاحكام المجلد (٢) ص (٤٠٦) واللفظ للبخارى .

وروى عنها انها قالت ، مارأيت صانعة طعام مثل صفية أهدت الـــى النبى صلى الله عليه وسلم اناء فيه طعام فما ملكت نفسى ان كسرته ، فسألــت النبى صلى الله عليه وسلم عن كفارته فقال اناء كاناء وطعام كطعام " (١)

هذا وقد ذكرت (٢) فيما سبق بعض الأحاديث التي وردت فـــى الصحيحين والتى أبرزت لنا مدى غيرتها من السيدة خديجة رضى الله عنها .

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء . باب الغيره . المجلد (٤) الجزء (٧) ص (٧١) .
وفي الفتح اشار ابن حجر أن اسناده حسن . الجزء (٥) ص(١٢٥) واخرجه ايضا الامام احمد في مسنده ج(٦) ص(١٤٨) واللفـــظ للنسائى .

(٢) في ترجمة السيدة خديجة رضى الله عنها .

عائشة وحديث الافك :-

الجميع يعلم انه لم يعكر صفاء العلاقة التي بينها وبين رسول الله طيلة حياتها سوى محنة الافك . فقد كانت سحابة سوداء مرت بحياتها ، وقد نشأت من القلوب الحاقدة الحاسدة التي ماتركت فرصة تؤذى فيها رسول الله الا وانتهزتها ، وقد وقعت هذه الحادثة عندما خرج رسول الله لغزوة بني المصطلق وكان عليه الصلاة والسلام من عادته اذا أراد الخروج لسفر أو غيره أقرع بين نسائه ، وفى خروجه لتلك الغزوة وقعت القرعة على السيدة عائشة رضى الله عنها فاصطحبها معه وكان ذلك بعدما نزل الأمر بالحجاب ، وبعد أن فرغ رسول الله من غزوته رجع هو والجيش فركبت رضى الله عنها هودجها ، وفى الطريق قرب دخولهم المدينة آذن بالرحيل بعد أن اناخ المعسكر ، وكانت رضى الله عنها اثناء استراحة الجيش خرجت لتقضى حاجتها حتى جاوزتهم وبينما هى عائدة لمست صدرها فاذا عقد لها من جزع أظفار قد انسل ، فرجعت تلتمسه وحبسها ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لها البعير فحملوا هودجها وانطلقوا مسرعين ولم يفطنوا بغيابها ولم يستنكروا ايضا خفة الهودج ، لأنها كانت خفيفة الجسم شأن النساء في ذلك الوقت ، ولما عثرت على عقدها المفقود عادت الى منازل الجيش فوجدت القوم قد رحلوا فقصدت منزلها الذى نزلت فيه أول الأمر فبينما هى كذلك غلبها النوم فنامت ، ومر صفوان بن المعطل السلمى وقد استأخر عن الجيش فرأى سواد انسان نائم فاتاها وعرفها واستيقظت رضى الله عنها باسترجاعه وغطت وجهها بجلبابها وقرب اليها البعير فتحدث الناس بدخولها مع صفوان ملصقين بها التهمة ، وكان الذى تولى كبر

هذا الافك رئيس المنافقين عبدالله بن ابى بن سلول وبعد دخولها المدينة أصيبت رضى الله عنها بمرض فلازمت فراشها قرابة شهر والناس يفيضـــون في حديث الافك وماعلمت به الا بعد ماخرجت مع أم مسطح قبل المناصـــع اذ أخبرتها بالحديث فازداد مرضها ولمارجعت الى بيتها استأذنت رسول الله في الذهاب الى بيت ابيها لتتيقن من الخبر فسمح لها النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فسألت أمها بم يتحدث به الناس وبكت رضى الله عنهـــا بكاء مرا ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب واسامة بن زيد يستشيرهما في هذه المحنة التى كادت تحدث فتنة خطيرة بيـــن الأوس والخزرج لولا أن الله تدارك المسلمين بلطفه اذ كان فيهم رسول اللـه فلم يزل يهدأ الامر بينهم حتى سكتوا ، وأنزل الله عشر آيات بينات واضحات فيها تبرئة السيدة عائشة رضى الله عنها من هذه التهمة الباطلة .

والحديث بلفظه كما جاء في البخارى عن ابن شهاب قال : اخبرنـي عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبداللـه بن عتبه بن مسعود عن حديث عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى اللـه عليه وسلم حين قال لها أهل الافك (١) ماقالوا ، فبرأها الله مما قالـوا ، وكل حدثنى طائفة من الحديث ، وبعض (٢) حديثهم يصدق بعضا ،

---

(١) الافك هو الكذب الشديد .

(٢) وفى قوله " وبعض حديثهم يصدق بعضا " قال ابن حجر فى الفتـح كأنه مقلوب والمقام يقتضى أن يقول وحديث بعضهم يصدق بعضـا ويحتمل ان يكون على ظاهرة أى أن بعض حديث كل منهم يـدل على صدق الراوى في بقية حديثه لحسن سياقه وجودة حفظه .

وان كان بعضهم أوعى (١) له من بعض ، الذى حدثنى عروة عن عائشة ان عائشة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج أقرع بين ازواجه ، فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه . قالت عائشة فأقرع بيننا فى غزوة (٢) غزاها فخرج سهمى ، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مانزل الحجاب ، فانا احمل فى هودجى (٣) وانزل فيه . فسرنا حتي اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل (٤) ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل ، فقمت حين آذ نوا

---

(١) وفي قوله " وان كان بعضهم أوعى له من بعض قال ابن حجر في نفس المصدر السابق هو اشارة الى ان بعضهم " الا ربعة أميز فى سياق الحديث من بعض من جهة حفظ اكثره لا أن بعضهم اضبط من بعض مطلقا ولهذا قال " اوعى له " اى للحديث المذكور خاصة .

(٢) في غزوة غزاها ، هى غزوة بنى المصطلق كما جاء في الفتح وغيره .

(٣) والهودج كما قاله ابن حجر هو محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه ويوضع على ظهر البعير يركب عليه النساء ليكون استر لهن .

(٤) قفل بمعنى رجع .

بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني اقبلت الى رحلي ، فاذا عقد (١) لي من جزع (٢) ظفار (٣) قد انقطع ، فالتمست عقدى وحبسني ابتغاؤه . واقبل الرهط (٤) الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي ، فرحلوه على بعيرى الذى كنت ركبت وهم يحسبون انى فيه ، وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم انما تأكل العلقة (٥) من الطعام ، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه ، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ، فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش ، فجئت منازلهم (٦) وليس بها داع ولا مجيب . فأممت (٧) منزلي الذى كنت به ، وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش ، فادلج (٨) فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد انسان نائم ، فأتاني

---

(١) والعقد هى القلادة التى تعلق في العنق للتزين بها .
(٢) والجزع هو خرز يماني .
(٣) وظفار كما قاله النووى هو بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء مبنيه على الكسر تقول هذه ظفار ، ودخلت ظفار ، والى ظفار بكسر الراء بلا تنوين في الاحوال كلها وهي قرية في اليمن .
(٤) والرهط : هم جماعة دون العشرة قاله النووى .
(٥) والعلقة كما جاء في ارشاد السارى هو القليل من الطعام .
(٦) فجئت منازلهم : اى المكان التى كانوا نازلين بها .
(٧) فأممت منزلي : اى قصدته .
(٨) فادلج : قال ابن حجر بسكون الدال في روايتنا وهو كادلج بتشديدها وقيل بالسكون سار من أوله ، وبالتشديد سار من آخره ، وعلى هذا فيكون الذى هنا بالتشديد لانه كان في آخر الليل .

فعرفني حين رآني ، وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظت (١) باسترجاعه حين عرفني ، فخمرت (٢) وجهي بجلبابي ، والله ماكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش بعد مانزلوا موغرين (٣) في نحر (٤) الظهيرة ، فهلك من هلك ، وكان الذى تولى الافك عبد الله بن ابى ابن سلول ، فقدمنا المدينة ، فاشتكيت حين قدمت شهرا ، والناس يفيضون في قول اصحاب الافك ، ولا أشعر بشئ من ذلك ، وهو يريبني في وجعي اني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكي ، انما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ، ثم ينصرف ، فذاك الذى يريبني ولا أشعر (٥) بالشر ، حتى خرجت بعد مانقهت (٦) فخرجت معي

---

(١) فاستيقظت باسترجاعه : اى استيقظت من نومي بقوله انا لله وانا اليه راجعون .
(٢) فخمرت وجهي : أى غطيته .
(٣) موغرين : أى نازلين في وقت الوغرة وهي شدة الحر .
(٤) ونحر الظهيرة : وقت القائلة وشدة الحر وهو تأكيد لقوله موغرين .
(٥) ولا أشعر بالشر : اى ولا اعلم بما يتقوله أهل الافك .
(٦) وفي قوله " نقهت " قال ابن حجر هو بفتح القاف وقد تكسر ، والأول اشهر ، والناقه بكسر القاف الذى افاق من مرضه ولم تتكامل صحته ، وقيل ان الذى بكسر القاف بمعنى فهمت لكنه هنا لا يتوجه لانها مافهمت

أم مسطح قبل المناصع (١) وهو متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف (٢) قريبا من بيوتنا ، وأمرنا امر العرب (٣) الأول في التبرز قبل الغائط ، فكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت انا وأم مسطح وهى ابنة أبى رهم بن عبد مناف وامها بنت صخر بن عامر خالة ابى بكر الصديق ، وابنها مسطح بن اثاثة فاقبلت (٤) انا وأم مسطح قبل بيتى قد فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح في مرطها ، فقالت :

---

(١) المناصع هى مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها .

(٢) والكنف هو الساتر والمراد به هنا المكان الذى يتخذ لقضاء الحاجة

(٣) والمراد من قوله " وامرنا امر العرب في التبرز قبل الغائط " اى انهم لم يتخلقوا بأخلاق العجم ، حيث كانت العرب تتخذ مكان قضاء حاجتها بعيدا عن البيوت .

(٤) وفى قوله " فاقبلت انا وأم مسطح قبل بيتى قد فرغنا من شأننا فعثرت ام مسطح فى مرطها " قال ابن حجر وفى رواية مقسم عن عائشة انها وطئت على عظم او شوكة وهذا ظاهره انها عثرت بعد ان قضت عائشة حاجتها ثم اخبرتها الخبر بعد ذلك .
لكن فى رواية هشام بن عروة انها عثرت قبل ان تقضى حاجتها وانها لما اخبرتها الخبر وجمت كأن الذى خرجت له لا تجد منه لا قليلا ولا كثيرا . وكذا وقع في رواية ابن اسحاق قالت " فوالله ما قدرت ان اقضى حاجتى "
ثم قال ويجمع بينهما بأن معنى قولها " وقد فرغنا من شأننا " أى من شأن المسير لا قضاء الحاجة . بتصرف من فتح البارى جـ (٨) ص ٤٦٦ .

تعس (١) مسطح . فقلت لها : بئس ما قلت ، أتسبين رجلا شهد بدرا ؟ قالت : أى هنتاه (٢) ، أولم تسمعى ما قال ؟ قالت قلت : وما قال ؟ قالت فاخبرتنى بقول اهل الافك ، فازددت مرضا على مرضى . قالت فلما رجعت الى بيتى ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : كيف تيكم ؟ فقلت : أتأذن لى أن آتى ابوى قالت : وانا حينئذ أريد أن استيقن الخبر من قبلهما ، قالت : فأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت ابوى ، فقلت لامى : يا أمتاه ما يتحدث الناس ؟ قالت يا بنية هونى عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة (٣) عند رجل يحبها ولها ضرائر الا كثرن عليها ، قالت : فقلت : سبحان الله ، ولقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ (٤) لى دمع ، ولا اكتحل (٥) بنوم حتى اصبحت ابكى . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب واسامة بن زيد رضى الله عنهما حين استلبث (٦) الوحى يستأمرهما فى فراق أهله . قالت : فاما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى يعلم من براءة اهله ، وبالذى يعلم لهم في نفسه من الود

---

(١) وتعس كما وضحه القسطلانى " فى ارشاد السارى " بمعنى اكبه الله لوجهه أو هلك ، وقيل الزمه الشر أو بعد .

(٢) أى هنتاه : أى ياهذه وقيل يا مرأة وقيل يا بلهاء ، قال النووى كأنها نسبت الى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم .

(٣) وضيئة : من الوضاءة اى حسنة جميلة .

(٤) لا يرقأ : لا ينقطع .

(٥) ولا اكتحل بنوم : اى ولا أنام .

(٦) وقوله " حين استلبث الوحى " استلبث بالرفع طال لبث نزوله ، وبالنصب استبطأ النبى صلى الله عليه وسلم نزوله .

فقال : يارسول الله أهلك ومانعلم الا خيرا ، وأما على بن ابى طالب فقال : يارسول الله ، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير ، وان تسأل الجارية تصدقك . قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ، فقال أى بريرة هل رأيت من شيء يريبك ؟ قالت بريرة : لا والذى بعثك بالحق ، ان رأيت عليها أمرا أغمصه (١) عليها اكثر من أنها جارية حديثة السن تنام على عجين اهلها فتأتى الداجن (٢) فتأكله . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعذر (٣) يومئذ من عبدالله بن ابى ابن سلول ، قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر : يامعشر المسلمين ، من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه في أهل بيتى ؟ فوالله ماعلمت على أهلى الا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه الا خيرا ، وماكان يدخل على اهلى الا معى . فقام سعد (٤) بن معاذ الأنصارى فقال : يارسول الله ، أنا اعذرك منه ،

---

(١) اغمصه : أعيبه .

(٢) والداجن كما قاله النووى هى الشاة التى تألف البيوت ولا تخرج للمرعى ، وقيل هى كل مايألف البيوت مطلقا شاة او طيرا .

(٣) وفى قوله : " فاستعذر يومئذ من عبدالله بن ابى " قال ابن حجر أى طلب من يعذره منه ، أى ينصفه . قال الخطابى : يحتمل ان يكون معناه من يقوم بعذره فيما رمى اهله به من المكروه ، ومن يقوم بعذرى اذا عاقبته على سوء ماصدر منه .
ورجح النووى الثانى . وقيل من يعذرنى من ينصرنى . والعزير الناصر . وقيل المراد من ينتقم لى منه وهو كالذى قبله ويؤيده قول سعد أنا أعذرك منه .

(٤) وسعد بن معاذ الانصارى هو من قبيلة الأوس .

ان كان من الأوس ضربت عنقه ، وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا (١) امرك . قالت : فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته (٢) الحمية فقال لسعد : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله . فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه ، فانك منافق تجادل عن المنافقين . فتثاور (٣) الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت . قالت : فمكثت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا اكتحل بنوم . قالت فأصبح ابواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوما لا اكتحل بنوم ولا يرقأ لى دمع يظنان أن البكاء فالق كبدى . قالت : فبينما هما جالسان عندى وانا ابكى فاستأذنت على امرأة (٤) من الأنصار فأذنت لها ، فجلست تبكى معى ، قالت : فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ، قالت ولم يجلس عندى منذ قيل ماقيل قبلها ، وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شأنى قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال : أما بعد ، ياعائشة فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا ، فان كنت بريئة فسيبرئك الله ، وان كنت ألممت (٥) بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه ، فان العبد اذا اعترف بذنبه ،

---

(١) ففعلنا أمرك : اى نفذناه
(٢) احتملته : اى أغضبته .
(٣) فتثاور الحيان : أى نهضت القبيلتان من الغضب حتى هموا أن يقتتلوا .
(٤) جاء في الفتح انه لم يقف على اسمها .
(٥) ان كنت ألممت بذنب فاستغفرى" أى ان وقع منك ماهو مخالف لعادتك فاستغفرى قال ابن حجر وهذا حقيقة الالمام .

ثم تاب الى الله تاب الله عليه ، قالت : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص (١) دمعي حتى ماأحس منه قطرة ، فقلت لابي أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال . قال : والله ماأدرى ماأقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأمي : أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : ماأدرى ماأقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن : اني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم اني منه بريئة لتصدقني ، والله ماأجد لكم مثلا الا قول أبي يوسف ، قال " فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون " قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي . قالت وانا حينئذ اعلم اني بريئة وان الله يبرئني ببراءتي ولكن والله ماكنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها . قالت : فوالله مارام (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى انزل عليه الوحي فأخذه ماكان يأخذه من البرحاء (٣) ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان (٤) من العرق وهو في يوم شات من ثقل

---

(١) قلص : أي استمسك نزوله فانقطع .

(٢) مارام رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي مافارق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) البرحاء : هي شدة الحمى وقيل شدة الكرب وقيل شدة الحر .

(٤) الجمان : بضم الجيم ومعناه اللؤلؤ ، وقيل هو حب يعمل من الفضة كاللؤلؤ ، وقيل خرز أبيض ورجح ابن حجر الأول .
والمعنى شبهت قطرات عرقه صلى الله عليه وسلم بالجمان لمشابهتها في الصفاء .

القول الذى ينزل عليه قالت : فلما سرى (١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سرى عنه وهو يضحك : فكانت أول كلمة تكلم بها : ياعائشة ، أما الله عز وجل فقد برأك . فقالت امى : قومى اليه قالت فقلت : والله لا أقوم اليه ، ولا احمد الا الله عز وجل ، وأنزل الله عز وجل أن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه .. " العشر (٢) الايات كلها . فلما انزل الله هذا في براءتى قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا انفق على مسطح شيئا ابدا بعد الذى قال لعائشة ماقال فأنزل الله " ولا يأتل (٣) أولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم " (٤) قال ابو بكر : بلى والله ، انى لأحب أن يغفر الله لى . فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا ، قالت

---

(١) سرى : اى كشف .

(٢) العشر الايات من سورة النور من آية رقم ١١ الى ٢٠ ولكن ابن حجر قال آخر العشرة قوله تعالى " والله يعلم وانتم لا تعلمون " وهذه تسع آيات . قال القسطلانى فى ارشاد السارى ولعله عد قوله " لهم عذاب اليم " رأس آية وليس كذلك بل تشبه فاصلة وليس بفاصلة كما نص عليه غير واحد من العادين وحينئذ فآخر العشرة " رؤف رحيم " وقيل في آخر الايات العشر غير ذلك انظر فى ارشاد السارى ج (٧) ص ٢٦٤ .

عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب ابنة جحش عن أمري فقال: يازينب ماذا علمت أو رأيت ؟ فقالت: يارسول الله: أحمي (١) سمعي وبصري، ماعلمت الا خيرا قالت وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع، وطفقت (٢) أختها حمنة (٣) تحارب (٤) لها، فهلكت (٥) فيمن هلك من أصحاب الافك" (٦)

وهكذا خرجت رضي الله عنها من محنتها بشهادة ربانية يتلوها المؤمنون الى يوم الدين.

---

(١) أحمي سمعي وبصري: أي أصون سمعي وبصري فلا أقول سمعت ولم اسمع وابصرت ولم أبصر.
(٢) طفقت: بكسر الفاء وحكي فتحها ومعناها جعلت أو شرعت.
(٣) وحمنة كانت تحت طلحة بن عبيد الله قاله ابن حجر.
(٤) تحارب لها: اى تجادل وتتعصب لها فتحكي مايقوله أهل الافك.
(٥) فهلكت فيمن هلك: أى حدثت فيمن حدث أو أثمت مع من اثم.
(٦) اخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن وتفسير سورة النور. المجلد (٣) الجزء (٦) ص ٥ الى ٩ ومسلم في كتاب التوبة. باب حديث الافك وقبول توبة القاذف. المجلد (٤) الجزء (١٨) ص ١١٢ الى ١١٨ والامام احمد في مسنده الجزء (٦) ص ٩٤ ١ الي ١٩٧. واللفظ للبخاري.

الآيات العشر التى نزلت في تبرئة ام المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها مما رماها به أهل الافك . هى قوله تعالى : " ان الذين جاءو بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين . لولا جاءو عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم . اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم . ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم . يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين . ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون . ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم " (١)

---

(١) سورة النور الآيات من رقم ١١ - ٢٠

شرح الآيــــات :-

ابتدأت هذه الآيات الكريمات ببيان أن الذين جاءو بالافك هم عصبة من المسلمين ، والافك هو أبلغ مايكون من الكذب والافتراء ، وهو مأخوذ من افك الشيء . اذا قلبه عن وجهه ، فالافك هو الحديث المقلوب ، وقيل هو البهتان ، وهو الأمر الذى لا تشعر به حتى يفاجئك .

وأجمع المسلمون على أن المراد بما في الآية ، ماوقع من الافك على عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها ووصف الله تعالى ذلك الكذب بكونه افكا لان المعروف من حال إلمؤمنين رضى الله عنها خلاف ذلك اذ كانت رضى الله عنها تستحق الثناء لما كانت عليه من الحصانة وشرف النسب .

والعصبة هم الجماعة من العشره الى الاربعين وقيل من الثلاثة الى العشرة وقيل غير ذلك والمراد بهم هنا عبدالله بن ابى رأس المنافقين ، وزيد بن رفاعة ، وحسان بن ثابت ، ومسطح بن اثاثة ، وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم .

" عصبة منكم " أى جماعة منكم أيها المؤمنون لان عبدالله كان في عداد من حكم له بالايمان ظاهرا .

" لا تحسبوه شرا لكم بل هوخير لكم تهدئه من الله سبحانه وتعالى لأعصاب الجماعة الاسلامية وكشف لمكايد المنافقين ، والمعنى لا تظنوا أن فيه فتنه وشرا بل هو خير لكم ، وكونه خيرا لهم لأنه يحصل لهم به الثواب العظيم مع بيان براءة ام المؤمنين رضى الله عنها .

" لكل امرئ منهم ما أكتسب من الاثم " أى لكل امرء من الخائضين في الافك جزاء ما أجترح من الاثم بقدر ما خاض فيه وهذا حكم الله في كل ذنب انه لا تحمل كل نفس الا ما اكتسبت من الاثم ولا يكون لها الا ما اكتسبت .

" والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم " أى أن الذى تولى معظم الافك من العصبة له عذاب اليم في الدنيا او في الآخرة أو فيهما ، والذى تولى كبر الافك هو عبدالله بن أبى بن سلول ، روى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت ، لما نزل عذرى قام النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك ، وتلا - تعنى القرآن - فلما نزل من المنبر امر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم " (١)

وفى رواية اخرى سماهم وهم حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ، وقيل ان الذين جلدوا هم : عبدالله بن ابى وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش . ولم يجلد مسطحا لانه لم يصرح بالقذف ولكن كان يسمع ويشيع من غير تصريح . وقيل لم يجلد احدا منهم .

قال القرطبي " المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذين حد حسان ومسطح وحمنة ، ولم يسمع بحدّ لعبدالله بن ابى " (٢)

---

(١) اخرجه ابوداود في كتاب الحدود . المجلد (٢) ج (٤) ص ١٦٢

(٢) تفسير القرطبي لابن عبدالله محمد بن احمد الانصارى القرطبي المجلد (٥) ص ٤٥٩٣ .

واختلفوا في وجه تركه صلى الله عليه وسلم لجلد عبدالله بن ابـــي فقيل لتوفير العذاب العظيم له في الآخرة وحد من عداه ليكون ذلك تكفيـرا لذنبهم كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الحدود انه قال " ومن أتـى منكم حدا فأقيم عليه فهو كفارته " (١)

ثم صرف سبحانه وتعالى الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بطريق الالتفات فقال " لولا اذ سمعتموه ظـن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين "

فحرف لو هنا التحضيضية تأكيد للتوبيخ والتقريع ومبالغة في معاتبتهم والمعنى انه كان ينبغي للمؤمنين حين سمعوا مقالة اهل الافك ان يقيسـوا ذلك على انفسهم فان كان يبعد فيهم فهو في أم المؤمنين أبعد وقد وقـع هذا النظر السديد مع أبي أيوب وامرأته . ذكر المفسرون عن محمد بن اسحاق ان ابا أيوب قالت له امرأته أم أيوب : يا ابا أيوب أما تسمع ما يقول النـاس في عائشة " قال نعم وذلك الكذب . اكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت : لا والله ماكنت لافعله . قال : فعائشة والله خير منك " (٢)

وفي رواية اخرى ان ابا ايوب الانصاري قال لأم أيوب : الا تريـن مايقال ؟ فقالت : لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله صلـى الله عليه وسلم سوءا ؟ قال لا . قلت ولو كنت أنا بدل عائشة رضي اللـه

---

(١) هذا طرف من حديث ذكره مسلم في كتاب الحدود المجلد (٣) ج (٥) ص ١٢٧ .

(٢) في ظلال القرآن للسيد قطب المجلد (٤) ص ٢٥٠١

عنها ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك " (١)

وقال الحسن معنى (بأنفسهم) بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة ، قال الزجاج ولذلك يقال للقوم الذين يقتل بعضهم بعضا انهم يقتلون أنفسهم .

وقال النحاس (بأنفسهم) باخوانهم . فأوجب الله سبحانه وتعالى على المسلمين اذا سمعوا رجلا يقذف احدا ويذكره بقبيح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه .

" وقالوا هذا افك مبين " أى هذا كذب ظاهر مكشوف .

" لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون " هذا توبيخ لاهل الافك على ما اختلقوه واذاعوه . وتناولت الآية التفصلة (٢) بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الأربعة وانتفاءها . ومعنى الآية هلا أتوا على ما ذكروه بأربعة شهداء يشهدون على معاينتهم فيما رموها به ؟ فان لم يأتوا بالبينة على ذلك فأولئك في حكم الله وشريعته هم الكاذبون الكاملون في الكذب .

---

(١) الكشاف للزمخشرى المجلد (٣) ص ٥٣ .
(٢) التفصلة : اى الحكم الفاصل .

" ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم " حرف لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره . والافاضة معناها الاخذ في الحديث وهو الذى وقع عليه العتاب يقال أفاض القوم في الحديث أى اخذوا فيه . والمعنى ولولا تفضله سبحانه وتعالى عليكم في الدنيا بضروب النعم التى من أجلها الامهال للتوبة ، ورحمته في الآخرة بالعفو بعد التوبة لعجل لكم العقاب في الدنيا من جراء ما خضتم فيه من حديث الافك والبهتان .

ثم بين سبحانه وقت حلول العذاب الذى كانوا يستحقونه لولا الفضل والرحمة بقوله " اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم " أى ولولا تفضله ورحمته لمسكم ذلك العذاب وقت تلقيكم ما أفضتم فيه من الافك وأخذ بعضكم اياه من بعض بالسؤال عنه ، وقولكم قولا بالافواه دون أن يكون له منشأ في القلوب يؤيده . وظنكم اياه هينا سهلا لا يعبأ به وهو من العظائم والكبائر عند الله .

وخلاصة ذلك انه وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها : احدها تلقى الافك بالسنتهم ، وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ماوراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع واشتهر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه فكأنهم سعوا في اشاعة الفاحشة وهذا من العظائم .

ثانيها انه قول بلا روية ولا فكر فهو قول باللسان لا يترجم عما في القلب اذ ليس هناك علم يؤيده ولا قرائن احوال وشواهد تصدقه .

ثالثها استصغار ذلك وحسبانه هينا وهو عند الله عظيم الوزر مستحق

لشديد العقوبة :

" ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم " هذا عتاب وتوبيخ لجميع المؤمنين . والمعنى هلا اذ سمعتم مقالة أهل الافك قلتم تكذيبا للخائضين فيه المفترين له ماينبغي لنا ولا يمكننا ان نتكلم بهذا الحديث ولا يصدر ذلك منا بوجه من الوجوه " سبحانك هذا بهتان عظيم " ومعنى قوله " سبحانك " التعجب من أولئك الذين جاءوا بالافك ، وأصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه من أن يصعب عليه امثاله ، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه ، واستعماله فيما ذكر مجاز متفرع على الكناية ، ويجوز أن يكون سبحانك هنا مستعملا في حقيقته والمراد تنزيه الله تعالى من أن يصم نبيه عليه الصلاة والسلام ويشينه فان فجور الزوجة وصمة في الزوج تنفر عنه القلوب وتمنع عن اتباعه النفوس ولذا صان الله تعالى أزواج الانبياء عليهم السلام عن ذلك وهذا بخلاف الكفر فان كفر الزوجة ليس وصمة في الزوج وقد ثبت كفر زوجتي نوح ولوط عليهما السلام . (هذا بهتان عظيم) اى هذا كذب عظيم لكونه قيل في أم المؤمنين رضى الله عنها وصدوره من مثلها مستحيل شرعا .

وحقيقة البهتان هو أن يقال في الانسان ماليس فيه . ثم وعظ سبحانه وتعالى الذين خاضوا فى الافك فقال " يعظكم الله أن تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين " أى ينصحكم الله أو يحرم عليكم أو ينهاكم كراهة أن تعودوا أو من أن تعودوا أو فى أن تعودوا لمثل هذا القذف مدة حياتكم . وأبدهم ماداموا أحياء مكلفين . (ان كنتم مؤمنين) فيه تهييج

لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل مقبح .

" ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم " أى يبين لكم الآيات في الأمر والنهي لتتعظوا بذلك وتتأدبوا بآدابه وتنزجروا عن الوقوع في محارمه . (والله عليم حكيم) عليم بما تبدونه وتخفونه حكيم في تدبيراته لخلقه .

ثم هدد سبحانه وتعالى القاذفين ومن أراد ان يتسامع الناس بعيوب المؤمنين وذنوبهم فقال " ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون

ومعنى أن تشيع : أن تفشوا وتنتشر . والفاحشة هي فاحشة الزنا أو القول السيء .

والمراد بالذين آمنوا المحصنون العفيفون أو كل من اتصف بالايمان والمعنى ان الذين يحبون ان تفشوا الفاحشة وتنتشر في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا باقامة الحد وفي الآخرة بعذاب النار .

قال القرطبي : وهذا مخصوص بالمنافقين لان الحد للمؤمنين كفارة . وقال الطبري معناه ان مات مصرا عليه غير تائب .

(والله يعلم) أى يعلم مقدار عظم هذا الذنب والمجازاة عليه ويعلم كل شيء . (وانتم لا تعلمون) اى وانتم لا تعلمون الا ما علمكم الله

وكشفه لكم .

ثم اختتمت الآيات بتكرار منه سبحانه وتعالى وفضله على عباده وأنه لا يدع ما هو أصلح للعبد وإن جنى على نفسه فقال : ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم " والله اعلم " (١)

موقف المستشرقين من حديث الافك :-

لقد أحدث المستشرقون كعادتهم ضجة كبيرة على هذه الحادثة وغرضهم الطعن في الدين والتشكيك في نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حيث أقبلوا على هذه الرواية وحوروها على شكل رواية غرامية فقالوا ان السيدة عائشة رضى الله عنها ابتعدت عن النبى صلى الله عليه وسلم يوما كاملا قضته بصحبة صفوان ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم استنزل الايات فى سورة النور ليحمى سمعة زوجه .

ونحن نرد على هؤلاء بعدة نقاط :-

١- أننا لنتساءل كيف نشأت هذه العلاقة المزعومة ؟ أفى تلك الليلة بعينها وهما يتهيبان المناداة عليها ؟! وكيف يجترىء الرجل على مفاتحة أم المؤمنين وزوجة رسول الله الذى يعتبر عندهم أعلى من أى سلطان

---

(١) اعتمدت في تفسير الآيات على المراجع الآتيه :فتح القدير- القرطبى- المراغى - الكشاف ، في ظلال القرآن - التفسير الكبير .

أيستطيع رجل أن يبني علاقته مع زوجة السلطان ؟! ان ابن سلول وهو على نفاقه لا يستطيع ان يتجرأ مثل هذه الجرأة ليقينه بايمان زوجاته صلى الله عليه وسلم فضلا عن هذا الصحابي الجليل المؤمن .

٢- لو حصل هذا لكان عقاب الله على السيدة شديدا لارتكابها المعصية وان زوجيتها للنبي صلى الله عليه وسلم لا تنفعها في هذه الحالة .

قال تعالى : يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ... " (١)

٣- ان من يتمعن الحديث جيدا يتضح له نزاهة الصحابي الجليل فقد ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قام على المنبر فقال : يامعشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغ اذاه في اهل بيتي فوالله ماعلمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي . فهذه شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم بنزاهة صفوان وكذلك شهادته صلى الله عليه وسلم على أهله . وحاش للسيدة ان يصفوها بتلك الصفة الدنيئة وهي بنت الصديق الذي لم يوصم (٢) بيته بوصمة في الجاهلية حتى يوصم بهذه الوصمة في الاسلام وفي بيت رسول الله . وأما قولهم ان محمدا استنزل الآيات في سورة النور ليحمي سمعة زوجه ، فهذا افتراء وبهتان عظيم

---

(١) سورة الاحزاب بعض آية ٣٠
(٢) الوصم هو العيب والعار .

وأن الذى اوقعهم فى تلك الفرية السخيفة التى يتخبطون فيهابغيرعلم بمصادرها ومواردها هو جهلهم بالقرآن العظيم ، قال تعالى " تنزيل من رب العالمين ولو تقول (١) علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين " (٢)

وأنه لمن الحمق والجهالة أن تتقبل الناس هذه الوشاية والغوية التى لا تعتمد على أدلة قاطعة . فما الصفوة من التهمة البشعة فى أم المؤمنين لهو من السخف الذى لا يقبله عقل ولا منطق ولا يقبله الا كل منافق وحاقد على الاسلام والمسلمين أمثال ابن سلول ومن نهج نهجه .

فضائلها ومناقبها :-

لقد امتازت رضى الله عنها بكثير من الفضائل والمناقب وسأستعرض بعضا منها ، فمن فضائلها

١- نزول براءتها من السماء والتنويه بقدرها حيث نزل فيها قرآن يتلى ويتعبد به .

---

(١) قال ابن كثير عند تفسيره قوله تعالى " ولو تقول علينا بعض الاقاويل ... الخ " أى محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفتريا علينا فزاد فى الرسالة أو نقص منها أو قال شيئا من عنده فنسبه الينا لعاجلناه بالعقوبة ولهذا قال تعالى لاخذنا منه باليمين " قيل معناه لانتقمنا منه باليمين لانها أشد في البطش ، وقيل لاخذنا بيمينه .
ثم لقطعنا منه الوتين ، قال ابن عباس : وهو نياط القلب ، وهو العرق الذى القلب معلق فيه ، وقال محمد بن كعب هو القلب ومراقه وما يليه . ابن كثير الجزء (٧) ص ١٠٩ .

(٢) الايات من سورة الحاقة ورقمها ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

٢- نزول الوحي في لحافها وماثبت ذلك لأحد من أمهات المؤمنين قال عليه الصلاة والسلام : "ياأم سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه والله مانزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها" (١)

٣- رؤيته صلى الله عليه وسلم اياها في المنام وقد جاء بها الملك في سرقة (٢) من حرير ويقول له هذه امرأتك ورسول الله يكشف عن وجهها ويقول : ان يك هذا من عند الله يمضه (٣) " (٤)

٤- ابلاغها عليه الصلاة والسلام سلام جبريل وردها عليه بقولها " وعليه السلام ورحمة الله " (٥)

---

(١) أخرجه البخاري في باب مناقب المهاجرين . المجلد (٢) الجزء (٤) ص ٢٢١ . والترمذي في ابواب المناقب المجلد (٥) ص٣٦٢، ٣٦٣ . والنسائي في كتاب عشرة النساء . المجلد (٤) الجزء (٧) ص ٦٨ واللفظ للبخاري .

(٢) سرقة من حرير : أي قطعة من جيد الحرير الأخضر . كذا في التاج الجامع للاصول . المجلد (٣) ص ٣٨٠ .

(٣) يمضه . أي ينفذه .

(٤) اخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة . المجلد (٤) الجزء (٧) ص١٣٤ . والبخاري في كتاب النكاح . المجلد (٣) الجزء (٦) ص ١١٩ . واحمد في مسنده . الجزء (٦) ص ١٢٨ . واللفظ لمسلم .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة . المجلد (٤) الجزء (٧) ص ١٣٩ . والبخاري في باب فضائل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . المجلد (٢) الجزء (٤) ص ٢١٩ ، ٢٢٠ . واللفظ لمسلم .

٥ـ موته صلى الله عليه وسلم بين سحرها ونحرها فقد صح عنها أنهـا قالت : فلما كان يومى (١) قبضه الله بين سحرى (٢) ونحرى (٣)

٦ـ فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ، روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فضل عائشة على النساء كفضل الثريد (٤) على سائر الطعام" (٥)

---

(١) قال النووى : أى يومها الأصيل بحساب الدور والقسم والا فقد كان جميع أيامه في بيتها (أى أيام مرضه) .

(٢) وقولها مابين سحرى ونحرى : السحر كما وضحه ابن حجر هو الصدر وقال وهو في الأصل الرئة ، والنحر المراد به موضع النحر .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابه . المجلد (٤) ج (٧) ص ١٣٧ ، واخرجه البخارى في كتاب المغازى . باب مرض النبى صلى الله عليه وسلم ووفاته . المجلد (٣) ج (٥) ص ١٤٢ . والامام احمد في مسنده ج (٦) ص ٢٠٠ . واللفظ لمسلم .

(٤) والثريد كما جاء في تحفة الاحوذى هو ان يثرد الخبز بمرق اللحم وقد يكون معه اللحم .

(٥) اخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة . المجلد (٤) ج (٧) ص ١٣٨ . والبخارى في باب مناقب المهاجرين وفضلهم . المجلد (٢) الجزء (٤) ص ٢٢٠ . والترمذى في ابواب المناقب . المجلد (٥) ص ٣٦٥ . واللفظ لمسلم .

٧- نزول آية التيمم بسببها فقد صح عنها أنها قالت خرجنا مع رسـول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء (١) أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه ، واقام الناس معه ، وليسوا على ماء وليس معهم مـاء فاتى الناس الى ابى بكر فقالوا الا ترى الى ماصنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه . وليسوا على مـاء وليس معهم ماء ، فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلـم واضع رأسه على فخذي قد نام ، فقال حبست رسول الله صلى اللـه عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت : فعاتبنى ابو بكر وقال ماشاء الله ان يقول وجعل يطعن (٢) بيده فـى خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى اللـه عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية (٣) التيمم فتيمموا فقال أسيد بن الحضير، وهو احد النقباء (٤) ماهي بأول بركتكم يا آل ابى بكر ، فقالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته " (٥)

وأما مناقبها فقد كانت حياتها الزهد والسخاء والعلم والورع وكثـرة العبادة .

---

(١) البيداء وذات الجيش هما موضعان بين المدينة وخيبر قاله النووي .

(٢) وقولها " وجعل يطعن بيده في خاصرتي " اى اخذ يضربني بجمع كفه في جنبي غضبا على من تألم الناس كذا في التاج الجامع للاصول في احاديث الرسول . المجلد (١) ص١٢٦ .

(٣) وهي في سورة المائدة . رقم الآية (٦)

(٤) وهو أحد النقباء الذين رأسهم رسول الله في ليلة العقبة الثانية"

(٥) اخرجه مسلم في كتاب التيمم ، المجلد (١) ج(١) ص ١٩١ ، ١٩٢ ، والبخارى في كتاب التيمم المجلد (١) ج (١) ص(٨٦) واللفظ لمسلم .

زهدها وسخاؤها :-

لقد عاشت رضى الله عنها منذ صغرها الى أن انتقلت الى بيت النبوة حياة زهد وسخاء وظلت كذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد أحسن ابو نعيم فى وصفها فقال : كانت للدنيا قالية وعن سرورها لاهية وعلى فقد أليفها باكية (١)

روى عن أم ذرة قالت : بعث ابن الزبير الى عائشة بمال فى غرارتين يكون مائة ألف فدعت بطبق وهى يومئذ صائمة فجعلت تقسم فى الناس قال فلما أمست قالت : ياجارية هاتى فطرى . فقالت أم ذرة : يا أم المؤمنين أما استطعت فيما أنفقت ان تشترى بدرهم لحما تفطرين عليه ؟ فقالت : لا تعنفيني ولو كنت اذكرتيني لفعلت " (٢)

وعن هشام بن عروة عن ابيه ان معاوية بن ابى سفيان بعث الى عائشة رضى الله عنها بمائة الف فقسمتها حتى لم تترك منها شيئا فقالت بريرة أنت صائمة فهلا ابتعت لنا بدرهم لحما فقالت عائشة لو انى ذكرت لفعلت (٣)

---

(١) في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . الجزء (٢) ص ٤٤

(٢) اخرجه ابن سعد جـ (٨) ص ٦٧ ، وأورده الذهبى فى سير اعلام النبلاء . جـ (٢) ص ١٨٧ وقال اخرجه ابن سعد وأبو نعيم في الحلية ورجاله ثقات .

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه جـ (٤) ص ١٣

علمها : وهو من أبرز صفاتها فلقد كرمها الله عز وجل بأن جعلها زوجة نبي ، فكانت رضي الله عنها تنقل عنه صلى الله عليه وسلم كل أقواله وافعاله وتحدث به ولذا نجد الاكابر من الصحابة رضوان الله عليهم اذا اشكل عليهم أمر من أمور الدين أتوا اليها ليستفتوها ولا غرابة في ذلك فقد كانت أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان ينزل عليه الوحي .

ولم ينحصر علمها في العلوم الدينيه فحسب بل كانت ملمة ايضا بقواعد اللغة العربية وأنساب العرب وآدابهم من شعر ونثر وأمثال الى غير ذلك .

روى عن هشام بن عروة عن أبيه قال : مارأيت أحدا اعلم بالحلال والحرام والعلم والشعر والطب من عائشة أم المؤمنين " (١)

وفي رواية عن الزهري قال : لو جمع علم الناس كلهم ثم علم ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكانت عائشة اوسعهم علما" (٢)

ماجاء في ورعها وخوفها من الله عز وجل : -

روى عن عوف بن مالك بن الطفيل ان عائشة حدثت ان عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها ،

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه . الجزء (٤) ص (١١)

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه . الجزء (٤) ص ١١ ، وأورده الهيثمي بنحوه في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج (٩) ص ٢٤٣ وقال رواه الطبراني مرسلا ورجاله ثقات .

فقالت أهو قال هذا ؟ قالوا نعم . قالت هو لله على نذر أن لا أكلم ابن الزبير ابدا فاستشفع ابن الزبير اليها حين طالت الهجرة فقالت لا والله لا أشفع فيه ابدا ولا اتحنث الى نذرى فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث وهما من بنى زهرة وقال لهما انشدكما (١) بالله لما (٢) ادخلتمونى على عائشة فانها لا يحل لها ان تنذر قطيعتى فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بارديتهما (٣) حتى استأذنا على عائشة فقالا السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل قالت عائشة ادخلوا قالوا كلنا قالت نعم ادخلوا كلكم ولم تعلم ان معهما ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فأعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها (٤) الا ماكلمته وقبلت منه ويقولان إن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من الهجرة فانه لا يحل لمسلم أن يهجر اخاه فوق ثلاث ليال فلما اكثروا على عائشة من التذكرة (٥) والتحريج (٦)

---

(١) انشدكما بالله : قال العينى هو بضم الدال من أنشدت فلانا اذا قلت له نشدتك اللهاى سألتك بالله .

(٢) وقوله (لما) قال ابن حجر معناه الا اى لا أطلب الا الادخال عليها ونظيره قوله تعالى " لما جميع لدينا محضرون "

(٣) بارديتهما مفرده رداء وهو الثوب أو البرد الذى يضعه الناس على عاتقيه وبين كتفيه فوق ثيابه.

(٤) وقوله " يناشدانها الا ماكلمته وقبلت منه " اى مايطلبان منها الا التكلم معه وقبول عذره .

(٥) من التذكرة : أى من التذكير بما جاء في فضل صلة الرحم والعفو وكظم الغيظ .

(٦) والتحريج : الوقوع في الحرج وهو الضيق لما ورد في القطيعة من النهى .

طفقت تذكرها وتبكي وتقول اني نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير واعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها " (١)

قال العيني في شرحه للحديث انما سوغ لها ذلك لأنها أم المؤمنين ولانها بالنسبة لعبد الله بن الزبير خالته وان ذلك الكلام الذي قال في حقها وهو قوله " لتنتهين عائشة أو لاحجرن عليها " كالعقوق لها فهجرتها اياه كانت تأديبا له " (٢)

عبادتها :- تأثرت رضي الله عنها بزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبادته ونهجه فكانت رضي الله عنها حريصة على اداء الصلاة والمداومة على نوافلها وكانت تنصح المسلمين بقيام الليل والمداومة عليها

روى الامام احمد بسنده عن عبدالله بن ابي موسى قال ارسلني مدرك أو ابن مدرك الى عائشة اسألها عن أشياء قال فأتيتها فاذا هي تصلي الضحى فقلت أقعد حتى تفرغ فقالوا هيهات فقلت لآذنها ، كيف استأذن عليها ؟ فقال قل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباده الصالحين ، السلام على أمهات المؤمنين أو أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، السلام عليكم قال فدخلت عليها فسألتها فقالت أخو مازب نعم أهل البيت . فسألتها عن الوصال . فقالت : لما كان يوم أحد

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب الهجرة . المجلد (٤) الجزء (٧) ص ٩٠

(٢) بتصرف من عمدة القاري . للشيخ العيني . الجزء (٢٢) ص ١٤٢ .

واصل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فشق عليهم ، فلما رأوا الهلال أخبروا النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : لو زاد لزت ، فقيل له انك تفعل ذاك أو شيئا نحوه قال انى لست مثلكم انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى وسألتها عن الركعتين بعد العصر فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على الصدقة قالت فجاءته عند الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر وشغل في قسمته حتى صلى العصر ثم صلاهما (٢) وقالت عليكم بقيام الليل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدعه فان مرض قرأها وهو قاعد وقد عرفت ان أحدكم يقول بحسبى أن أقيم ماكتب لى وانى له ذلك ،

---

(١) وقوله " لو زاد لزت " أى لو تأخر الشهر لزدتكم وصالا .

(٢) أى صلى الركعتين اللتين كان يصليهما بعد الظهر وقد وضح ذلك من حديث ورد في صحيح البخارى عن كريب ، ولفظه أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن ازهر رضى الله عنهم أرسلوه الى عائشة رضى الله عنها فقالوا اقرأ عليها السلام منا جميعا وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر وقل لها انا اخبرنا انك تصليهما وقد بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عنها وقال ابن عباس وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنها فقال كريب فدخلت على عائشة رضى الله عنها فبلغتها ماأرسلونى فقالت سل أم سلمة فخرجت اليهم فأخبرتهم بقولها فردونى الى أم سلمه بمثل ماأرسلونى به الى عائشة فقالت أم سلمه رضى الله عنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر ثم دخل وعندى نسوة من بنى حرام من الأنصار فأرسلت اليه الجارية فقلت قومى بجنبه قولى له تقول لك أم سلمه يارسول الله سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهما فان أشار بيده فاستأخرى عنه ففعلت الجاريه فأشار بيده فاستأخرت عنه فلما انصرف قال يابنت ابى امية سألت عن الركعتين بعد العصر وانه اتانى ناس من عبد القيس فشغلونى عن الركعتين اللتين بعد الظهرفهما هاتان " أبوب العمل فى الصلاة " المجلد (١) الجزء (٢) ص ٦٧ ، ٦٨ .

وسألتها عن اليوم الذى يختلف فيه من رمضان فقالت لأن أصوم يوما من شعبان أحب الى من أن افطر يوما من رمضان ، قال فخرجت فسألت ابن عمر وأبا هريرة فكل واحد منهما قال أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أعلم بذلك منا ... " (١)

وكانت رضى الله عنها كثيرة الصيام وفى الأيام القيظ . روى عن عطاء الخرسانى أن عبدالرحمن بن ابى بكر دخل على عائشه يوم عرفة وهى صائمة والماء يرش عليها فقال لها عبدالرحمن أفطرى ، فقالت أفطر وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن صوم يوم عرفة يكفر العام الذى قبله (٢)" (٣)

---

(١) اخرجه الامام احمد جـ(٦) ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٢) قال الشيخ احمد البنا : هكذا عند الامام احمد من رواية عائشة الاقتصار على عام واحد . وله شاهد عند النسائى من حديث ابن عمر أن رجلا سأله عن صوم يوم عرفه ، فقال كنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعدله بصوم سنة . وهو يخالف حديث ابى قتادة الذى قبله ونصه " ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبله " وقد رواه مسلم وغيره ، وله شواهد صحيحة أن صيام يوم عرفة يكفر سنتين سنة ماضية وسنة ومستقبلة ولعله لم يبلغ عائشة وابن عمر وزيادة الثقة مقبولة لا سيما وحديث ابي قتاده ومن وافقه اصح والله اعلم . الفتح الربانى مع مختصر شرحه بلوغ الامانى جـ(١٠) ص٢٣٥ .

(٣) اخرجه الامام احمد في مسنده جـ(٦) ص ١٢٨ .

قال الشيخ احمد البنا في تخريجه للحديث لم أقف عليه لغير الامام
[illegible]

وضوءها هذا وهي ليست على احرام ، وحجت رضي الله عنها واعتمرت مرات كثيرة أ خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فأتاها الحيض فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تفعل مايفعله الحاج غير الطواف بالبيت حتى تطهر ففاتتها العمرة وبعد أن قضت مناسك الحج قالت يارسول الله يرجع الناس بحجة وعمرة وأرجع بحجة ؟ عندئذ أمر رسول الله عبد الرحمن بن أبي بكر أن يخرج معها فخرجا الى التنعيم فأهللت منها بعمرة .

روى مسلم في صحيحه عنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر الا الحج (١) حتى جئنا سرف (٢) فطمثت (٣) فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابكي ، فقال مايبكيك ؟ فقلت والله (٤)

---

(١) جاء في التاج هي حجة الوداع .
(٢) وسرف كما وضعه النووي : هو بفتح السين وكسر الراء وهو مابين مكة والمدينة ، بقرب مكة على أميال منها ، قيل ستة وقيل سبعة وقيل تسعة وقيل عشرة وقيل اثنى عشر ميلا .
(٣) فطمثت : أي حضت .
(٤) جاء في الفتح انها قالت ذلك لظنها ان الحيض يمنعها الحج .

لودت أني لم اكن خرجت العام ، قال مالك ؟ لعلك نفست (١) قلت نعم . قال هذا (٢) شيء كتبه الله على بنات آدم ، افعلي مايفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري ، قالت فلما قدمت مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اجعلوها عمرة فأحل (٣) الناس الا من كان معه الهدى قالت فكان الهدى مع النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر وذوى اليسارة ثم اهلو (٤) حين راحوا ، قالت فلما كان يوم النحر طهرت فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفضت (٥) ، قالت فأتينا بلحم بقر ، فقلت ماهذا فقالوا أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، فلما كانت ليلة الحصبة (٦) قلت يارسول الله يرجع الناس بحجة

مع مختصر شرحه بلوغ الاماني

(١) ونفست كما جاء في الفتح الرباني/هو بفتح النون وضمها لغتان مشهورتان ، الفتح افصح والفاء مكسورة فيهما ، واما النفاس الذى هو الولادة فيقال فيه نفست بالضم لاغير .

(٢) وقولها " هذا شئ كتبه الله " قال النووى معناه انك لست مختصة به بل كل بنات آدم ، يكون منهن كما يكون منهن ومن الرجال البول والغائط .

(٣) فأحل الناس أى بعد عمل العمرة .

(٤) وفي قولها " ثم اهلوا حين راحوا " قال النووى يعني الذين تحللوا بعمرة أهلوا بالحج حين راحوا الى منى وذلك يوم التروية وهو الثامن من ذى الحجة .

(٥) فافضت : أى طفت طواف الافاضة .

(٦) ليلة الحصبة : أى الليلة التى نزلوا فيها في المحصب ، وهو المكان الذى نزلوه بعد النفر من منى خارج مكة ، وقيل سمي بالمحصب لوجود الحصى فيها .

وعمرة وأرجع بحجة قالت فأمر عبد الرحمن بن ابى بكر فأردفني على جمله قالت فانى لأذكر وأنا جارية حديثة السن أنعس فتصيب وجهى مؤخرة الرحل حتى جئنا الى التنعيم فأهللت (١) منها بعمرة جزاء بعمرة الناس التى اعتمروا " (٢)

وهى التى روت عن فضائل الحج - كما روى البخارى فى صحيحه عنها انها - قالت يارسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ قال لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور " (٣)

وفى رواية لابن ماجه انها قالت يارسول الله على النساء جهاد ؟ قال نعم . عليهن جهاد لا قتال فيه : الحج والعمرة " (٤)

---

(١) وقولها : فاهللت منها بعمرة جزاء بعمرة الناس التى اعتمروها اى اهللت منها بعمره عوضا عن عمرتهم التى اعتمروها .
(٢) اخرجه مسلم في كتاب الحج . المجلد (٢) الجزء (٤) ص ٣٠ ، ٣١ والامام احمد في الجزء (٦) ص ٢٧٣ . واللفظ لمسلم .
(٣) اخرجة البخارى في كتاب الحج . المجلد (٢) الجزء (٢) ص ١٤١ .
(٤) اخرجة ابن ماجه في كتاب المناسك . باب الحج جهاد النساء المجلد (٢) ص ٩٦٨ .

مروياتها :-

تعتبر رضى الله عنها من جملة كبار الصحابة الذين رووا الألوف من الاحاديث كأبى هريرة فقد روى مايقرب من (٥٣٧٤) حديثا ، وعبدالله بن عمر وروى مايقرب من (١٦٣٠) حديثا وأنس بن مالك وروى مايقرب من (١٢٨٦) حديثا .

وأما هى فقد روت مايقرب من (٢٢١٠) حديثا اتفق البخارى ومسلم على مائة وأربع وسبعين حديثا ، وانفرد البخارى بأربعة وخمسين حديثا ، ومسلم بثمانية (١) وستين حديثا .

روت عن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا من الأحاديث ، وعن أبيها وعمر ، وحمزه بن عمرو الاسلمى وسعد بن ابى وقاص ، وجدامة بنت وهب الاسدية ، وفاطمة الزهراء .

وروى عنها خلق كثير من آل بيتها ومن الصحابة وكبار التابعين اوصلهم ابن حجر في تهذيب التهذيب مايقرب المائة .

فمن آل بيتها اختها ام كلثوم ، واخوها من الرضاعة عوف بن الحارث بن الطفيل ، وابنا اخيها القاسم وعبدالله ابنا محمد بن ابى بكر الصديق ،

---

(١) وللذهبى في سير اعلام النبلاء انفرد مسلم بتسعة وستين ج (٢) ص ١٣٩ .

وبنتا اخيها الآخر حفصة واسماء بنتا عبدالرحمن ، وابنا اختها عبدالله وعروة ابنا الزبير بن العوام ، وعباد بن حبيب بن عبدالله بن الزبير ، وعباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير ، وبنت اختها عائشة بنت طلحة ، وذكوان وأبو يونس وابن فروخ موالي عائشة . ومن الصحابة عمرو بن العاص ، وابوموسى الأشعري ، وزيد بن خالد الجهني ، وابو هريرة ، وابن عمر ، وابن عباس وربيعة بن عمرو الجرشي ، والسائب بن يزيد ، والحارث بن عبدالله بن نوفل وغيرهم . ومن كبار التابعين سعيد بن المسيب ، وعبدالله بن عامر بن ربيعه ، وصفية بنت شيبة ، وعلقمة بن قيس ، وعمرو بن ميمون ومطرف بن عبدالله ابن الشخير ، وهمام بن الحارث ، وابو عطيه الوداعي ، وأبو عبيدة بن عبدالله ابن مسعود ، ومسروق بن الأجدع ، وعبدالله بن حكيم ، وعبدالله بن شداد بن الهاد ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام وابناه ابو بكر ومحمد وخلق آخرون .

وامتازت مروياتها عن غيرها من الصحابة انها تلقتها مباشرة من فم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وقليلا ماروت من عند الصحابه ، كما امتازت ايضا مروياتها بسنة المصطفى الفعلية التى يقوم بها في بيته .

والى جانب روايتها للاحاديث وعلمها بالتفسير اشتغلت بالفقه فاذا سئلت عن حكم قضية ما فانها ترجع أولا " الى كتاب الله وسنة رسول الله فان لم تجد ذلك اجتهدت واستنبطت الحكم من الكتاب والسنة ومن استفتاءتها :-

١- أنها سئلت عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقالت كان يوتر من كل الليل ، من أوله واوسطة وآخره .

روى عن مسروق أنه سأل عائشة عن وتر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : من كل الليل قد اوتر، أوله واوسطه وآخره ، فانتهى وتره حين مات في وجه السحر (١)" (٢)

٢- انها سئلت عن التبتل ، فاجابت بالمنع .

روى عن سعد بن هشام انه دخل على أم المؤمنين عائشة فسألها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يصلي من الليل ثماني (٣) ركعات ويوتر بالتاسعة ويصلي ركعتين وهو جالس (٤)

---

(١) اى التي واظب عليها في آخر حياته هو وتره في وجه السحر.

(٢) اخرجه الترمذى في باب ماجاء في الوتر . المجلد (١) ص ٢٨٤ . وقال حديث عائشة حديث حسن صحيح . واخرجه ابو داود وفي باب وقت الوتر. المجلد (١) الجزء (٢) ص ٦٦ . واللفظ للترمذى

(٣) قال الشيخ احمد البنا وفي رواية زرارة بن اوفى عن عائشة من حديث آخر قالت : فلا يقعد في شيء منهن الا في الثامنه فانه يقعد فيها فيتشهد ثم يقوم ولا يسلم فيصلي ركعه واحدة ثم يجلس فيتشهد ويدعوا ثم يسلم ، فهذه الرواية مفسرة لحديث الباب . فقد بينت انه صلى الله عليه وسلم لم يجلس الا في الثامنة وبينت المراد بقوله " ويوتر بالتاسعة " انه لم يأت بها منفصله عن الثمانية بل يأت يأت بها بعد التشهد ثم يجلس فيتشهد مرة اخرى ثم يسلم ، ولم تكن هذه عادته صلى الله عليه وسلم وانما كان يفعله احيانا ، وغالبا ما تكون صلاته ركعتين ركعتين ثم يوتر .
الفتح الرباني مع مختصر شرحه بلوغ الاماني . الجزء (٤) ص ٢٥٨، ٢٥٩

(٤) وقال ايضا اخذ بظاهر هذا الحديث الامام احمد والاوزاعي فيما

وذكرت الوضوء أنه كان يقوم الى صلاته فيأمر بطهوره وسواكه فلما بدن . رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ست ركعات واوتر بالسابعة وصلى ركعتين وهو جالس قالت فلم يزل على ذلك حتى قبض ؛ قلت انى أريد ان أسألك عن التبتل فما ترين فيه ؟ قالت فلا تفعل ، أما سمعت الله عز وجل يقول " ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية " فلا تبتل ....،(١)

٣- ومن استفتاءاتها ايضا ان التخيير لا يعد طلاقا . روى عن مسروق قال ما أبالي خيرت امرأتي واحدة او مائة أو ألفا بعد أن تختارني ولقد سألت عائشة فقالت قد خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم افكان طلاقا "(٢)

وفي رواية اخرى عن مسروق عنها : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نساءه فلم يكن طلاقا " (٣)

---

(١) اخرجه الامام احمد في سنده ، الجزء (٦) ص ٩٧ ، واخرجه ابو داود في كتاب الصلاة من غير قصة التبتل . المجلد (١) ج (٢) ص ٤٠ ، ٤١ ، واخرج النسائي قصة التبتل في كتاب النكاح .المجلد (٣) ج (٦) ص ٦٠ .
وفي الفتح الرباني مع مختصر شرحه بلوغ الأماني - قال سنده جيد - ج (٤) ص ٢٢٦

(٢) اخرجه مسلم في كتاب الطلاق . المجلد (٢) ج (٤) ص ١٨٦ . واخرجه البخاري في كتاب الطلاق المجلد (٣) ج (٦) ص ١٦٥ ، ١٦٦ والترمذي في ابواب الطلاق واللعان ، في باب ماجاء في الخيار . المجلد (٢) ص ٣٢٤ .

(٣) اخرجه مسلم في كتاب الطلاق . المجلد (٢) ج (٤) ص (١٨٦) .

وفاتها :-

توفيت رضي الله عنها ليلة الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ثمان وخمسين عند الأكثر قاله ابن حجر في الاصابة ، وقيل سنة سبع وخمسين .

وأوصت رضي الله عنها عبدالله بن الزبير بأن يدفنها مع سائر أمهات المؤمنين ، روى البخاري في صحيحه عنها أنها قالت لعبدالله بن الزبير أدفني مع صواحبي ولا تدفني مع النبي صلى الله عليه وسلم في البيت فاني اكره أن ازكى (٢) وهذا تواضع منها .

ودفنت بعد الوتر ، وصلى عليها ابو هريرة ونزل قبرها خمسة وهم: ولدا اختها اسماء وهما عبدالله وعروة ابنا الزبير ، والقاسم وعبدالله ابنا اخيها محمد ، وعبدالله ابن اخيها عبدالرحمن .

رضي الله عنها وأرضاها وانزلها منازل الابرار الاطهار .

----

(١) اخرجه البخاري في كتاب الاعتصام . المجلد (٤) ص ١٥٣ .

الفصل الرابع

" السيدة حفصة بنت عمر "

نسبها :- هي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح (١) بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لوى" (٢) والدها من اشراف قريش واليه كانت السفارة في الجاهلية وكان في بداية الأمر من أشد الناس عداوة للدين الجديد الى أن استجاب الله دعوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكان قد دعى الله أن يعز به الاسلام أو بأبي جهل .

وقد روى عن ابن عباس قال : قال لي علي بن ابي طالب ماعلمت أن احدا من المهاجرين هاجر الا متخفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده أسهما وأختصر عنزته ومضى قبل الكعبه والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا متمكنا ثم اتى المقام فصلى متمكنا ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال لهم شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس من أراد أن تثكله أمه ويؤتم ولده ويرمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي ، قال علي فماتبعه أحد الا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه " (٣)

---

(١) وفي اسد الغابة بن رياح وكذا في الاستيعاب .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج (٨) ص ٨١ - وفي الاصابة بن لؤى بن غالب ج (٢) ص ٥١٨ .
(٣) اسد الغابة في معرفة الصحابة المجلد (٤) ص (٥٨)

وسماه رسول الله عبقريا ففي صحيح مسلم عن ابن شهاب أن سعيد بن المسيب أخبره أنه سمع ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم رأيتني على قليب (١) عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن ابى قحافة فنزع بها ذنوبا (٢) أو ذنوبين وفى نزعه والله يغفر له ضعف ثم استحالت (٣) غربا (٤) فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب حتى ضرب (٥) الناس بعطن (٦) * (٧) .

فالحديث يشير الى عبقريته رضى الله عنه عندما تولى أمر المسلمين بعد وفاة الصديق رضى الله عنه حيث قام بمصالح الناس وتدبير أمورهم فأنتفعوا في مدة ولايته اكثر من انتفاعهم في خلافة ابى بكر وذلك لطول مدة ولايته على المسلمين وقصر مدة ابى بكر. وأمها زينب بنت مظعون أخت عثمان ، وفي المعين قال أمها قدامة بنت مظعون وأشار الزرقاني فى شرحه

---

(١) القليب : هى البئر .
(٢) ذنوبا : بفتح الذال وهى الدلو المملوءة .
(٣) استحالت : أى صارت وتحولت من الصغر الى الكبر .
(٤) غربا : بفتح الغين واسكان الراء وهي الدلو العظيمة .
(٥) وقوله " حتى ضرب الناس بعطن " أى حتى أروى الناس ابلهم واووها الى عطنها .
(٦) والعطن : مكان استراحة الابل بعد السقي .
(٧) أخرجه مسلم واللفظ له في كتاب فضائل الصحابة . المجلد (٤) ج (٧) ص ١١٢ ، ١١٣ .

على المواهب بأنه وهم لأن قدامة خالها لا أمها .

وهي من المهاجرات كما قال الزبير ، وأما ما قاله أبو عمر في هجرتها وأخشى أن يكون وهماً لأنه قيل أنها ماتت بمكة قبل الهجرة فقد رد عليه ابن حجر فقال : " بل الوهم ممن قال ذلك فقد ثبت عن عمر أنه قال في حق ولده عبدالله هاجر به أبواه ، أخرجه البخاري من طريق نافع عن ابن عمر عن عمر لما فضل أسامة على عبدالله بن عمر في القسم ، وقد تعقب ابن فتحون كلام ابي عمر بهذا وذكرها ابو موسى في الذيل بهذا الخبر" (١)

ولادتها وزواجها :-

وبينما قريش منهمكة في بناء الكعبة يتنافس زعماؤها أيهم يكون له شرف اعادة الحجر الاسود الى مكانه بشر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بولادة حفصه وكان ذلك قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين .

ولما تأهلت رضي الله عنها للزواج تقدم لخطبتها خنيس بن حذافة السهمي فزوجه اياها ، وكان من المهاجرين الأولين ، قيل أنه مات عقب قدوم النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر جزم بذلك ابن سعد وابن سيد الناس ، وقيل انه شهد أحداً وأصيب فيها بجراحة عظيمة مات على أثرها ، وهذا قول ابن عبدالبر ، ورجح ابن حجر في الاصابة بأنه قتل بأحد سنة ثلاث ، وفي فتح الباري ذكر بأن الأولى هو الأول .

---

(١) الاصابة في تمييز الصحابة جـ(٤) ص (٣١٩) .

ولما تأيمت رضي الله عنها وانقضت عدتها تزوجها رسول الله بعد أن عرضها والدها على عثمان بن عفان وابي بكر الصديق رضي الله عنهما .

روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفى بالمدينة فقال عمر بن الخطاب أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال : سأنظر في امرى ، فلبثت ليالى ، ثم لقيني فقال : قد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا ، قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق فقلت : ان شئت زوجتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر فلم يرجع الى شيئا ، وكنت أوجد (١) عليه منى على عثمان ، فلبثت ليالى ، ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها اياه ، فلقيني ابوبكر فقال : لعلك وجدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع اليك شيئا ؟ قال عمر : قلت نعم . قال ابو بكر : فانه لم يمنعني ان أرجع اليك فيما عرضت على الا انى كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم اكن لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلتها" (٢)

---

(١) وقوله " وكنت أوجد عليه منى على عثمان " أى ان غضبه على ابي بكر كان أشد من غضبه على عثمان ، وذلك لقوة المودة بينهما ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين ابى بكر ولأن عثمان اجابه أولا ثم اعتذر ثانيا ، واما ابوبكر فلم يحد عليه جوابا .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، المجلد (٣) ج(٦) ص ١٣٠ ، والنسائي في كتاب النكاح ، باب عرض الرجل ابنته على من يرضى . المجلد (٣) جـ (٦) ص ٧٧ ، ٧٨ . واللفظ للبخارى .

" ووقع في رواية ربعي بن حراش عن عثمان عند الطبرى وصححه هو والحاكم أن عثمان خطب الى عمر بنته فرده ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما راح اليه عمر قال : ياعمر الا أدلك على ختن خير من عثمان ، وأدل عثمان على ختن خير منك ؟ قال : نعم يانبي الله ، قال تزوجني بنتك وأزوج عثمان بنتي " (١)

قال الحافظ الضياء : اسناده لا بأس به ، لكن في الصحيح ان عمر عرض على عثمان حفصة فرد عليه قد بدا لى أن لا أتزوج " (٢)

قال ابن حجر في الجمع بينهما يحتمل أن يكون عثمان بن عفان رضي الله عنه خطب أولا حفصة من عمر فرده كما في رواية ربعي ، وسبب رده يحتمل ان يكون من جهتها وهي أنها لم ترغب في الزواج لقرب وفاة زوجها ويحتمل غير ذلك من الاسباب التي لا غضاضة فيها على عثمان في رد عمر له ، ثم لما ارتفع السبب بادر عمر في عرضها على عثمان رعاية لخاطره كما في حديث الباب ولعل عثمان بلغه مابلغ الصديق رضي الله عنه من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها فصنع كما صنع من ترك افشاء أمر رسول الله " (٣)

وذكر ابن عبد البر وغيره ان عمر عرضها على ابي بكر ثم على عثمان الا ان الذي ورد في الصحيح كما ذكرت عكس ذلك .

---

(١) فتح الباري جـ(٩) ص ١٧٦ ، ١٧٧ .
(٢) نفس المصدر السابق والجزء والصفحة .
(٣) بتصرف من فتح الباري جـ(٩) ص ١٧٧ .

وكان زواجه صلى الله عليه وسلم بها بعد عائشة سنة ثلاث عند اكثر العلماء قاله ابن الأثير . وقال ابو عبيدة سنة اثنتين من التاريخ .

وأخرج ابو داود وابن ماجه في سننهما كلاهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها" (١)
وفي هذا الارتجاع اختلاف فتذهب رواية الى ان ذلك كان رحمة بعمر الذي حثى التراب على رأسه عندما بلغه خبر طلاق ابنته وقال : " مايعبأ الله بك يا ابن الخطاب بعدها فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر" (٢)

وفي رواية اخرى ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم " راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة " (٣)

---

(١) أخرجه ابو داود واللفظ له في كتاب الطلاق . المجلد (١) ج(٢) ص ٢٨٥ ، وابن ماجه في كتاب الطلاق ، المجلد (١) ص ٦٥٠ .
(٢) أورده الهيثمي وقال : رواه الطبراني وفيه عمرو بن صالح الحضرمي ولم اعرفه وبقية رجاله ثقات . ج(٩) ص ٢٤٤ .
(٣) رواه الحاكم في مستدركه ج(٤) ص(١٥) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ج(٩) ص(٢٤٥) .
وفي سير اعلام النبلاء ج(٢) ص(٢٣١) جاء التعليق على هذه الرواية بأن فيه قيس بن زيد وهو تابعي صغير مجهول وباقي رجاله ثقات وأشار الى ان قول الهيثمي في مجمع الزوائد بأن رجاله رجال الصحيح وهم منه ، وقد تحرف في المطبوع زيد الى يزيد ، كما أشار ايضا الى ان في المتن وهما وذلك ان عثمان وهو ابن مظعون مات قبل ان يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة لأنه مات قبل احد بلا خلاف وزوج حفصه قبل النبي صلى الله عليه وسلم مات بأحد فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أحد .

ورجحت بنت الشاطئ "ان هذا الطلاق كان قبل اعتزال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه ولهذا كان شعورها بالندم والخطأ عندما اعتزلهن رسول الله اكثر من غيرها من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن .

وذكر الاستاذ ابراهيم الجمل ، ان سبب طلاقها هو عندما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمارية في بيتها وكانت هي في زيارة والدها ولما عادت وعلمت بذلك غضبت وبكت واراد رسول الله ان يسترضيها فحرم جاريته على نفسه ثم اوصاها ان تكتم السر ولكنها لم تفعل فقصت على عائشة ماكان من أمر التحريم ، ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى اجتمع نساؤه متظاهرات ضد مارية ، واراد عليه الصلاة والسلام ان يهون من الأمر فأوصاهن بترك ماهن عليه من ثورة وغضب ولكنهن تماديين في ذلك . عندئذ اعتزلهن واعلن أنه منقطع عنهن شهرا ، وطلق رسول الله حفصة تطليقة " (١)

والذي نراه أنه صلى الله عليه وسلم عندما أعتزل نساءه ، سواء كان سبب الاعتزال قصة تحريم العسل أو تحريم مارية على نفسه لم يطلق نساءه وانما اعتزلهن فقط كما جاء في الروايات وسيأتي ذكرها في الباب الثالث ان شاء الله .

---

(١) زوجات النبي محمد صلى الله عليه وسلم واسرار الحكمة في تعددهن للاستاذ ابراهيم الجمل ، ص(٦٠) .

فصاحتها وبلاغتها :-

ومما لا شك فيه أن نشأتها في بيت والدها وانتقالها الى بيت النبوة كان لهما الأثر الكبير فى حياتها فشبت رضى الله عنها فصيحة اللسان موفورة الذكاء ، ومن فصاحتها رضى الله عنها ان قالت فى مرض ابيها " يا أبتاه مايحزنك وفادتك على رب رحيم ولا تبعه لأحد عندك ، ومعى لك بشارة لا أذيع السر مرتين ، ونعم الشفيع لك العدل لم تخف على الله عز وجل خشنة عيشتك وعفاف نهمتك ، وأخذك بأكظام المشركين والمفسدين في الأرض" (١)

ولما قتل والدها على يد فيروز المجوسى ، الذى كان يلقب بأبى لؤلؤة بكته ورثته وقالت فيه قولا بليغا لا يزال الى عصرنا هذا قطعة من الأدب الرفيع ، ومما قالته : " الحمد لله الذى لا نظيرله ، والفرد الذى لا شريك له ، وأما بعد فكل العجب من قوم زين الشيطان افعالهم ، وأرعوى (٢) الى صنيعهم ، ورب فى الفتنة لهم ، ونصب حبائله لختلهم حتى هم عدو الله باحياء البدعة ، ونبش الفتنة ، وتجديد الجور بعد دروسه (٣) ، واظهاره بعد دثوره ، واراقة الدماء ، واباحة الحمى ، وانتهاك محارم الله عز وجل بعد تحصينها ، فأضرى (٤) وهاج وتوغر (٥) ،

---

(١) اعلام النساء فى عالمى العرب والعجم ،عمر رضا كحاله ج (١) ص (٢٧٥)
(٢) وارعوى الى صنيعهم : بمعنى حتى انصرفوا اليها .
(٣) دروسه : اى انطماسه
(٤) فأضرى : اى اهتز غضبا
(٥) توغر : اى توقد غيظا

وثار غضبا لله ونصرة لدين الله ، فأخسأ الشيطان ، ووقم كيده ، وكفف ارادته ، وقدع (١) محنته ، واضعر خده لسبقه الى مشايعة أولى النـــاس بخلافة رسول الله الماضي على سننه ، المقتدى بدينه ، المقتص لأثــــره ، فلم يزل سراجه زاهرا وضوؤه لامعا ، ونوره ساطعا ، له من الأفعـــــال الغرر ، ومن الآراء المصاص (٢) ، ومن التقدم في طاعة الله اللباب (٣) الى أن قبضه الله اليه قاليا (٤) لما خرج منه ، شانيا (٥) لما ترك مـــن أمره ، شيقا لمن كان فيه ، صبا الى ماصار اليه ، وائلا (٦) الى مادعي اليه ، عاشقا لما هو فيه ، فلما صار الى التى وصفت وعاين لما ذكرت ، أوما بها الى أخيه (٧) في المعدلة ، ونظيره في السيرة ، وشقيقـــه في الديانة ، ولو كان غير الله أراد لأمالها الى ابنه ، ولصيرها في عقبه ، ولم يخرجها من ذريته ، فأخذها بحقها وقام فيها بقسطها لم يؤده ثقلها ولم يبهظه (٨) حفظها ، مشردا للكفر عن موطنه ، ونافرا له عن وكره (٩)

---

(١) قدع : اى كف ومنع
(٢) الآراء المصاص : أى الآراء الجيدة
(٣) اللباب : الخالص
(٤) قاليا : كارها
(٥) شانيا : مبغضا
(٦) وائلا الى مادعي اليه ، أى طالبا بالتمسك الى مادعي اليه .
(٧) والمقصود بأخيه في المعدله هو الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه
(٨) لم يبهظه ، أى لم يثقله ويسبب له مشقة .
(٩) الوكر : هو الموضع .

وشيرا له من مجثمه (١) ، حتى فتح الله عز وجل على يديه أقطار البلاد ، ونصر الله بقدمه وملائكته تكنفه ، وهو بالله معتصم ، وعليه متوكل ، حتى تأكدت عرى الحق عليكم عقدا (٢) ، وأضمحلت عرى الباطل عنكم حلا (٣) ... " (٤)

فهذه نبذة مما قالته في وفاة والدها نكتفي منها بهذا القدر لتوضيح ما كانت عليه أم المؤمنين رضي الله عنها من فصاحة وبلاغة .

وارثة الصحيفة :-

وكما نعلم بعد وفاة والدها تولى الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكانت الفتوحات الاسلامية قد اتسعت رقعتها ، واستبحر العمران ، وتفرق المسلمون في الأمصار المختلفة وحمل كل منهم من القراءات ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار أهل كل اقليم من أقاليم الاسلام يأخذون بقراءة من أشتهر بينهم من الصحابة فأهل الكوفة كانوا يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود ، وأهل الشام يقرءون بقراءة ابي بن كعب ، وغيرهم يقرأ بقراءة أبو موسى الاشعري وكان هناك اختلاف في حروف الاداء ووجوه القراءة وقد

---

(١) مجثمه : أي مكانه
(٢) حتى تأكدت عرى الحق عليكم عقدا : أي حتى توثقت عرى الحق عليكم ابرامه .
(٣) حلا : أي حلت وانمحت
(٤) اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام ج(١) ص٢٧٦، ٢٧٧

أدى هذا الى فتح باب الشقاق والنزاع بينهم واستفحل الداء حتى كفر بعضهم بعضا ، وكادت تكون فتنة في الأرض وفساد كبير ولما بلغ عثمان ذلك اراد ان يتدارك الامر قبل ان يستفحل خطره فجمع أعلام الصحابة واستشارهم في علاج هذه الفتنة وحسم مادة هذا النزاع فأجمعوا أمرهم على استنساخ عدة مصاحف وارسالها الى الامصار المختلفة وأن يأمر الناس باحراق كل ماسواها ثم أرسل الى حفصة رضى الله عنها أن تبعث له بالصحف التى عندها وهى التى كتبت في عهد ابى بكر ثم انتقلت بعد وفاته الى والدها ثم اليها لتكون اساسا في جمع القرآن ، واختار اربعة من خيرة الصحابة ليقوموا بهذا العمل الجليل ،وبعد ان انتهوا من نسخها ردها اليها وبقيت عندها الى أن توفيت .

وفي ذلك يروى البخارى في صحيحه بسنده عن ابن شهاب ان أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان مع اهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان الى حفصة ان أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك . فأرسلت بها حفصة الى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة اذا أختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فأكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا . حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصه ، فأرسل

الى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق " (١)

موقفها من الفتنة التى حصلت في عهد الامام على رضى الله عنه :-

وما أن لحق عثمان بن عفان رضى الله عنه بربه وبويع على بالخلافة حتى هبت رياح الفتنة بين المسلمين اذ خرج البعض منهم على طاعته حتى يقتص من قتلة عثمان ومن بين الذين تهيئوا للخروج في الجيش المطالب بدم عثمان أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها ولما علمت أم سلمة بذلك أرسلت اليها تنصحها بعدم الخروج ، ولكنها رضى الله عنها لم تستجب لنصيحتها ولم تقف مع عائشة في الخروج سوى حفصة التى ما أن بلغت مشارف المدينة حتى لحق بها اخوها عبدالله فأرجعها ، وقيل أن السيدة عائشة رضى الله عنها ندمت على ذلك وكانت كلما ذكرت ذلك اليوم قالت عنه انه شوكة في حلقى .

مروياتها :- لها ستون حديثا (٢) اتفق (٣) البخارى ومسلم على ثلاثة احاديث

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، المجلد (٣) ج (٦) ص (٩٩) .

(٢) وفى سمط النجوم أن مروياتها سبعون حديثا .

(٣) وأما ما اتفقا عليه الشيخين فهو في البخارى في كتاب الأذان ، باب الاذان بعد الفجر المجلد (١) ج (١) ص (١٥٣) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب ركعتى سنة الفجر ، المجلد (١) ج (٢) ص (١٥٩) .

في البخارى في كتاب الحج ، باب مايقتل المحرم من الدواب المجلد (١) ج (٢) ص (٢١٢) ومسلم في كتاب الحج ، باب مايندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم ، المجلد (٢) ج (٤) ص ١٨ ، ١٩ .

=

وانفرد مسلم بستة وقيل (١) اخرج لها منها في الصحيحين عشرة ، المتفق عليها منها أربعة ولمسلم ستة .

روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابيها ، وروى عنها أخوهـا عبد الله بن عمر ، وابنه حمزة وزوجته صفية بنت ابي عبيد ، وأم بشر الانصارية ، والمطلب بن أبي وداعة ، وحارثة بن وهب وشتير بن شكل وعبد الله بن صفوان بن أمية ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام والمسيب بن رافع ، وأبو مجلز وخلق آخرون .

= البخاري كتاب الحج ، باب التمتع والاقران والافراد بالحج وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدى ، المجلد (١) جـ (٢) ص (١٥٢) ، وسلم في كتاب الحج ، باب بيان ان القارن لا يتحلل الا في وقت تحلل الحاج المفرد ، المجلد (٢) جـ (٤) ص (٥٠) .
وأما ما انفرد به مسلم فمنها ماورد عنده في كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب ركعتي سنة الفجر ، المجلد (١) جـ (٢) ص (١٥٩) وفي كتاب الصيام ، باب بيان ان القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته ، المجلد (٢) جـ (٣) ص (١٣٦) . وفي كتاب الطلاق ، باب وجوب الاحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك الا ثلاثة ايام المجلد (٢) جـ (٤) ص (٢٠٤) وفي كتاب الفتن ، باب الخسف بالجيش الذى يوم البيت المجلد (٤) جـ (٨) ص (١٦٧) .

(١) كذا في سير اعلام النبلاء وسمط النجوم .

وفاتها :- توفيت رضى الله عنها بالمدينة ، واختلفوا في سنة وفاتها قال الواقدى : توفيت حفصة في شهر شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية ، وبه جزم ابن حجر في التقريب . وقال ابن ابى خيثمة : توفيت حين بايع الحسن بن على معاويه وذلك في جماد الاولى سنة احدى واربعين وكذلك قال أبو معشر وبه جزم ابن الأثير والذهبي .

وحكى ابو بشر الدولابى إن وفاتها كان في سنة سبع وعشرين .

قال ابن حجر : وهو غلط وكان قائله استنده الى ماروراه ابن وهب عن مالك انه قال : ماتت حفصة عام فتحت افريقيه ، ومراده فتحها الثاني الذى كان على يد معاوية بن خديج وهو فى سنة خمس وأربعين وأما الأول الذى كان في عهد عثمان فهو الذى كان في سنة سبع وعشرين فلا " (١)

وروى ابن سعد بسند فيه الواقدى عن المقبرى عن ابيه قال : رأيت مروان بين ابى هريرة وبين ابى سعيد امام جنازة حفصة .

قال ورأيت مروان حمل بين عمودى سريرها من عند دار بنى حزم الى دار المغيرة بن شعبه وحمله ابو هريرة من دار المغيرة الى قبرها" (٢)

ودفنت رضى الله عنها بالبقيع ، ونزل قبرها اخواها عبدالله وعاصم ، وبنو عبدالله ابن عمر وهم : سالم وعبد الله وحمزه ، ولها من العمر ثلاث وستون على قول من رجح وفاتها سنة خمس وأربعين وقيل غير ذلك والله أعلم

---

(١) الاصابة في تمييز الصحابة ج(٤) ص(٢٧٤) .
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ج(٨) ص٨٦ . وابن حجر في الاصابه ج(٤) ص٢٧٣ .

الفصل الخامس

" السيدة زينب بنت خزيمة "

هى زينب بنت خزيمة بن الحارث (١) بن عبدالله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر ابن صعصعة " (٢)

أم المؤمنين وزوج رسول الله ، كانت رضى الله عنها تسمى بأم المساكين ذكر ابن سعد أن تسميتها بذلك كانت في الجاهلية . قال الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية . قال الزهرى : سميت بذلك لكثرة اطعامها المساكين رواه الطبراني ، وقال ابن اسحاق : لرحمتها اياهم ورقتها عليهم ولم يقيداه بالجاهلية وكذا في الاصابة والعيون ، لكن ذكره ابن ابى خيثمه . أى وأولى فى الاسلام " (٣)

وفي الاستيعاب قال ابن عبدالبر ، وكانت زينب بنت خزيمة أخت ميمونه لأمها ، ونسب القول الى ابى الحسن " على بن محمد الجرجانى " وقال ولم أر ذلك لغيره " (٤)

---

(١) وفي الاصابة بنقص (الحارث) وحذف الواو في (عمرو) أى زينب بنت خزيمة بن عبدالله ابن عمر .

(٢) كذا في الاستيعاب ، ج(٤) ص(٣١٢) . وأسد الغابة المجلد (٥) ص(٤٦٦) . وطبقات ابن سعد ج(٨) ص(١١٥) . والسيرة النبوية لابن هشام - ج(٤) ص(١٥٠٤) .

(٣) شرح العلامة الزرقانى على المواهب اللدنية (المجلد (٣) ص(٢٤٩)

(٤) بتصرف من الاستيعاب ج(٤) ص (٣١٣) .

وفي تراجم سيدات بيت النبوة ، عقبت بنت الشاطئ على هذا القول ، وذكرت بأن النسابة أبو جعفر بن حبيب ذكر ذلك في مبحث أسلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل ميمونة بنت الحارث ، وقالت فيما نقلته عنه " وأخوات ميمونة لأبيها وامها أم الفضل لبابة الكبرى أم بنى العباس بن عبد المطلب ، ولبابة الصغرى أم خالد بن الوليد ، وعزة بنت الحارث .. وأختهن لأمهن : زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله الهلالية ، واسماء بنت عميس ... " (١)

واختلفت الأقوال فيمن كانت عنده قبل رسول الله ، فقيل كانت عند الطفيل بن الحارث ثم خلف عليها أبو عبيدة بن الحرث قاله أبو عمر عن ابى الحسن " على بن محمد الجرجاني " (٢)

وقيل كانت عند الطفيل ابن الحارث فطلقها وتزوجها اخوه عبيدة فقتل يوم بدر شهيدا ، قاله ابن سيد الناس ، وابن الكلبى فيما نقله عنه ابن حجر.

وقيل كانت تحت عبد الله بن جحش قتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله قاله ابن حجر وابن الأثير وصححه (٣) القسطلاني .

---

(١) تراجم سيدات بيت النبوة ص (٣١٤)
(٢) بتصرف من الاستيعاب ج (٤) ص (٣١٣)
(٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني الجز (١) ص (٢٠٦)

كما اختلفوا أيضا فيمن تولى زواجها من رسول الله .

ففي الاصابة عن ابن الكلبي : ان رسول الله خطبها الى نفسها فجعلت امرها اليه فتزوجها " (١)

وفي السيرة لابن هشام " زوجه اياها قبيصة بن عمرو الهلالي " (٢) وكان دخوله صلى الله عليه وسلم بها بعد دخوله على حفصة .

قال ابن الاثير فيما ذكره ابن منده في ترجمتها - قول النبي صلى الله عليه وسلم " اسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا فكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم يتذارعن أيتهن أطول يدا فلما توفيت زينب علمن أنها كانت أطولهن يدا في الخير - بأنه وهم ، لأنه صلى الله عليه وسلم قال : أسرعكن لحوقا بي وهذه سبقته ، انما أراد أول نسائه تموت بعد وفاته .

وأشار الى أنه ذكر ذلك في ترجمة السيدة زينب بنت جحش ، وقال : وهو بها أليق لأنها كانت كثيرة الصدقة من عمل يدها كما أنها أول نسائه ماتت بعده " (٣)

وقال ابن حجر : فيما رواه ابن سعد في ترجمتها - عن الهلالية التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم انها كانت لها خادم سوداء فقالت يارسول الله أردت أن اعتق هذه ، فقال لها ألا تفدين بها بني اخيك أو بني اختك من رعاية الغنم ؟ بأنه خطأ وأن صاحبة هذه القصة ميمونة بنت الحارث وهي هلالية ، وأشار الى أنه في الصحيح نحو هذا من حديثها ، وأن ابن سعد ذكر نحوه في ترجمة السيدة ميمونة من وجه آخر . (٤)

---

(١) الاصابة ج(٤) ص (٣١٦)

(٢) السيره النبوية لابن هشام ج(٤) ص(١٥٠٥)

(٣) بتصرف من أسد الغابة المجلد (٥) ص ٤٦٧

(٤) بتصرف من الاصابة ج(٤) ص٣١٦ وماأشار اليه ابن حجر من ان ابن سعد ذكر نحوه في ترجمة السيدة ميمونه فهو مذكور في ج(٨)ص١٣٨

عاشت رضي الله عنها مع رسول الله فترة زمنية بسيطة ، قيل أنها لم تلبث عنده الا شهرين أو ثلاث ، وقيل ثمانية أشهر ، وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودفنت بالبقيع ، فكانت أول من دفن فيه من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن ، وقد بلغت من العمر ثلاثين سنة أو نحوها .

• • • •

الفصل السادس

" السيدة أم سلمة بنت ابى أميـــــة "

نسبها :- هي هند (١) بنت ابى أمية حذيفة بن المغيرة بن عبد اللـــه بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لوى بن غالب" (٢)

وقيل هند بنت ابي امية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن نقظـــة بن مرة بن كعب بن لوى" (٣) اختلف في اسم والدها (ابى أمية) فقيـــل حذيفة وقيل سهيل وقيل سهل ، وكان يلقب بزاد الركب ،فكان اذا سافـــر معه أحد من رفقته لم يحمل أحد منهم زادا بل هو كان يكفيهم .

قال ابن الأثير: وزعم الكلبى أن أزواد الركب من قريش ثلاثة ، زمعـــة بن الأسود بن عبد المطلب بن عبد مناف قتل يوم بدر كافرا ،ومسافر بن ابـى عمرو بن أمية ، وابو أمية ابن المغيرة وهو أشهرهم بذلك (٤)
وقال مصعب والعدوى لا تعرف قريش زاد الركب الا ابا أميه وحده .

امها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمة بن علقمة بن فراس بـن غنم بن مالك بن كنانة (٥)

---

(١) وقيل رملة ، وصوب ابن عبد البر في الاستيعاب ان اسمها هند وقـال وعليه جماعة من العلماء .
(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . ج(٩) ص (٢٤٥) .
(٣) سمط النجوم العوالى في ابناء الأوائل والتوالى . لعبد الملـــك بن حسين المكي ج(١) ص (٣٨٢) .
(٤) اسد الغابة في معرفة الصحابة المجلد (٣) ص (١١٨)
(٥) المستدرك للحاكم ج(٤) ص (١٨) .

وقيل عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جذيمة بن علقمة ـ جذل الطعان ـ بن فراس بن غنم ابن مالك بن كنانة " (١)

وأم سلمة هي اخت عبدالله بن ابى امية ، كان شديد العداوة لرسول الله والمسلمين الى ان هداه الله للاسلام ، شهد مع رسول الله فتح مكة وحنين والطائف ، وفي الطائف رمي بسهم فقتل .

قال ابن حجر : قال البخارى له صحبة وله ذكر في الصحيحين (٢)" (٣)

وكانت رضى الله عنها مشهورة بكنيتها " أم سلمة " معروفة باسمها وكما ذكرت هي ارملة عبدالله بن عبد الاسد الهلالى أخ رسول الله من الرضاع كما ثبت في الصحيحين وغيرهما .

روى عن زينب ابنة ابى سلمة ، أن أم حبيبة قالت : قلت يارسول الله انكح اختى بنت ابى سفيان ، قال : وتحبين ، قلت نعم لست لك بمخلية (٤) وأحب من شاركنى في خير أختى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان ذلك لا يحل لى ، قلت ، يارسول الله فوالله انا لنتحدث انك تريد أن تنكح درة بنت ابى سلمة ، قال بنت أم سلمة ، فقلت نعم ، قال فو الله لو لم تكن في حجرى ماحلت لى انها لابنة اخى من الرضاعة ارضعتنى وابا سلمة ثويبة

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج (٨) ص (٨٦)

(٢) ذكر في حديث اخرجه البخارى من طريق زينب بنت ابى سلمة عن امها ام سلمة في كتاب المغازى ، باب غزوة الطائف . المجلد (٣) ج (٥) ص (١٠٢) كما ذكر في حديث آخر اخرجه مسلم من طريق سعيد بن المسيب عن ابيه في كتاب الايمان . المجلد (١) ج (١) ص (٤٠) والبخارى في كتاب الجنائز . المجلد (١) ج (٢) ص ٩٨

(٣) الاصابة ج (٢) ص (٢٧٧)

(٤) لست بمخلية : اى لست منفردة بك .

فلا تعرضن على بناتكن ولا أخواتكن "(١)

اسلامها وهجرتها :-

اسلمت رضى الله عنها هى وزوجها قديما ، وهاجرا الى أرض الحبشة والمدينة ، ولقصة هجرتها الى المدينة مأساة عظيمة لو أنزلت على جبل لهدته ولكن ايمانهما القوى بالله عز وجل كان اقوى من النوازل فصمدا امامها بالصبر والجلد وآثرا حبهما لله ولرسوله على كل عرض زائل .

روى عن ابن اسحاق قال : حدثني والدى اسحاق بن يسار ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن ابى سلمة ، عن جدته أم سلمة قالت : لما أجمع ابو سلمة الخروج الى المدينة ، رحل بعيرا له ، وحملني وحمل معى ابني سلمة ، ثم خرج يقود بعيره ، فلما رآه رجال بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا اليه ، فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد ، ونزعوا خطام البعير من يده واخذوني ، وغضبت عند ذلك بنو عبد الاسد واهووا الى سلمة وقالوا والله لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا ، فتجاذبوا ابني سلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به عبد الاسد رهط ابى سلمة ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ،

---

(١) اخرجه البخارى في كتاب النكاح . المجلد (٣) ج(٦) ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، ومسلم في كتاب الرضاع المجلد (٢) ج(٤) ص ١٦٥ ، وابن ماجه في كتاب النكاح ، باب مايحرم من الرضاع مايحرم من النسب ، المجلد (١) ص ٦٢٤ . وفي روايته ان اسم اختها عزة . واللفظ للبخارى .

وانطلق زوجي ابو سلمة حتى لحق بالمدينة ، ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني قالت فكنت أخرج كل غداة فاجلس بالابطح فما أزال ابكي حتى امسى سنة أو قريبها ، حتى مربي رجل من بني عمي من بني المغيرة فرأى مابي فرحمني ، فقال لبني المغيرة الا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها فقالوا لي الحقي بزوجك ان شئت ، ورد على بنو عبد الاسد عند ذلك ابني ، فرحلت بعيري ، ووضعت ابني في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة ومامعي احد من خلق الله ، فقلت اتبلغ بمن لقيت حتى اقدم على زوجي ، حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان ابن طلحة بن ابي طلحة اخابني عبد الدار ، فقال أين يا ابنت ابي امية ، قلت أريد زوجي بالمدينة ، فقال هل معك أحد ؟ فقلت لا والله الا الله وابني هذا ، فقال والله مالك من منزل فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني ، فوالله ماصحبت رجلا من العرب اراه كان اكرم منه اذا بلغ المنزل اناخ بي ثم تنحى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني وقال اركبي ، فاذا ركبت واستويت على بعيري اتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ننزل فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي الى المدينة ، فلما نظر الى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال زوجك في هذه القرية وكان ابو سلمة نازلا بها فدخلتها على بركة الله تعالى ثم انصرف راجعا الى مكة وكانت تقول ماأعلم اهل بيت أصابهم في الاسلام ماأصاب آل ابي سلمة ، ومارأيت صاحبا قط كان اكرم من عثمان بن طلحة "(١)

---

(١) اسد الغابة في معرفة الصحابة المجلد (٥) ص ٥٨٨ ، ٥٨٩

واخرج الترمذى عن مجاهد بأنها أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة ، وقيل ان ليلى امرأة عامر بن ربيعة شاركتها في هذه الأولوية ، وبقيت رضى الله عنها مع ابى سلمة الذى مضى يجاهد ويناضل فى سبيل هذه الدعوة الى أن صعدت روحه الطاهرة بعد أن ولدت له سلمة وعمرو ودرة .

نبذة عن اولادها من ابى سلمة :-

١- سلمة بن ابى سلمة : هو ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هاجر به ابواه الى المدينة وهو صغير وبه كانا يكنيان .
قال ابن اسحاق : حدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن شداد قال : كان الذى زوج ام سلمة من النبى صلى اللهعليه وسلم سلمة بن ابى سلمة .(١)
وقال البلاذرى : ويقال ان الذى زوجه اياها ابنها عمر والأول أثبت(٢) عاش الى خلافة عبد الملك بن مروان ، قال ابن عبد البر في الاستيعاب لا احفظ له رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم

٢- عمر بن ابى سلمة :-

هو ايضا ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يكنى بأبى حفص ، قيل انه ولد بأرض الحبشة في السنة الثانية ، وقيل قبل ذلك

---

(١) الاصابة في تمييز الصحابة ج(٢) ص (٦٦)
(٢) نفس المصدر السابق والجزء والصفحه .

وقبل الهجرة الى المدينة ، ورجح ابن حجر ولادته قبل الهجرة فقال : ويدل عليه قول عبد الله بن الزبير كان اكبر مني بسنتين " حيث كانت ولادة ابن الزبير عام الهجرة .

وكان عمره يوم ان قبض رسول الله تسع سنين ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم عدة احاديث في الصحيحين وغيرهما عن ابيه ، وروى عنه ابنه محمد وعروة بن الزبير وسعيد بن المسيب ، ووهب بن كيسان وغيرهم .

وفي الصحيحين من رواية وهب بن كيسان عنه قال : كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش (١) في الصحفة فقال لى ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك "(٢)

قال الزبير : ولى البحرين زمن على وكان قد شهد معه الجمل ، قال ابوعمر : ووهم من قال انه قتل فيها ، بل مات بالمدينة سنة ثلاث وثمانين فى خلافة عبد الملك بن مروان .

٣ - درة بنت ابى سلمة :-

هي ايضا ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد اسمها في الحديث الذى قالته أم حبيبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم " انا لنتحدث انك تريد ان تنكح درة بنت أبى سلمة "(٣)

---

(١) تطيش : اى تتحرك في جميع الاتجاهات ولا تقتصر على موضع واحد .
(٢) اخرجه مسلم في كتاب الاشربة . المجلد (٣) الجزء (٦) ص (١٠٩) واخرجه البخارى في كتاب الاطعمه في باب التسمية على الطعام والأكل باليمين . المجلد (٣) الجزء (٦) ص ١٩٦ . واللفظ لمسلم .
(٣) سبق ذكر الحديث بكامله وتخريجه .

قال ابو عمر " وهى معروفة عند أهل العلم بالسير والخبر والحديث في بنات ام سلمة ربائب النبى صلى الله عليه وسلم "(١)

وأما زينب فوضعتها بعد موت أبى سلمة كما في مسند البزار قاله الزرقانى وكان اسمها بره فسماها النبى صلى الله عليه وسلم زينب ، وهى زوجة عبد الله بن زمعة بن الاسود الأسدى .
قال ابن سعد : " فولدت له عبد الرحمن ويزيد ووهبا وأبا سلمة وكبيرا وأباعبيدة وقريبة وأم كلثوم وأم سلمة" (٢)
كما ذكر أيضا في طبقاته ان أسماء بنت ابى بكر الصديق أرضعتها .
روت(٣) عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أمهات المؤمنين أم سلمة وعائشة وأم حبيبة وغيرهن .

وروى عنها ابنها ابوعبيدة بن عبد الله بن زمعة ، ومحمد بن عطاء ، وحميد بن نافع ، وعروة بن الزبير وآخرون .

زواجها من رسول الله :-

وبعد انقضاء عدتها خطبها رسول الله وقد ذكرت فيما سبق حديث مسلم الذى تناول خطبتها ، وفيه أن رسول الله أرسل اليها حاطب بن أبى بلتعه ليخطبها عليه .

---

(١) قاله في الاستيعاب المجلد (٤) ص (٢٩٨)
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد الجزء (٨) ص (٤٦١) .
(٣) وذكرها ابن سعد فيمن لم يرو عن النبى صلى الله عليه وسلم شيئا وروين عن ازواجه وغيرهن .

وفي رواية للنسائي : أن الذى بعثه اليها رسول الله هو عمر بن الخطاب ، وعند الامام احمد - بسند جيد - انه صلى الله عليه وسلم خطبها بنفسه . ويجمع بين هذه الروايات على انه بعثهما أولا ثم خطبها بنفسه ثانيا.

وروى ابن ماجة فى سننه عن عبد الملك بن الحارث بن هشام عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم سلمه في شوال وجمعها اليه في شوال (١)

واختلفوا في سنة زواجها هل كان ذلك في السنة الثانية أو الثالثة أو الرابعة ؟ والراجح ان شاء الله انه كان في السنة الرابعة ، لأن وفاة أبى سلمة كما قاله الجمهور وكما رجحه ابن حجر كان في جمادى الآخرة سنة أربع .

ولما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام عندها ثلاثا وقال : " انه ليس (٢) بك على أهلك هوان ان شئت سبعت لك وان سبعت

---

(١) أخرجه ابن ماجه واللفظ له في كتاب النكاح المجلد (٦) ص (٦٤١)

(٢) وقوله صلى الله عليه وسلم " ليس بك على أهلك هوان " قال الامام النووى فمعناه لا يلحقك هوان ولا يضيع من حقك شيء بل تأخذينه كاملا .
وقال القاضي عياض : المراد بأهلك هنا نفسه صلى الله عليه وسلم والمعنى اى لا أفعل فعلا به هوانك على . شرح النووى على صحيح مسلم . ج (١٠) ص ٤٤ .

لك سبعت لنسائي " (١)

وفي رواية أخرى قال لها " ليس بك على أهلك هوان ان شئت (٢) سبعت عندك وان شئت ثلثت ثم درت ، قالت ثلث " (٣)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الرضاع . المجلد (٢) الجزء (٤) ص ١٧٢ ، ١٧٣ . وأخرجه ابو داود في كتاب النكاح . المجلد (١) الجزء (٢) ص (٢٤٠) وابن ماجه في كتاب النكاح . المجلد (١) ص (٦١٧) واحمد في الجزء (٦) ص (٢٩٢) واللفظ لمسلم .

(٢) وفي قوله " ان شئت سبعت عندك وان شئت ثلثت ثم درت ، قالت ثلث " اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم خيرها بين أمرين أن يقيم عندها ثلاثا بلا قضاء وبين أن يقيم عندها سبعا ويقضي لباقي نسائه فأختارت الثلاث .

وأشار الامام النووي الى أن اختيارها لذلك لكونها لا تقضى وليقرب عوده اليها فانه يطوف عليهن ليلة ليلة ثم يأتيها ولو أخذت سبعا طاف بعد ذلك عليهن سبعا سبعا فطالت غيبته عنها . شرح النووي على صحيح مسلم جـ (١٠) ص (٤٤) .

(٣) اخرجه مسلم في كتاب الرضاع . المجلد (٢) جـ (٤) ص (١٧٣) .

وروى ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة حزنت حزنا شديدا لما ذكروا لنا من جمالها ، قالت فتلطفت لها حتى رأيتها فرأيتها والله اضعاف ما وصفت لى في الحسن والجمال ، قالت : فذكرت ذلك لحفصة وكانتا يدا واحدة ، فقالت لا والله ان هذه الا الغيرة ، ما هى كما يقولون ، فتلطفت لها حفصة حتى رأتها فقالت : قد رأيتها ولا والله ما هى كما تقولين ولا قريب وانها لجميلة ، قالت : فرأيتها بعد فكانت لعمرى كما قالت حفصة ولكنى كنت غيرى" (١)

وأهداها رسول الله بعد زواجه منها حلة ومسكا . روى الامام احمد في مسنده عن ام كلثوم بنت أبى سلمة قالت : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال لها انى قد أهديت الى النجاشي حلة وأواقى من مسك ولا أرى (٢) النجاشى الا قدمات ولا أرى الا هدينى مردودة على ، فان ردت على فهى لك ، قالت : (٣) وكان كما قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رواه ابن سعد في طبقاته جـ(٨) ص ٩٤

(٢) أرى الاولى بفتح الهمزة لانها تفيد العلم لا الظن وقد علم صلى الله عليه وسلم بموت النجاشي بطريق الوحى . وأرى الثانيه ، بضم الهمزة ويجوز فتحها لاحتمال أن تكون علمية أو ظنية ، قاله الشيخ احمد البنا في كتابه الفتح الربانى مع مختصر شرحه بلوغ الامانى . جـ(١٥) ص(١٧١) .

(٣) وقال ايضا في نفس المصدر السابق والصفحة وظاهر قوله " فهى لك " يعنى الهدية كلها ولذلك استشكل بعضهم تقسيم المسك على نسائه صلى الله عليه وسلم وليس الأمر كذلك ، فان المراد بقوله" فهى لك " يعنى الحلة لا الهدية كلها فقد جاء في سياق رواية ابن حبان مايدل على ذلك وحينئذ فلا اشكال .

وسلم وردت عليه هديته فأعطي كل امرأة من نسائه اوقية مسك وأعطى أم سلمة بقية المسك والحلية "(١)

وفي هدنة الحديبيه كان لها دور جليل في تهدئة حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عندما فرغ من كتابة شروط الصلح الذى تم بينه وبين أهل مكة ، حيث امر أصحابه ان ينحروا هديهم ويحلقوا روءوسهم ، وكرر امره ثلاثا ، فلم يجبه احد الى ذلك ، فدخل عليه الصلاة والسلام الى زوجته أم سلمه واخبرها بماكان من أمر المسلمين ، فقالت له : "يانبى الله اتحب ذلك ؟ أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك (٢) فخرج عليه الصلاة والسلام وعمل بما أشارت عليه ،فلما رأى الناس مافعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما . (٣)

---

(١) اخرجه الامام احمد واللفظ له . ج(٦) ص٤٠٤ . وفى الفتح الربانى مع مختصر شرحه بلوغ الامانى قال الشيخ احمد البنا أخرجه ابن حبان وابن منده ،واورده الهيثمي وقال : رواه احمد والطبراني في معجمه الكبير وفيه مسلم بن خالد الزنجي وثقة ابن معين وغيره ، وضعفه جماعة وام موسى بن عقبة لم اعرفها ،وبقية رجاله رجال الصحيح . ج(١٥) ص (١٧١) .

(٢) هذا جزء من حديث طويل ذكره البخارى في كتاب الشروط . المجلد (٢) ج (٣) ص (١٨٢) .

(٣) غما : اى ازدحاما .

وكانت رضى الله عنها معتزة بنفسها تأبى ان يتدخل أحد في شئونها ولهذا انكرت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين كلمها فى مراجعة امهات المؤمنين لرسول الله ،فقالت له : عجبا لك يا ابن الخطاب قد دخلت في كل شيء حتى تبتغى أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه " (١)

ما ورد في خوفها من الله عز وجل وحبها لفعل الخير ابتغاء الثواب :-

روى الامام احمد عن عطاء عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : جعلت شعائر (٢) من ذهب فى رقبتها فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فأعرض عنها ، فقلت الا تنظر الى زينتي ؟ فقال عن زينتك اعرض ، قال : زعموا انه قال ماضر احداكن لو جعلت خرصا من ورق ثم جعلته بزعفران (٣)" (٤)

---

(١) هذا جزء من حديث ذكره مسلم في كتاب الطلاق ،المجلد (٢) ج(٤) ص(١٩١) .

(٢) قال في النهاية هو ضرب من الحلى امثال الشعير. كذا في الفتح الربانى مع مختصر شرحه بلوغ الاماني ج(١٧) ص٢٦٠ .

(٣) ثم جعلته بزعفران أى صفرته بزعفران فيصير كالذهب في عين الرائى . كذا في الفتح الرباني مع مختصر شرحه بلوغ الامانى ج(١٧) ص٢٦٠ .

(٤) اخرجه الامام احمد واللفظ له . ج(٦) ص٣٠١ . وفى الفتح الربانى مع مختصر شرحه بلوغ الاماني قال الشيخ احمد البنا فى تخريجه اورده الهيثمي وقال : رواه احمد والطبراني وسياقه حسن ،وقال فيه"فقطعتها فأقبل على بوجهه " ورجال احمد رجال الصحيح . ج(١٧) ص٢٦٠ .

وفى رواية أخرى عنه ايضا عن أم سلمة قالت : لبست قلادة فيها شعرات من ذهب ، قالت فرآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرض عنى فقال مايؤمنك أن يقلدك الله مكانها يوم القيامة شعرات من نار قالت فنزعتها" (١)

وروى مسلم في صحيحه عن زينب بنت ابى سلمة عن أم سلمة قالت : قلت يارسول الله هل لي أجر في بنى ابى سلمة أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا انما هم بنى ، فقال : نعم لك فيهم أجر ما أنفقت عليهم" (٢)

مسندها :-

لها ثلثمائه وثمانية وسبعون حديثا ، اتفق البخارى ومسلم على ثلاثة عشر حديثا ، وانفرد البخارى بثلاثة أحاديث وكذا مسلم . (٣)

روت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن زوجها ابى سلمة بن عبدالاسد وفاطمة بنت رسول الله .

---

(١) وفي نفس المصدر السابق قال في تخريجه" طب" أى للطبراني في معجمه الكبير" وهو كالذى قبله رجاله رجال الصحيح .
(٢) أخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الزكاة ، المجلد (٢) الجزء (٣) ص ٨٠ ، ٨١ .
(٣) وللذهبى في سير اعلام النبلاء ج (٢) ص ٢١٠ بأن مسلم انفرد بثلاثة عشر حديثا .

وروى عنها اولادها عمر وزينب ابنا ابى سلمة ، ومكاتبها نبهان ، واخوها عامر بن ابى امية ، وابن اخيها مصعب بن عبدالله بن ابى امية ، ومواليها عبدالله بن رافع ونافع وسفينة وابو كثير وابن سفينة وخيرة أم الحسن البصري ، وسليمان بن يسار وأسامة بن زيد بن حارثة ، وهند بنت الحارث الفراسية ، وصفية بنت شيبة ، وابو عثمان النهدى ، وحميد وابو اسامة ابنا عبدالرحمن بن عوف ، وسعيد بن المسيب ، وابو وائل ، وصفية بنت محصن ، والشعبى ، وعبدالرحمن بن ابى بكر ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام وابناه عكرمه وابو بكر ، وعثمان بن عبدالله بن وهب ، وعروة بن الزبير وكريب مولى ابن عباس ، وقبيصة ابن ذويب ، ونافع مولى ابن عمر ، ويعلى بن مملك . وخلق آخرون .

والى جانب روايتها للاحاديث كانت رضى الله عنها تقوم بالإفتاء ، اذ كانت توجه اليها الاسئلة من قبل الصحابة رضوان الله عليهم ، ومن افتائها :-

١- قولها في عدة المرأة التى تلد بعد وفاة زوجها تنتهى بوضع حملها . روى مسلم في صحيحة عن سليمان بن يسار ، أن ابا سلمة بن عبدالرحمن وابن عباس اجتمعا عند ابى هريرة وهما يذكران ان المرأة تنفس (١) بعد وفاة زوجها بليال ، فقال ابن عباس عدتها آخر الأجلين (٢) .

---

(١) تنفس : أي تلد .

(٢) جاء فى تحفة الاحوذى ان معنى آخر الاجلين هى : ان وضعت قبل مضى اربعة اشهر وعشرا تربصت الى انقضائها ولا تحل بمجرد الوضع وان انقضت المدة قبل الوضع تربصت الى الوضع . جـ(٤) ص٣٧٥ .

وقال ابو سلمة قد حلت ، فجعلا يتنازعان ذلك قال فقال ابو هريرة أنا مع ابن اخي " يعني أبا سلمة " فبعثوا كريبا مولى ابن عباس) الى ام سلمة يسألها عن ذلك فجاءهم فأخبرهم أن أم سلمة قالت : أن سبيعة الاسلمية نفست بعد وفاة زوجها بليال وأنها ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها ان تتزوج " (١)

٢- قولها في الرجل الذى يصبح جنبا يصوم ولا يفطر ولا يقضى .

روى مسلم أيضا في صحيحه عن عبد الله بن كعب الحميرى أن أبابكر حدثه ان مروان ارسله الى أم سلمة رضى الله عنها يسأل عن الرجل يصبح جنبا أيصوم ؟ فقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من جماع لا من حلم ثم لا يفطر ولا يقضى . (٢)

٣- قولها بجواز تقبيل الصائم لفعله صلى الله عليه وسلم .

روى عن عمر بن ابى سلمة انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيقبل الصائم ؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل هذه (لأم سلمة) فاخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ذلك ، فقال (٣) يارسول

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب الطلاق - المجلد (٢) ج (٤) ص ٢٠١ واخرجه الترمذي في ابواب الطلاق المجلد (٢) ص ٣٣٣ واللفظ لمسلم .

(٢) اخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الصيام (المجلد) (٢) الجزء (٣) ص ١٣٨ .

(٣) وقوله يارسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر " قال النووى سبب قول القائل هو أنه ظن ان جواز التقبيل للصائم من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لا حرج عليه فيما يفعل لانه مغفور له ، فأنكر عليه صلى الله عليه وسلم هذا وقال : انا اتقاكم لله تعالى وأشد خشية فكيف تظنون بى أو تجوزون على ارتكاب منهى عنه .

الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله انى لا تقاكم لله وأخشاكم له " (١)

وفاتها :-

ذكر الذهبى انها عاشت نحوا من تسعين سنة وهى آخر أمهات المؤمنين وفاة . وقيل عاشت رضى الله عنها أربعا وثمانين سنة ، وأن آخر امهات المؤمنين وفاة هى السيدة ميمونة . كما اختلفوا ايضا في سنة وفاتها ، قال الواقدى ماتت في شوال سنة تسع وخمسين ، وقال احمد بن ابى شيبة توفيت في ولاية يزيد بن معاوية ، وقال ابن حبان ماتت في أواخر سنة احدى وستين ، بعد ماجاءها نعى حسين بن على رضى الله عنهما ، وقال ابو نعيم توفيت سنة اثنتين وستين .

وفي تهذيب التهذيب لابن حجر قال : وأما قول الواقدى انها توفيت سنة تسع وخمسين فمردود بماثبت في صحيح مسلم أن الحارث بن عبدالله بن ربيعة وعبدالله بن صفوان دخلا على أم سلمة في ولاية يزيد بن معاوية فسألاها عن الجيش الذى يخسف بهم وكانت ولاية يزيد في أواخر سنة ستين " (٢) وأشار في الاصابة (٣) الى أن قول ابن حبان هو الاقرب .

---

(١) اخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الصيام ، المجلد (٢) الجزء (٣) ص ١٣٦ ، ١٣٧ .
(٢) تهذيب التهذيب الجزء (١٢) ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .
(٣) الاصابة في تمييز الصحابة الجزء (٤) ص ٤٢٤

وفى المستدرك للحاكم أن أم سلمة اوصت أن يصلى عليها سعيد بن يزيد ، وهذا ماحكاه ابن عبدالبر .

قال ابن حجر : وهو مشكل لأن سعيدا مات قبلها بمدة ، والجواب عنه سهل ان صح ، وهو احتمال أن تكون مرضت فأوصت بذلك ثم عوفيت مدة بعد ذلك فمثل هذا يقع كثيرا "(١) ودفنت رضى الله عنها بالبقيع ، ونزل قبرها أربعة وهم ، ابناها عمر وسلمة ابنا ابى سلمة ، وعبدالله بن عبدالله بن ابى أمية ، وعبدالله بن وهب بن زمعة .

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر الجزء(١٢) ص(٤٥٧)

الفصل السابع

" السيدة زينب بنت جحش "

نسبها :- هي زينب بنت جحش بن رباب (١) بن يعمر بن صبرة (٢) بن مرة بن كثير (٣) بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة " (٤)

أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان اسم زينب من قبل برة فسماها رسول الله زينب ، وهي أخت عبد الله وأبو أحمد وعبيد الله ، وأخواتها أم حبيبة وحمنة .

وعبد الله :- هو صحابي أسلم قبل دخول رسول الله دار الأرقم هاجر الهجرتين الى أرض الحبشة شهد بدرا وقتل يوم أحد .

وفي رواية الزبير بن بكار أن الذى قتله يوم أحد أبو الحكم بن خنيس بن شريق الثقفي ، وكان عمره حين قتل نيفا وأربعين سنة " (٥)

---

(١) وفي الاستيعاب بن رئاب وكذا في عيون الأثر والعقد الثمين ، وفي الطبقات بن رياب .

(٢) وفي الاستيعاب بن صبيرة .

(٣) وفي عيون الأثر بن كبير وكذا في الطبقات والعقد الثمين .

(٤) كذا في تهذيب التهذيب . لابن حجر . ج (١٢) ص ٤٢٠ .
واسد الغابة لابن الاثير في ترجمة اخيها عبد الله المجلد (٣) ص ١٣١

(٥) اسد الغابه . لابن الاثير . المجلد (٣) ص ١٣٢ .

قيل قبر هو وخاله حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد وصلى عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأبو احمد : اسمه عبد ، وفي الاصابة قال : وقيل عبد الله حكى عن ابن كثير وقالوا أنه وهم " (١) وكان من السابقين الى الاسلام قيل أنه هاجر الى الحبشة ثم قدم مهاجرا الى المدينة ، وأنكر البلاذرى هجرته الى الحبشة فقال : ولم يهاجر الى الحبشة قط ومن قال أنه هاجر فقد أبطل" (٢)

قال ابن الاثير : توفى بعد أخته زينب بنت جحش وتعقبه ابن حجر في الاصابة فقال : وفيه نظر فقد قيل أنه الذى مات فبلغ اخته موته فدعت بطيب فمسته ، ثم ذكر ماورد في الصحيحين من طريق زينب بنت أبى سلمة قالت : دخلت على زينب بنت جحش حين توفى أخوها فدعت بطيب فمست منه ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج ... " (٣) ثم قال : ويقوى أن المراد بهذا أبو أحمد أن كلا من أخويها عبد الله وعبيد الله مات في حياة النبى صلى الله عليه وسلم " (٤)

وأما عبيد الله فقد سبق ذكره .

---

(١) الاصابة . لابن حجر ج (٤) ص (٣)
(٢) البلاذرى في أنساب الاشراف . ج (١) ص (١٩٩)
(٣) الحديث عند مسلم في كتاب الطلاق . المجلد (٢) ج (٤) ص (٢٠٢) وعند البخارى في كتاب الجنائز . المجلد (١) ج (٢) ص (٧٩) واللفظ لمسلم .
(٤) الاصابة في تمييز الصحابة . لابن حجر ج (٤) ص (٤)

وأما أختها أم حبيبة فكانت تكنى ايضا بأم حبيب وهذا مارجحـــه الدار قطني ولكن المشهور في الروايات الصحيحة " أم حبيبة " وكانت تحـت عبد الرحمن بن عوف وهي التي استحيضت سبع سنين واستفتت رسول اللـــه في ذلك .

وأما حمنة فهي زوجة مصعب بن عمير قتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحــة بن عبيد الله فولدت له محمدا وعمران ، وهي التي ورد ذكرها في الصحيح (١) فيمن خاض حديث الافك ، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وحدث عنهـا ابنها عمران .

زواجها :- تزوجت زينب رضي الله عنها في صباها مولى وحب رسول اللـه زيد بن حارثة ولما لم يستقم الامر بينهما طلقها وتزوجها عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك لحكمة أرادها الله عز وجل ، وقد سبق بيان ذلك وايضاحـه بالتفصيل .

وأما ماجاء في خبر زواجها من رسول الله فقد روى عن أنس قـال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد فأذكرها على قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها (٢) عظمـت

---

(١) الحديث سبق ذكره وتخريجه في ترجمة السيدة عائشة رضي الله عنها

(٢) وقوله " فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن انظر اليها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي "
معناه كما قال الامام النووي أنه هابها واستجلها من أجل ارادة النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها ، فعاملها معاملة من تزوجهـا فعاملها معاملة من تزوجها صلى الله عليه وسلم في الاعظام والاجلال والمهابة . شرح النووي على صحيح مسلم ج (٩) ص (٢٢٨)
وقوله " نكصت " اى رجعت وكان جاء اليها ليخطبها وهو ينظر اليها على ماكان من عاداتهم وهذا قبل نزول الحجاب فلما غلب عليه الاجلال تأخر وخطبها وظهره اليها لئلا يسبقه النظر اليها . شرح النووي على صحيح مسلم ج (٩) ص (٢٢٨) .

في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر اليها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر (١) ربي فقامت الى مسجدها (٢) ونزل القرآن (٣) وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن ... " (٤)

وهذه من خصوصيات صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها أحد .
ولما كان زواجها بأمر من الله تعالى أخذت رضى الله عنها تفخر على أمهات المؤمنين وتقول " زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات (٥)

وروى ابن سعد في خبر تزويجها بسند ضعفه ابن حجر عن ابن عباس قال : لما أخبرت زينب بتزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم لها سجدت" (٦)

---

(١) حتى أوامر ربي : أى حتى استخيره .
(٢) فقامت الى مسجدها : أى موضع صلاتها من بيتها .
(٣) وهو قوله تعالى : " فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها" من سورة الاحزاب . آية رقم (٣٧) .
(٤) اخرجه مسلم في كتاب النكاح . باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب واثبات وليمة العرس . المجلد (٢) ج (٤) ص (١٤٨)
(٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد . المجلد (٤) جـ (٨) ص ١٧٦
(٦) رواه ابن سعد في الطبقات ، جـ (٨) ص ١٠٢ . وابن حجر في الاصابة ، جـ (٤) ص (٣١٣) .

وفي رواية أخرى لما جاءها خبر تزويج رسول الله لها جعلت لله صوم شهرين " (١)

وعن عبد العزيز بن صهيب قال سمعت أنس بن مالك يقول ما أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة من نسائه اكثر أو أفضل مما أولم على زينب فقال ثابت البناني بم أولم ؟ قال أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه" (٢)

وفيها نزلت آية الحجاب صيانة لها ولغيرها من أمهات المؤمنين .
روى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال بنى على النبى صلى الله عليه وسلم بزينب ابنة جحش بخبز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعو فقلت يانبى الله ما أجد أحدا أدعوه قال أرفعوا طعامكم وبقى ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله فقالت وعليك السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلك بارك الله لك فتقرى (٣) حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشه ويقلن له كما قالت عائشه ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم فاذا ثلاثة رهط في البيت يتحدثون وكان النبى صلى الله عليه وسلم شديد (٤) الحياء

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات جـ(٨) ص(١٠٢)
(٢) اخرجه مسلم في كتاب النكاح . باب زواج زينب بنت جحش . المجلد (٢) جـ(٤) ص(١٤٩) .
(٣) فتقرى : أى تتبع .
(٤) وقوله " شديد الحياء " فيه بيان عظم حياته صلى الله عليه وسلم ولهذا ام يواجههم بالامر بالخروج بل تشاغل بالسلام على أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن ليفطنوا لمراده .

فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فما أدرى أخبرته أو أخبر (١) ان القوم خرجوا فرجع حتى اذا وضع رجله في أسكفة (٢) الباب داخلة وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب " (٣)

وفي رواية له عن أنس أيضا قال أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب لما أهديت زينب بنت جحش رضي الله عنها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت معه في البيت صنع طعاما ودعا القوم فقعدوا يتحدثون فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون فأنزل الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين أناه الى قوله من وراء حجاب فضرب الحجاب وقام القوم " (٤)

وفي هاتين الروايتين نلاحظ أن ظاهر الرواية الأولى أن الآية نزلت بعد قيام القوم والثانية نزلت قبل قيامهم ، قال ابن حجر في الجمع بينهما بأن المراد أنها نزلت حال قيامهم أي أنزلها الله وقد قاموا" (٥)

وفي الصحيح عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الاواخر من رمضان فكنت أضرب له خباء (٦) فيصلي الصبح ثم يدخله

---

(١) وقوله " أو أخبر " أي عن طريق الوحي .
(٢) أسكفة الباب : بضم الهمزة وسكون المهملة وضم الكاف وتشديد الفاء مفتوحه وهي العتبة التي يوطأ عليها . كذا في ارشاد الساري جـ (٧) ص (٣٠٢)
(٣) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن . سورة الاحزاب . المجلد (٣) جـ (٦) ص ٢٥ ، ٢٦ .
(٤) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن . سورة الاحزاب . المجلد (٣) جـ (٦) . ص (٢٥) .
(٥) فتح الباري . جـ (٨) ص (٥٣٠) .
(٦) الخباء هي الخيمة من وبر أو صوف .

فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء فأذنت لها فضربت خباء فلما رأته زينب ابنة جحش ضربت خباء آخر فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم رأى الاخبية فقال ماهذا فأخبر (١) فقال النبي صلى الله عليه وسلم آلبر ترون (٢) بهن فترك (٣) الاعتكاف ذلك الشهر ثم اعتكف عشرا من شوال" (٤)

---

(١) فأخبر : أي اخبر بأنها لامهات المؤمنين .

(٢) آلبرترون : هو بهمزة الاستفهام الانكارى ومعناه أى الطاعة تظنون .

(٣) وتركه للاعتكاف كان لثلاثة أسباب ذكرها القسطلاني في الارشاد وهي : اما أنه كان خشية أن يكن غير مخلصات في اعتكافهن وأن الدافع لهن على ذلك التنافس أو المباهاة الناشئ عن الغيرة حرصا على القرب منه خاصة فيخرج الاعتكاف عن موضوعه ، واما انه خاف تضييق المسجد على المصلين بأخبيتهن ، وأما لأن المسجد يجمع الناس ويحضره الأعراب والمنافقون وهن محتاجات الى الدخول والخروج فيبتذلن بذلك . جـ (٣) ص (٤٤٢) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتكاف . باب اعتكاف النساء . المجلد (١) جـ (٢) ص (٢٥٧) .

وفى حادثة الافك وقفت رضى الله عنها بجوار عائشة في محنتها فعندما سألها رسول الله ماذا رأيت أو علمت ؟ قالت : يارسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ماعلمت الا خيرا " ووصفتها عائشة بالوصف الجميل فقالت : وهى التى كانت تساميني من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع .

وأمتازت رضى الله عنها بكثير من المناقب ، قالت عائشة في حقها " لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل " (١)

وروى عنها ايضا أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرعكن لحاقا بى أطولكن يدا قالت فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا قالت فكانت أطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق " (٢)

وليس المراد من الحديث هنا بطول اليد المعنى الحسى التى هى طول اليد الحقيقية وانما المراد بها المعنى المعنوى وهو كثرة الصدقة

قال الامام النووى وفيه معجزة باهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنقبة ظاهره لزينب ، وأشار الى أن هذا الحديث وقع في كتاب الزكاة من البخارى بلفظ متعقد يوهم أن أسرعهن لحوقا سودة قال : وهذا الوهم باطل بالاجماع " (٣)

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات من طريق عمرة بنت عبد الرحمن ج(٨)ص(١١٠)
(٢) اخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة . باب من فضائل زينب . المجلد (٤) ج(٧) ص(١٤٤) .
(٣) شرح النووى على صحيح مسلم . المجلد (١٦) ص(٩) .

وحدثت برزة بنت رافع قالت : لما خرج العطاء أرسل عمر الى زينب بنت جحش بالذى لها ، فلما أدخل عليها قالت : غفر الله لعمر غيرى من أخواتى كان أقوى على قسم هذا منى . قالوا هذا كله لك . قالت : سبحان الله ! واستترت منه بثوب وقالت : صبوه واطرحوا عليه ثوبا . ثم قالت لى : أدخلى يدك فاقبضى منه قبضة فاذهبى بها الى بنى فلان وبنى فلان من أهل رحمها وأيتامها حتى بقيت بقية تحت الثوب فقالت لها برزة بنت رافع غفر الله لك يا أم المؤمنين والله لقد كان لنا في هذا حق . فقالت فلكم ماتحت الثوب . فوجدنا تحته خمسة وثمانين درهما ، ثم رفعت يدها الى السماء فقالت : اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا ، فماتت (١)

وصح عن عائشة قالت : ولم أر امرأة قط خيرا في الدين من زينب واتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة " (٢)

<u>مروياتها</u> :- لها رضى الله عنها أحد عشر حديثا أتفق البخارى ومسلم على حديثين (٣) ، روت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات ج (٨) ص ١٠٩ ، ١١٠ . وابن الجوزى في صفة الصفوة . المجلد (٢) ص ٤٨ ، ٤٩

(٢) الحديث سبق ذكره وتخريجه في ترجمة السيدة عائشة رضى الله عنها .

(٣) انظر في صحيح البخارى في كتاب الجنائز ، باب حد المرأة على غير زوجها . المجلد (١) ج (٢) ص (٧٩) .
وفي كتاب الفتن ، باب يأجوج ومأجوج . المجلد (٤) ج (٨) ص (١٠٤)
وفي صحيح مسلم في كتاب الطلاق . باب وجوب الاحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك الا ثلاثة أيام . المجلد (٢) ج (٤) ص (٢٠٢) . وفي كتاب الفتن . باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج . المجلد (٤) ج (٨) ص (١٦٦) .

ابن أخيها محمد بن عبدالله ، وزينب بنت ابى سلمة ربيبة رسول الله ، وكلثوم بنت المصطلق ، وأم المؤمنين أم حبيبة بنت ابى سفيان ، ومولاها مذكور وغيرهم .

وفاتها :- توفيت رضى الله عنها بالمدينة ، قيل سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين . وفي الاصابة قال الواقدى : تزوجها عليه الصلاة والسلام وهى بنت خمس وثلاثين سنة وماتت سنة عشرين وهى بنت خمسين .

وفى رواية للحاكم من طريق عمر بن عثمان الجحشى عن أبيه توفيت وهى ابنة ثلاث وخمسين .

وأخرج ابن سعد بسند فيه الواقدى عن القاسم بن محمد قال : قالت زينب بنت جحش حين حضرتها الوفاة : انى قد أعددت كفنى ولعل عمر سيبعث الى بكفن ، فان بعث بكفن فتصدقوا بأحدهما ، ان استطعتم اذا دليتمونى ان تصدقوا بحقوى فافعلوا . (١)

صلى عليها عمر بن الخطاب ودفنت بالبقيع ونزل قبرها أسامة بن زيد وابنا أخويها وهما محمد بن عبدالله بن جحش وعبدالله بن أبى احمد بن جحش .

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات . ج (٨) ص ١٠٩ ، وابن حجر في الاصابة . ج (٤) ص (٣١٤) والزرقانى في شرحه على المواهب اللدنية . المجلد (٣) ص (٢٤٨)

قيل هى أول من جعل على جنازتها النعش من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وفي الاستيعاب ذكر أن أول من غطى نعشها من النساء في الاسلام هى السيدة فاطمة بنت رسول الله ثم بعدها زينب بنت جحش .

.....

الفصل الثامن

" السيدة جويرية بنت الحـــارث "

نسبها : هي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة وهو المصطلق بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو (١) مزيقيا " (٢)

وقيل جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالـــك بن جذيمة وهو المصطلق بن سعيد بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثـــة بن عمرو مزيقيا بن عامر " (٣)

وقيل جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالـــك بن جذيمة بن المصطلق من خزاعة " (٤)

كما قيل غير ذلك في نسبها الا أنهم أتفقوا على أنها من بني المصطلق من خزاعة .

قال الذهبي : وكان أبوها سيدا مطاعا " (٥) اسلم حين قدم الي رسول الله

---

(١) قال ابن الأثير وعمرو هو أبو خزاعة كلها .

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير المجلد (٥) ص ٤١٩ ، ٤٢٠

(٣) عيون الأثر لابن سيد الناس ، الجزء (٢) ص ٣٠٥

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد الجزء (٨) ص ١١٦ .

(٥) سير أعلام النبلاء للامام شمس الدين الذهبي ، الجزء (٢) ص ٢٦١ .

بفداء ابنته ، قال ابن سيد الناس " ولأبيها الحارث بن ابى ضرار صحبة "

وكان اسم جويرية من قبل برة فسماها النبى صلى الله عليه وسلم جريرية ، روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال " كانت جويرية اسمها برة فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها جويرية وكان يكره أن يقال خرج من عند برة " (٢)

وكما ذكرت هي أرملة مسافع (٣) بن صفوان الذى قتل عنها يوم المريسيع جزم بذلك ابن ابى خيثمة والواقدى ، وذكر ابن اسحاق أن زوجها كان يقال له ابن ذى الشفر .

وتتلخص غزوة المريسيع في أن بنى المصطلق قد أعدت الجموع بقيادة زعيمهم الحارث بن ابى ضرار لحربه صلى الله عليه وسلم ، ولما علم رسول الله بذلك خرج هو واصحابه لملاقاتهم فساروا حتى بلغوا ماء لهم يقال له المريسيع وهناك التقوا بالحارث وقومه ، فدعاهم رسول الله في بادىء الأمر الى الاسلام حيث نادى فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ، لكنهم أبوا ، عندئذ أمر رسول الله صلى الله

---

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس ج (٢) ص (٣٠٥) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأدب ، المجلد (٣) ج (٦) ص ١٧٣ . والحاكم في مستدركه ، ج (٤) ص (١٢٧) . والامام احمد في مسنده ج (٦) ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ . واللفظ لمسلم .

(٣) وقيل انها كانت تحت ابن عم لها يقال له صفوان بن مالك بن جذيمة .

عليه وسلم المسلمين فحملوا عليهم حملة رجل واحد بعد أن تراموا بالنبل ساعة ،
وكان من نتيجتها النصرة للمسلمين وانهزام العدو حيث قتل منهم عشرة (١)
أنفس وأسر الباقون ، وكان من جملة من وقع في الاسر بنت زعيمهم جويرية
بنت الحارث ، فقد وقعت رضى الله عنها عند توزيع الغنائم من نصيب ثابت
بن قيس بن شماس رضى الله عنه أو لابن عم له فشق عليها ذلك ، اذ أن
الأسيرات من النساء كن يتخذن اما للبيع أو للخدمة ولا يسوى بينهن وبين
الحرائر فهن محرومات من نعمة العتق الا بالمكاتبة واشتراء أنفسهن من مالكهن
ولهذا كاتبته على مال تؤديه لتعتق ، ولما لم يكن عندها من المال ثمن
لحريتها لجأت الى رسول الله تطلب منه العون ، فوجد رسول الله أن الفرصة
سانحة لتخفيف الأسى عن قومها فعرض عليها أن يؤدى عنها كتابتها
ويتزوجها فوافقت على ذلك وتم الزواج فكان خيرا وبركة على بني المصطلق
اذ أن أصحاب رسول الله لما علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها
تسابقوا في اطلاق سراح السبايا والأسرى وقالوا أصهار رسول الله ، وكان
عدد الذين تم عتقهم بسبب هذا الزواج مائة أهل بيت .

أخرج أبو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت : وقعت

---

(١) بينما لم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد وهو هشام بن صبابة
قتله رجل من الانصار خطأ .

جويرية بنت الحرث بن المصطلق في سهم ثابت (١) بن قيس بن شماس ، أو ابن عم له ، فكاتبت على نفسها ، وكانت امرأة ملاحة (٢) تأخذها العين ، قالت عائشة رضى الله عنها ؛ فجاءت تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابتها ، فلما قامت على الباب فرأيتها كرهت (٣) مكانها وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرى منها مثل الذى رأيت ، فقالت : يارسول الله أنا جويرية بنت الحرث ، وانما كان من أمرى مالا يخفى عليك ، واني وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس ، واني كاتبت على نفسى ، فجئتك أسألك في كتابتى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك الى ماهو خير منه ؟ قالت : وماهو يارسول الله ؟ قال " أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك (٤) قالت : قد فعلت ، قالت : فتسامع (٥) - تعني - الناس - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية ، فأرسلوا

---

(١) ثابت بن قيس بن شماس : هو من كبار الصحابة ، شهد أحدا ومابعدها قتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه .

(٢) ملاحة : أى جميلة .

(٣) قيل انما كرهت مكانها خوفا من أن يرغب فيها رسول الله فيتزوجها .

(٤) قال الشامى : نظرها صلى الله عليه وسلم حتى عرف حسنها لأنها كانت أمة ، ولو كانت حرة ماملأ عينه منها لأنه لا يكره النظر الى الاماء ، أو لأن مراده نكاحها ، أو قبل نزول الحجاب انتهى .
قال العلامة الزرقانى في شرحه على المواهب وفى الثالث نظر لنزوله سنة ثلاث أو أربع . المجلد (٣) ص (٢٥٤) .

(٥) وقولها فتسامع - تعني الناس - جاء في عون المعبود بأن هذا تفسير من بعض الرواة .

مافى أيديهم من السبي فأعتقوهم ، (١) وقالوا : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها ، أعتق في سببها مائة أهل بيت من بني المصطلق " (٢)

وحكى ابن هشام أن والدها جاء بفدائها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عدو من الابل وقد ساقهم معه فلما كان بالعقيق نظر اليهم ، فأستحسن منها بعيرين فغيبهما في شعب من الشعاب ثم أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : يامحمد أصبتم ابنتي وهذا فداؤها ، فقال له رسول الله " فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا " فلم يملك الا أن قال أشهد أن لا لا اله الا الله وأشهد أنك محمد رسول الله فوالله ماأطلع على ذلك الاالله ، وأسلم معه ابنان وناس من قومه ، ثم أرسل في طلب البعيرين فجيء بهماودفع الابل الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن ثم دفعت اليه ابنته ، فأسلمت وحسن اسلامها ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيها ، فزوجه اياها ، وأصدقها اربعمائة درهم " (٣)

---

(١) وفى رواية انها طلبتهم منه ليلة دخوله بها فوهبهم لها ، قال العلامة الزرقانى فان صح فطلبها وكونه وهبهم لا ينافى ان المسلمين اطلقوهم بل ذلك زيادة اكرام من الله لرسوله حتى لا يسأل أحدا منهم بشيء أو مجانا .

(٢) اخرجه أبو داود في كتاب العتق ، باب في بيع المكاتب اذا فسخت الكتابة ، المجلد (٢) ج (٤) ص (٢٢١) ، والامام احمد في مسنده ج (٦) ص (٢٧٧) ، وابن هشام في السيرة النبوية عن ابن اسحاق ج (٣) ص ١١١٨ ، ١١١٩ وفي سير اعلام النبلاء ذكر بأن اسناده صحيح . واللفظ لابن داود .

(٣) بتصرف من السيرة النبوية لابن هشام ج (٣) ص (١١١٩) .

وقيل كان ذلك في السنة الخامسة على الراجح وقيل سنة ست ، ولها من العمر عشرون (١) سنة .

ولما انتقلت رضى الله عنها الى بيت النبوة أخذت أمهات المؤمنين يفتخرن عليها ويقلن لها : لم يتزوجك رسول الله ، فأخبرت رسول الله بذلك فقال لها : " أولم أعظم صداقك ألم اعتق أربعين من قومك " (٢)

وساواها عليه الصلاة والسلام ببقية أمهات المؤمنين حيث ضرب عليها الحجاب وقسم لها كما كان يقسم لسائر نسائه .

عبادتها وزهدها :- ومعاشرتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم تأثرت به تأثرا عظيما ، فكانت رضى الله عنها كثيرة الدعاء والتسبيح والعبادة .

روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى في مسجدها (٣) ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال مازلت على الحال التى فارقتك عليها ، قالت : نعم ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن (٤) سبحان الله وبحمده

---

(١) كذا في صفة الصفوة ، وسمط النجوم العوالى ، وتراجم سيدات بيت النبوة ، وعيون الأثر .

(٢) أورده الهيثمى ، وقال رواه الطبرانى مرسلا ورجاله رجال الصحيح ج(٩) ص ٢٥٠ ورواه ابن سعد في طبقاته ، الجزء (٨) ص ١١٧ ، والزرقانى في شرحه على المواهب اللدنية ، المجلد (٣) ص ٢٥٥ .

(٣) في مسجدها : اى موضع صلاتها .

(٤) لوزنتهن : أى لترجحت وزادت عليهن في الأجر والثواب ، يقال وازنه فوزنه اذا غلب عليه وزاد في الوزن ، كذا في عون المعبود . ج(٤) ص ٣٦٩ .

عدد خلقه (١) ورضا نفسه (٢) وزنة عرشه (٣) ومداد كلماته (٤) . (٥)

وفي صحيح البخاري عن ابي أيوب عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال أصمت أمس ؟ قالت لا ، قال تريدين أن تصومين غدا ؟ قالت لا ، قال فافطري" (٦)

---

(١) قال الحافظ جلال الدين السيوطي فيما نقله عن الشيخ اكمل الدين في شرح المشارق أن تقديره عددا كعدد خلقه .

(٢) ورضا نفسه : اى بقدر مايرضيه ، والمراد بالنفس ذاته ، والمعنى ابتغاء وجهه . بتصرف من عون المعبود جـ (٤) ص (٣٦٩) .

(٣) وزنة عرشه : أى مقدار وزن عرشه سبحانه مع عظم قدره . كذا في الفتح الرباني مع مختصر شرحه بلوغ الاماني . جـ (١٤) ص (٢٢٣) .

(٤) ومداد كلماته : قيل معناه مثلها في العدد ، وقيل في انها لاتنفد ، وقيل مثلها في الثواب قال الامام النووي : والمداد هنا مصدر بمعنى المدد وهو ماكثرت به الشيء ثم قال قال العلماء واستعماله هنا مجاز لأن كلمات الله تعالى لا تحصر بعد ولا غيره ، والمراد المبالغة به في الكثرة لأنه ذكر أولا مايحصره العد الكثير من عدد الخلق ثم زنة العرش ثم أرتقى الى ماهو اعظم من ذلك وعبر عنه بهذا مالا يحصيه عد كما لا تحصى كلمات الله تعالى" شرح النووي على صحيح مسلم . جـ (١٧) ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء . المجلد (٤) جـ (٨) ص ٨٣ . وابو داود في كتاب الصلاة ، باب التسبيح بالحصى . المجلد (١) جـ (٢) ص ٨١ والنسائي في كتاب السهو . المجلد (٢) جـ (٣) ص ٧٧ والامام احمد في مسنده . جـ (٦) ص (٣٢٥) . واللفظ لمسلم

(٦) اخرجه البخاري في كتاب الصوم . المجلد (١) جـ (٢) ص (٢٤٨) وابو داود في كتاب الصوم . المجلد (١) جـ (٢) ص (٣٢١) . والامام احمد في مسنده . جـ (٦) ص (٤٣٠) واللفظ للبخاري .

ومن دلالة صبرها على العيش مع رسول الله وزهدها في الدنيا أنها قد تمر بها أيام ولا تجد ما يسد جوعها .

روى عن ابن شهاب أن عبيد بن السباق قال : ان جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فقال هل من طعام ؟ قالت لا والله يا رسول الله ما عندنا طعام الا عظم من شاه أعطيته مولاتي من الصدقة فقال قربيه فقد بلغت (١) محلها (٢) " (٣)

---

(١) وقوله " فقد بلغت " أى الصدقة التي تصدق بها عليها .

(٢) محلها : أى موضعها ، - والمعنى أنه زال عنها حكم الصدقة ، يوضح ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر هو لها صدقة ولنا هدية .
قال ابن الملك : انما قال قربيه ولم يستأذن من مولاتها لعلمه أن قلبها يطيب بأكله" كذا في هامش الجامع الصحيح للامام مسلم المجلد (٢) حـ (٣) ص ١١٩

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة . المجلد (٢) حـ (٣) ص ١١٩ ، والحاكم في مستدركه . حـ (٤) ص (٢٨) ، والامام أحمد في مسنده حـ (٦) ص (٤٢٩) . واللفظ لمسلم .

مروياتهـــا :-

لها رضي الله عنها عدة احاديث أخرج منها في الصحيحيـــن للبخارى حديث واحد ، ولمسلم حديثان ، وقيل اخرج لها البخـــارى حديثين (٢) وقيل ثلاثة (٣) أحاديث . (١)

روت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنها عبدالله بن عباس، ــ وابو أيوب المراغي ، ومجاهد بن جبر، وعبيد بن السباق ، وكلثوم بــن المصطلق ، وعبدالله بن شداد بن الهاد ، وابن عمر والطفيل ابن اخيها .

وفاتهـــا :-

توفيت رضي الله عنها بالمدينه ، وقبرت بالبقيع ، واختلفوا في سنــة وفاتها ، فقيل توفيت في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين في خلافة معاوية بن ابي سفيان ، وقد بلغت من العمر اذ ذاك سبعين سنة ، وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينه . وقيل ان وفاتها كان في سنــة خمسين من الهجرة عن عمر يبلغ الخامسة والستين ، والقولان حكاهمـــا الواقدى . وصحح ابن حجر في التقريب الثاني فقال : وماتت سنة خمسيـن على الصحيح . (٤)

---

(١) وأما ما أخرجاه البخاري ومسلم فقد سبق ذكره وتخريجـــه .
(٢) كذا في خلاصة تهذيب الكمال للامام الخزرجي جـ(٣) ص ٣٧٨ .
(٣) كذا في اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام لعمر رضا كحـــاله جـ (١) ص (٢٢٧) .
(٤) تقريب التهذيب لابن حجر . المجلد (٢) ص (٥٩٣) .

الفصل التاسع

ـ السيده صفيه بنت حيي بن أخطب ـ

نسبها :ـ

هي صفيه بنت حيي بن أخطب بن سعنة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن ابي حبيب بن النضير بن النحام بن تنحوم • (١)

وقيل هي صفيه بنت حيتى بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن ابي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم • (٢)

وقيل صفية بنت حي بن أخطب بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن ابي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم • (٣)

ومهما يكن الاختلاف في نسبها الا أنهم اتفقوا على أنها من بنى النضير قال ابن حجر: وهو من سبط لاوى بن يعقوب ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام • (٤) أمها برة بنت سموأل ، وقيل برة بنت شموال أخت رفاعة بن شموال القرظي ، وقيل اسمها ضرة •

---

(١) الاستيعاب في معرفة الاصحاب لابن عبد البر ﻫ (٤) ص (٣٤٦)
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد المجلد (٨) ص (١٢٠) •
(٣) عيون الأثر لابن سيد الناس ﻫ (٢) ص (٣٠٧) •
(٤) قاله ابن حجر في الاصابة ﻫ (٤) ص (٣٤٦) •

قال ابن الاثير : وكانت صفية رضى الله عنها زوج سلام بن مشكم اليهودى ثم خلف عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهما شاعران فقتل عنها كنانة يوم خيبر " (١)

قال ابن اسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع بن ابى الحقيق - وكان عنده كنز بنى النضير - فسأله فجحد أن يكون يعلم مكانه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انى قد رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة ، فقال رسول الله لكنانة : أرأيت ان وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال : نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله مابقى ، فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ماعنده ، فكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة " (٢)

ولما ساعد يهود خيبر الأحزاب في غزوة الخندق ، وأبدوا فيها حقدهم وكرههم للمسلمين ، توجه اليهم المسلمون بعد أن انتهوا من تلك المعركة ، وكان من نتيجتها أن انتصروا عليهم ، وسيقت غنائم العدو

---

(١) بتصرف من أسد الغابة . المجلد (٥) ص ٤٩٠

(٢) تاريخ الطبرى لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى ج (٣) ص (١٤)

وسباياهم ، وكان من جملة من وقع في السبي عقيلة بني النضير صفية بنت حي ، وقد أخذها دحية في سهمه ثم استعادها النبي صلى الله عليه وسلم منه واعطاه غيرها ، واعتقها رسول الله وتزوجها وأولم عليها بتمر وأقط وسمن .

روى الشيخان في صحيحهما واللفظ للبخاري عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا (١) عندها صلاة الغداة (٢) بغلس ، فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم وركب أبو طلحة ، وأنا رديف أبي طلحة ، فأجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وأن ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم . ثم حسر الازار عن فخذه حتى اني أنظر الى بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم . فلما دخل القرية (٣)

---

(١) فصلينا عندها : أى خارج منها .
(٢) صلاة الغداة : أى صلاة الصبح ، قال ابن حجر : فيه جواز اطلاق ذلك على صلاة الصبح خلافا لمن كرهه .
(٣) وقوله " فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر " أى صارت خرابا ، قال الامام النووى في شرحه على صحيح مسلم فيه دليل لاستحباب الذكر والتكبير عند الحرب ، وهو موافق لقول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فأثبتوا واذكروا الله كثيرا " ولهذا قالها ثلاث مرات ثم قال : وأما قوله صلى الله عليه وسلم خربت خيبر فذكروا فيه وجهين : أحدهما أنه دعاء ، تقديره أسأل الله خرابها ، والثاني أنه اخبار بخرابها على الكفار وفتحها للمسلمين . ج (٩) ص (٢١٩) .

قال : " الله اكبر خربت خيبر ، انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " قالها ثلاثا . قال : وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا : محمد ! - قال عبد العزيز (١) وقال بعض أصحابنا - والخميس (٢) " يعني الجيش. قال فاصبناها عنوة ، فجمع السبي ، فجاء دحية فقال : يانبي الله اعطني جارية (٣) من السبي .قال اذهب فخذ جارية . فأخذ صفية بنت حيي . فجاء رجل (٤) الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يانبي الله أعطيت دحية صفية بنت حي سيدة قريظة والنضير ، لا تصلح الا لك . قال : أدعوه

---

(١) هو عبد العزيز بن صهيب الراوي عن أنس .

(٢) قول عبد العزيز " وقال بعض أصحابنا والخميس " فيه اشارة الى أن عبد العزيز لم يسمع هذه اللفظة " أي والخميس " من أنس بل سمعه من بعض اصحابه عنه .
قال الأزهري وغيره سمي خميسا لانه خمسة أقسام مقدمة وساقة وميمنة وميسرة وقلب ، وقيل لتخميس الغنائم ، وابطلوا هذا القول لأن هذا الاسم كان معروفا في الجاهلية ولم يكن لهم تخميس " شرح النووي على صحيح مسلم ج(٩) ص (٢٢٠) .

(٣) وفي قوله " اعطني جارية " قال ابن حجر يحتمل أن يكون اذنه له في أخذ الجارية على سبيل التنفيل له اما من أصل الغنيمة أو من خمس الخمس بعد أن ميز ، أو قبل على أن تحسب منه اذا ميز ، أو اذن له في أخذها لتقوم عليه بعد ذلك وتحسب من سهمه . فتح الباري ج(١) ص(٤٨١) .

(٤) قال ابن حجر بأنه لم يقف على اسمه .

بها . فجاء بها . فلما نظر اليها النبى صلى الله عليه وسلم قال : خذ جارية من السبى غيرها . قال : فأعتقها النبى صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت : يا أبا حمزة (١) ما أصدقها ؟ قال نفسها ، أعتقها وتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم (٢) فأهدتها (٣) من الليل فأصبح النبى صلى الله عليه وسلم عروسا ، فقال : من كان عنده شئ فليجئ به وبسط نطعا (٤) فجعل الرجل يجئ بالتمر ، وجعل الرجل يجئ بالسمن قال (٥) : وأحسبه (٦) قد ذكر السويق . قال : فحاسوا (٧) حيسا (٨)

---

(١) وأبا حمزة كنية أنس رضى الله عنه .

(٢) أم سليم هى والدة انس .

(٣) فأهدتها : أى زفتها .

(٤) نطعا : أى بساطا .

(٥) قال : أى قال عبد العزيز بن صهيب .

(٦) واحسبه : أى أنسا .

(٧) فحاسوا : أى خلطوا .

(٨) حيسا : الحيس هو خليط التمر والسمن والأقط ، والمعنى انهم جعلوه حيسا ثم أكلوه .

فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . (١)

ففي هذه الرواية نلاحظ أن دحية جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وطلب منه جارية من السبى ، فقال له اذهب فخذ جارية ، فأخذ صفية بنت حي ، ولما جاء رجل من القوم وقال له : يانبى الله أعطيت دحية صفية بنت حي سيدة قريظة والنضير ولا تصلح الا لك استعادها منه النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له " خذ جارية من السبى غيرها" الا أنه ذكر فى رواية أخرى لمسلم عن أنس أنها وقعت في سهم دحية واشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أروس .

وعند ابن اسحاق " أن صفية سبيت من حصن القموص ، وهو حصن بنى ابى الحقيق ، وكانت تحت كنانة بن الربيع بن ابى الحقيق وسبى معها بنت عمها - وعند غيره بنت عم زوجها - فلما استرجع النبى صلى الله عليه وسلم صفية من دحية أعطاه بنت عمها " (٢)

قال ابن حجر : فالأولى فى طريق الجمع أن المراد بسهمه هنا نصيبه الذى اختاره لنفسه ، وذلك أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يعطيه جارية فأذن له أن يأخذ جارية ، فأخذ صفية . فلما قيل للنبى صلى الله عليه وسلم انها بنت ملك من ملوكهم ظهر له أنها ليست ممن توهب

---

(١) اخرجه البخارى في كتاب الصلاة . المجلد (١) ج (١) ص (٩٨) ومسلم اخرجه في كتاب النكاح المجلد (٢) ج (٤) ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٢) فتح البارى ج (٧) ص ٤٦٩ ، ٤٧٠

لدحية لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية وفوقه ، وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها ، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم ، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بها ، فإن في ذلك رضا الجميع ، وليس ذلك من الرجوع في الهبة من شيء ، وأما إطلاق الشراء على العوض فعلى سبيل المجاز ، ولعله عوضه عنها بنت عمها أو بنت عم زوجها فلم تطب نفسه فأعطاه من جملة السبي زيادة على ذلك " (١)

وبنى بها رسول الله في سد الروحاء كما ثبت في الصحيح ، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قتل زوجها وكانت عروسا فأصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فخرج بها حتى بلغنا سد الروحاء (٢) حلت فبنى بها ثم صنع حيسا في نطع صغير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آذن من حولك ، فكانت تلك وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية ثم خرجنا الى المدينة قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحوى (٣) لها وراءه بعباءة (٤)

---

(١) فتح الباري لابن حجر كتاب المغازى الجزء (٧) ص (٤٧٠) .

(٢) والروحاء كما قاله القسطلاني في " ارشاد الساري " هو موضع قريب من المدينة .

(٣) يحوى : أى يدير .

(٤) والعباءة هى كساء صغير ، والمعنى انه يديرها على سنام البعير ليحجبها بذلك ، أو يهيء لها من وراءه بتلك العباءة مركبا وطيئا ويسمى ذلك المركب حوية . بتصرف من ارشاد السارى . ج (٤) ص ١١٣ .

ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب" (١)

والمراد بقوله في الحديث " حلت " طهرت من حيضها ، قال ابن حجر وقد روى البيهقي باسناد لين أنه صلى الله عليه وسلم استبرأ صفية بحيضة ، وأما مارواه مسلم من طريق ثابت عن أنس " انه صلى الله عليه وسلم ترك صفية عند أم سليم حتى انقضت عدتها " فقد شك حماد راويه عن ثابت في رفعه ، وفي ظاهره نظر لأنه صلى الله عليه وسلم دخل بها منصرفه من خيبر بعد قتل زوجها بيسير فلم يمض زمن يسع انقضاء العدة ، ولا نقلوا أنها كانت حاملا فتحمل العدة على طهرها من الحيض وهو المطلوب ، والصريح في هذا الباب حديث ابي سعيد مرفوعا " لا توطأ حامل حتى تضع ، ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة " قاله في سبايا أوطاس ، أخرجه أبو داود وغيره وليس على شرط الصحيح " (٢)

وسنها رضي الله عنها عند الزواج لم تبلغ السابعة عشر من عمرها ، اخرج ابن سعد بسند فيه الواقدي من حديث آمنه بنت ابي قيس الغفارية قالت : انا احدى النساء اللاتي زففن صفية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعتها تقول مابلغت سبع عشرة سنة يوم دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٣)

---

(١) اخرجه البخاري واللفظ له في كتاب البيوع . المجلد (٢) ج(٣) ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢) فتح الباري ، كتاب البيوع . ج (٤) ص(٤٢٤) .

(٣) اخرجه ابن سعد في الطبقات . ج(٨) ص ١٢٩ ، وابن حجر في الاصابة . ج(٤) ص ٣٤٨ ، والذهبي في سير أعلام النبلاء ، ج(٢) ص(٢٣٧) .

ولما دخل عليها رسول الله بات الصحابي الجليل أبو أيوب (١) الأنصاري على باب النبي لحمايته صلى الله عليه وسلم فلما أصبح فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر/ فقال : " يارسول الله كانت جارية حديثة عهد بعرس وكنت قتلت أباها وأخاها وزوجها فلم آمنها عليك فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له خيرا " (٢)

وفي المدينة أنزلها رسول الله في بيت من بيوت حارثة بن النعمان فسمع بها نساء الأنصار وبجمالها فأتين لينظرن اليها ومن بينهن السيدة عائشة رضي الله عنها فقد خرجت متنقبة حتى دخلت عليها فعرفها النبي صلى الله عليه وسلم وانتظرها حتى خرجت ثم قال لها كيف رأيتها ياعائشة ؟ قالت : رأيت يهودية ، قال : : لا تقولي هذا فانها قد أسلمت وحسن اسلامها " (٣)

---

(١) أبو أيوب الانصاري هو خالد بن زيد بن كليب ، معروف باسمه مشهور بكنيته ، كان من السابقين الى الاسلام ، شهد العقبة وبدرا واحدا والمشاهد كلها مع رسول الله قاله ابن عقبة وابن اسحاق وغيره ، وآخى رسول الله بينه وبين مصعب بن عمير ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن ابي بن كعب ، وروى عنه البراء بن عازب ، وجابر بن سمرة ، وزيد بن خالد الجهني ، وابن عباس وغيرهم .
قال ابن الأثير : وتوفى أبو أيوب مجاهدا سنة خمسين وقيل سنة احدى وخمسين وقيل سنة اثنتين وخمسين وهو الاكثر . اسد الغابة ج (٢) ص (٨١) .

(٢) اخرجه الحاكم في مستدركه ج (٤) ص (٢٩) . وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ..

(٣) بتصرف من الطبقات . ج (٨) ص (١٢٦) وذكره ابن حجر في الاصابة . ج (٤) ص (٣٤٧) والذهبي في سير اعلام النبلاء . ج (٢) ص (٢٣٧) والعلامة الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية ج (٣) ص (٢٥٩) .

افتخار زوجاته صلى الله عليه وسلم عليها :-

ولما كانت رضى الله عنها ليست بعربية ولا قرشية كان بعض نسائه صلى الله عليه وسلم يفتخرون عليها ولكن المنصف صلوات الله وسلامه عليه كثيرا ماكان ينتصر لها ويتأهب للدفاع عنها كلما اتيحت له الفرصة .

روى عن أنس قال : " بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودى ، فبكت فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم وهى تبكى ، فقال : مايبكيك ؟ قالت : قالت لى حفصة انى ابنة يهودى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وانك لابنة نبى (١) ، وان عمك لنبى (٢) وانك لتحت نبى ، ففيم تفخر عليك ، ثم قال : اتقى الله ياحفصة " (٣)

وبلغ من انتصاره صلى الله عليه وسلم لها والدفاع عنها أن هجر السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها مدة من الزمن عندما وصفتها باليهودية

روى أبو داود عن سمية عن عائشة رضى الله عنها : أنه أعتل (٤) بعير لصفية بنت حي ، وعند زينب (٥) فضل ظهر (٦) ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم لزينب " أعطيها بعيرا " فقالت : أنا أعطى

---

(١) لابنة نبى : يقصد هارون بن عمران .
(٢) وأن عمك لنبى : يقصد موسى بن عمران .
(٣) أخرجه الترمذى في ابواب المناقب . ج (٥) ص (٣٦٨) . وقال هذا حديث حسن صحيح . والامام احمد في مسنده . ج (٣) ص ١٣٥ ، ١٣٦ . واللفظ للترمذى .
(٤) اعتل بعير : أى حصل له علة .
(٥) هى أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها .
(٦) فضل ظهر : أى مركب فاضل عن حاجتها .

تلك اليهودية ؟ ! فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر " (١)

كما رواه أيضا الامام أحمد عن شميسة عن عائشة ولفظه : أن رسول الله صلى الله علية وسلم كان في سفر له فاعتل بعير لصفية وفي ابل زينب فضل ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بعيرا لصفية اعتل فلو أعطيتها بعيرا من ابلك ، فقالت انا أعطى تلك اليهودية قال فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الحجة والمحرم شهرين او ثلاثة لا يأتيها ، قالت حتى يئست منه وحولت سريرى ، قالت فبينما أنا يوم بنصف النهار اذا أنا بظل رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل ، قال عفان (٢) حدثنيه حماد عن شميسة عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم سمعته بعد يحدثه عن شميسة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال بعد في حج أو عمرة ، قال ولا أظنه الا قال في حجة الوداع " (٣)

---

(١) أخرجه ابو داود واللفظ له في كتاب السنة . باب ترك السلام على أهل الاهواء . المجلد (٢) ج (٤) ص (١٩٩) .

(٢) وقول عفان : " حدثنيه حماد عن شميسة عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم سمعته بعد يحدثه عن شميسة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم "
معناه أن عفان سمع هذا الحديث مرة من حماد يقول عن شميسة عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم سمعه مرة اخرى بعد ذلك يقول عن شميسة عن عائشة وهذا هو المحفوظ . كذا في الفتح الربانى مع مختصر شرحه بلوغ الامانى . ج (٢٢) ص (١٤٤) .

(٣) اخرجه الامام احمد في مسنده مج (٦) ص ١٣١ ، ١٣٢ . وفى الفتح الربانى مع مختصر شرحه بلوغ الامانى قال الشيخ احمد البنا في تخريجه للحديث رواه ايضا ابن سعد وسنده جيد ورجاله ثقات ، وشميسة قال الحافظ في التقريب بالتصغير بنت عزيز العتكية المصرية مقبولة من الثالثة . ج (٢٢) ص (١٤٤) .
واورده الهيثمى وقال رواه الطبرانى فى الاوسط وفيه سمية روى لها ابو داود وغيره ولم يجرحها أحد ، وبقية رجاله ثقات . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . ج (٤) ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

ولم تحرم رضى الله عنها من حمايته صلى الله عليه وسلم حتى آخر ايامه ، أخرج ابن سعد عن زيد بن أسلم : أن نبى الله صلى الله عليه وسلم فى الوجع الذى توفى فيه اجتمع اليه نساؤه ، فقالت صفية بنت حيى : أما والله يانبى الله لوددت أن الذى بك بى ، فغمزنها أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبصرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مضمضن ، فقلن من أى شىء يانبى الله ؟ قال : من تغامزكن بصاحبتكن والله انها لصادقة " (١)

ومن مناقبها رضى الله عنها : - كانت صبورة عاقلة حليمة ، روى ابو عمر : أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب فقالت ان صفية تحب السبت وتصل اليهود فبعث اليها عمر فسألها عن ذلك ، فقالت : أما السبت فانى لم أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة ، وأما اليهود فان لى فيهم رحما وأنا أصلها ، ثم قالت للجارية ماحملك على ماصنعت قالت الشيطان ، قالت اذهبى فأنت حرة " (٢)

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات . ج(٨) ص١٢٨ . والذهبى فى سير اعلام النبلاء . ج(٢) ص ٢٣٠ . والزرقانى في شرحه على المواهب اللدنية . المجلد (٣) ص ٢٥٩ . وابن حجر في الاصابة ج(٤) ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ . وأشار الى أن سنده حسن .

(٢) رواه ابو عمر في الاستيعاب . ج(٤) ص ٣٤٨ ، ٣٤٩ . وابن حجر في الاصابة . ج(٤) ص ٣٤٧ . والذهبى في سير اعلام النبلاء ج(٢) ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ . وابن سيد الناس في عيون الأثر ج(٢) ص ٣٠٨ . والزرقانى في شرحه على المواهب اللدنية . المجلد (٣) ص (٢٥٩) .

ووصفها أبو نعيم بالتقية الزاكية ذات العين الباكية وأورد في حليته رواية عن عبد الله بن عبيدة أن نفرا اجتمعوا في حجرة صفية بنت حي زوج النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا الله وتلوا القرآن وسجدوا فنادتهم صفية : هذا السجود وتلاوة القرآن فأين البكاء" (١)

مروياتها :- لها رضي الله عنها عدة أحاديث ، المتفق عليه منها حديث واحد ، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها ابن أخيها ، ومولياها كنانة ويزيد بن معتب وعلى بن الحسين بن على ، ومسلم بن صفوان واسحاق بن عبد الله بن الحارث .

قال ابن حجر : وذكر ابن عبد البر أن صفية التى روى عنها اسحاق غير صفية بنت حي ، وكذا قال في صفية التى روى عنها مسلم بن صفوان" (٢)

وأما حديثها المتفق عليه فقد رواه على بن الحسين عنها ، أخبرته أنها جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب (٣) فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها يقلبها (٤) ، حتى اذا بلغت باب

---

(١) رواه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الاصفياء . المجلد (٢) ص (٥٥) .

(٢) قاله ابن حجر في تهذيب التهذيب . ج (١٢) ص (٤٢٩) .

(٣) تنقلب : أي ترد الى بيتها .

(٤) يقلبها : أي يردها الى منزلها .

المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان (١) من الانصار فسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم على رسلكما ، انما هي صفية بنت حيي ، فقالا : سبحان الله يارسول الله ،وكبر (٢) عليهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يبلغ من الانسان مبلغ الدم وانى خشيت (٣) ان يقذف في قلوبكما شيئا" (٤)

---

(١) قال ابن حجر : بأنه لم يقف على تسميتهما في شيء من كتب الحديث واشار الى أن ابن العطار في شرح العمدة زعم أنهما أسيد بن حضير وعباد بن بشر ، وعقب بأنه لم يذكر لذلك مستندا .

(٢) وكبر عليهما : أى عظم وشق عليهما .

(٣) وفى قوله صلى الله عليه وسلم" وانى خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا" أشار ابن حجر الى ان النبى صلى الله عليه وسلم لم ينسبهما الى انهما يظنان به سوءا لما تقرر عنده من صدق ايمانهما ، ولكن خشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان ذلك لأنهما غير معصومين فقد يفضى بهما ذلك الى الهلاك فبادر الى اعلامهما حسما للمادة وتعليما لمن بعدهما اذا وقع له مثل ذلك . فتح البارى . ج (٤) ص (٢٨٠) .

(٤) اخرجه البخارى في كتاب الاعتكاف ، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه الى باب المسجد . المجلد (١) ج (٢) ص(٢٥٧) . ومسلم في كتاب السلام ،باب بيان أنه يستحب لمن روى خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانه ، المجلد (٤) ج(٧) ص(٨) واللفظ للبخارى .

وفاتها :-

توفيت رضى الله عنها فى شهر رمضان ودفنت بالبقيع ، واختلفوا في سنة وفاتها فقيل : توفيت سنة ست وثلاثين حكى هذا ابن حبان ، وجزم به ابن منده ، وقيل في خلافة معاوية سنة خمسين للهجرة قاله الواقدى وقيل سنة اثنتين وخمسين ، وقيل سنة خمس وخمسين . وقول الواقدى هو الأقرب قاله ابن حجر في الاصابة ، وأما ماحكاه ابن حبان فقال عنه بأنه غلط لأن على بن الحسين لم يكن ولد وقد ثبت سماعه منها في الصحيحين

• • • •

الفصـــل العاشـــر
" السيدة رملـــة بنت أبى ســـفيان "

نسبها : هـى رملة بنت ابى سفيان صخـر بن حرب بن اميـه بن عبـد شمس بن عبد مناف بن قصـى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى "١" .

وقيل اسمها هند ، والاصح رملة قاله ابن حجر فى الاصابة وابن عبد البر فى الاستيعاب ، وكانت رضى الله عنها تكنى بأم حبيبه ، واشتهارهـا بكنيتهـا اكثر من اسمهـا .

قـال الذهبى : وهى من بنات عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليـس فى ازواجه من هى اقرب نسبا اليه منها "٢"

والدها كان من ألـد الناس عـداوة لرسول الله عند ظهور الاسـلام ، فقـد كان رئيسـا للمشـركين يوم احد ورئيسـا للاحزاب يوم الخندق .

قال ابن حجـر " اسلم زمن الفتـح "٣" شـهد حنينـا والطائـف مع رسـول اللـه صلى عليه وسلم وقيـل فقئت احـدى عينيـه بالطائـف والاخـرى يوم اليرمـوك .

---

١) اسـد الغابـة فى معرفة الصحابـة . المجلد (٣) ص (١٢) .
٢) سـير اعـلام النبـلاء ج (٢) ص (٢١٩)
٣) تهذيب التهذيب . لابن حجـر . ج (٤) ص (٤١١) .

وقد اكرمه النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقال " من دخل دار ابى سفيان فهو امن "١" وقيل انما قال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لانه عليه الصلاة والسلام كان اذا اوذى بمكه دخل دار ابى سفيان ٠

امها صفية بنت ابى العاص بن امية بن عبد شمس عمة عثمان بن عفان رضى الله عنه ٠

مولدها وزواجها : ولدت ام حبيبة رضى الله عنها قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بسبعة عشر عاما ، وتزوجت عبيد الله بن جحش الذى تأثر بالاسلام تأثيرسطحيا فهاجر بها مع المسلمين الى ارض الحبشة فولدت له حبيبة فبها كانت تكنى ، وقيل انما ولدت بنتها حبيبة بمكة وهاجرت وهى حامل بها ، كما قيل ايضا انها ولدتها بمكة قبل ان تهاجر ٠

وكما ذكرت ، فى الحبشه تنصر زوجها وارتد عن الاسلام والعياذ بالله فتخلت عنه ففارقها ، اخرج ابن سعد من طريق اسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص قال : قالت ام حبيبة رأيت فى النوم كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوأ صورة واشوهه ، ففزعت فقلت تغيرت والله حاله ،

---

١) هذا القول طرف من حديث ذكره مسلم فى كتاب الجهاد والسير ٠
المجلد (٣) ج (٥) ص (١٧٢) ٠
واخرجه ابو داؤد فى كتاب الخراج والامارة والفيء ٠ المجلد (٢)
ج (٣) ص ١٦٢ ٠ والامام احمد فى مسنده ٠ ج (٢) ص (٢٩٢) ٠

فاذا هو يقول حين اصبح يا أم حبيبة انى نظرت فى الدين فلم ارديناً خيرا من النصرانية ، وكنت قد دنت بها ثم دخلت فى دين محمد ثم رجعت الى النصرانية •

فقلت : والله ماخير لك ، واخبرته بالرؤيا التى رأيت له فلم يحفل بها واكب على الخمر حتى مات ، فأرى فى النوم كأن آتيا يقول يا أم المؤمنين ففزعت فأولتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجنى •

قالت : فما هو الا ان أنقضت عدتى فما شعرت الا برسول النجاشى على بابى يستأذن ، فاذا جارية له يقال لها ابرهة فكانت تقوم على ثيابه ودهنه فدخلت علي فقالت : ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى عليه وسلم كتب الى ان ازوجكه ، فقالت بشرك الله بخير ،قالت :: يقول لك الملك وكلى من يزوجك •

فارسلت الى خالد بن سعيد بن العاصى فوكلته واعطت ابرهه سوارين من فضة وخدمتين "١" كانتا فى رجليها وخواتم فضة كانت فى اصابع رجليها سرورا بما بشرتها • فلما كان العشى امر النجاشى جعفر بن ابى طالب ومن هناك من المسلمين فحضروا فخطب النجاشى فقال :

الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، اشهد ان لا اله الآالله وان محمد عبده ورسوله وانه الذى بشر به عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم •

اما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى ان ازوجه ام حبيبة بنت ابى سفيان فأجبت الى مادعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصدقتها اربعمائة دينار •

---

١) الخدمة : الخلخال •

ثم سكب الدنانير بين يدى القوم فتكلم خالد بن سعيد فقال : الحمد لله احمده واستعينه واستنصره واشهدان لا اله الآ الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون — اما بعد فقد اجبت الى ما دعا اليه رسول الله وزوجته أم حبيبة بنت ابى سفيان فبارك الله لرسول الله .

ودفع الدنانير الى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها ثم أرادوا أن يقوموا فقال : اجلسوا فان سنة الأنبياء اذا تزوجوا ان يؤكل طعام على التزويج . فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا .

قالت أم حبيبة ، فلما وصل الى المال أرسلت الى أبرهة التى بشرتنى فقلت لها انى كنت أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدى فهذه خمسون مثقالا فخذيها فأستعينى بها فأبت فأخرجت حقا فيه كل ما كنت أعطيتها فردته على وقالت : عزم على الملك أن لاأرزاك شيئا وانا التى أقوم على ثيابه ودهنه وقد أتبعت دين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت لله وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن اليك بكل ما عندهن من العطر .

قالت : فلما كان الغد جاءتنى بعود وورس وعنبر وزباد "١" كثير فقدمت بذلك كله على النبى صلى الله عليه وسلم فكان يراه على وعندى فلاينكره .

---

١) والزباد هى مادة عطرة تخرج فى جيب تحت ذيل حيوان الزباد بين الدبر والمبال ، وحيوان الزباد من فصيلة السنور وبحجمه .

ثم قالت أبرهة : فحاجتى اليك أن تقرئى رسول الله منى السلام وتعلميه أنى قد — اتبعت دينه • قالت : ثم لطفت بى وكانت التى جهزتنى ، فكانت كلما دخلت على تقول لاتنسى حاجتى اليك •

قالت : فلما قدمت على رسول الله أخبرته كيف كانت الخطبه وما فعلت بى أبرهة فتبسم رسول الله وأقرأته منها السلام فقال : وعليها السلام ورحمة الله وبركاته "١"

وفى رواية لأبى داود عن عروة عن أم حبيبة أن النجاشى جهزها اليه صلى الله عليه وسلم وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة •

وقيل أن الذى عقد عليها سعيد بن العاص، قال العلامة الزرقانى "وفيه نظر فقد ذكر ابن شاهين ان اسلامه كان قبل الفتح بيسير كما نقله فى الاصابة فلم يكن من مهاجرة الحبشة "٢" • وقيل ان الذى عقد عليها عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى ابنة عمته ، قال الخطيب القسطلانى فى المواهب ان صح التاريخ المذكور فلايصح أن يكون عثمان هو الذى زوجها فانه كان مقدمه من الحبشة قبل وقعة بدر فى السنة الثانية من الهجرة "٣" •

وفى رواية أبى داود " فزوجها النجاشى النبى صلى الله عليه وسلم وأمهرها عنه أربعة الآف"٤" •

---

١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات • ج (٨) ص ٩٧ ، ٩٨ • وابن حجر فى الاصابة من طريقه ج (٤) ص ٣٠٥ • وابن الجوزى فى صفة الصفوة • ج (٢) ص (٤٣) •

٢) شرح العلامة الزرقانى على المواهب اللدنية • المجلد (٣) ص (٢٤٣) •

٣) المواهب اللدنيه بالمنح المحمدية • لأبى بكر الخطيب القسطلانى • ج (١) — ص (٢٠٥) •

٤) رواه أبو داود عن عروة عن أم حبيبة فى كتاب النكاح • المجلد (١) ج (٢) ص (٢٣٥) •

وفي رواية له أيضا أربعة آلاف درهم .

قال الخطابي : معنى قوله "زوجها النجاشي النبي صلى الله عليه وسلم" أي ساق اليها المهر فأضيف عقد النكاح اليه لوجود سبب منه وهو المهر "١" .

وفي رواية مسلم عن ابن عباس أن أبا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم "يا نبي الله ثلاث أعطينهن ، قال : نعم ، قال عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها قال : نعم .. "٢"

قال القاضي "عياض" فيما نقله عنه الامام النووي " والذي في مسلم هنا أنه زوجها أبو سفيان غريب جدا ، وخبرها مع أبي سفيان حين ورد المدينة في حال كفره مشهور "٣" .

"قال ابن حزم هذا الحديث وهم من بعض الرواة لأنه لاخلاف بين الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قبل الفتح بدهر وهي بأرض الحبشة وأبوها كافر "٤" .

وفي رواية عنه أيضا أنه قال موضوع ، قال والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوي عن ابي زميل "٥" .

---

١) عون المعبود شرح سنن ابي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق ابادي . ج (٦) ص (١٣٧) .
٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة . باب من فضائل ابي سفيان . المجلد (٤) ج (٧) ص (١٧١) .
٣) شرح النووي على صحيح مسلم . ج (١٦) ص (٦٣) .
٤) شرح النووي على صحيح مسلم . ج (١٦) ص (٦٣) .
٥) وأبو زميل : فبضم الزاي وفتح الميم واسكان الياء واسمه سماك بن الوليد اليامي .

قال الامام النووى " وأنكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله هذا على ابن حزم وبالغ فى الشناعة عليه ، قال وهذا القول من جسارته فانه كان هجوما على تخطئة الأئمة الكبار واطلاق اللسان فيهم ، قال : ولا نعلم أحدا من أئمة الحديث نسب عكرمة بن عمار الى وضع الحديث، وقد وثقه وكيع ويحيى بن معين وغيرهما ، وكان مستجاب الدعوة ، قال : وما توهمه ابن حزم من منافاة هذا الحديث، لتقدم زواجها غلط منه وغفلة ، لأنه يحتمل أنه سأله تجديد عقد النكاح تطييبا لقلبه ، لأنه كان ربما يرى عليها غضاضة من رياسته ونسبه أن تزوج بنتة بغير رضاه ، أو انه ظن ان اسلام الأب فى مثل هذا يقتضى تجديد العقد وقد خفى أوضح من هذا على اكبر مرتبة من ابى سفيان ممن كثر علمه وطالت صحبته " ١ " .

ثم أشار النووى الى انه ليس فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم جدد العقد ولا قال لأبى سفيان أنه يحتاج الى تجديده ، ولعله صلى الله عليه وسلم أراد بقوله نعم أن مقصوده يحصل وان لم يكن بحقيقة عقد .

كما اختلفوا أيضا فى موضع عقده عليها ، فقيل عقد عليها بأرض الحبشة ، وقيل أن عقده عليها كان بالمدينه بعد رجوعها من الحبشة ، وصحح ابن الأثير الأول . وهذا ما رجحه ابن سيد الناس واليه مال الخطيب القسطلانى فى المواهب اللدنية وهو رأى الجمهور أيضا .

وقيل كان ذلك فى السنة السابعة وقيل فى السنة السادسة وأشار ابن حجر فى الاصابة الى أن المشهور الأول .

---

١) شرح النووى على صحيح مسلم . ج (١٦) ص ٦٣، ٦٤ .

مناقبها :- ومن مناقبها رضى الله عنها اتصافها بقوة الايمان بالله عز وجل - وتمسكها بسنة رسوله ومما يدل على ذلك ما رواه مسلم عن زينب بنت أبى سلمة قالت: لما أتى أم حبيبة نعى "١" أبى سفيان دعت فى اليوم الثالث بصفرة "٢" فمسحت به ذراعيها وعارضيها "٣" وقالت كنت عن هذا غنية ، سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث الا على زوج - فانها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا "٤" "٥" .

وما رواه مسلم أيضا عن أخيها عنبسة بن ابى سفيان عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد مسلم يصلى لله كل يوم ثنتى عشرة ركعة تطوعا غير فريضة الا بنى الله له بيتا فى الجنة أو الا بنى له بيت فى الجنة ، قالت أم حبيبة فما برحت "٦" أصليهن بعد "٧" .

---

١) نعى أبى سفيان : أى خبر موته .
٢) والصفرة هى نوع من الطيب .
٣) وقولها " وعارضيها " المقصود بهما جانبا الوجه وهو مافوق الذقن الى ما دون الاذن وفعلها هذا كان لدفع صورة الاحداد .
٤) وفى قوله " أربعة اشهر وعشرا " قال ابن حجر قيل الحكمة فيه ان الولد يتكامل تخليقه وتنفخ فيه للروح بعد مضى مائة وعشرين يوما ، وهى زيادة على أربعة أشهر بنقصان الأهلة فجبر الكسر الى العقد على طريق الاحتياط . فتح البارى . ج (٩) ص (٤٨٧) .
٥) أخرجه مسلم فى كتاب الطلاق . المجلد (٢) ج(٤) ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، - وأخرجه البخارى فى الجنائز . المجلد (١) ج(٢) ص ٧٨ ، ٧٩ . والترمذى فى ابواب الطلاق . المجلد (٢) ص (٣٣٣) . وابو داود فى أبواب الطلاق المجلد (١) ج(٢) ص (٢٩٠) . واللفظ لمسلم .
٦) فما برحت أصليهن :أى مازلت أواظب عليهن ، وفى الحديث اشارة الى حث السامعين على المحافظة على تلك الصلوات وتنشيطهم لفعلها .
٧) أخرجه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين . باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن . المجلد (١) ج(٢) ص ١٦١ ، ١٦٢ .

ومن مناقبها أيضا اتصافها بالشجاعة وانها لاتخشى فى الله لومة لائم وليس أدل على ذلك من تلك الحادثة المشهورة التى وقفت فيها أمام والدها موقف الند للند لاتخشى أذاه ولا سطوته ولاتجزع من سلطانه وجبروته فتكلمه بما لا يحب ولا يرضى فقد حدث أن قدم والدها الى المدينة ليزيد فى الهدنة ويمددها فعندما دخل عليها وأراد الجلوس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال لها يا بنية أرغبت بهذا الفراش عنى أم بى عنه ؟ فأجابته رضى الله عنها بل هو فراش رسول الله وأنت امرا نجس مشرك .

مروياتها :ـ لها رضى الله عنها خمس وستون حديثا اتفق البخارى ومسلم على حديثين وتفرد مسلم بحديثين "١" أيضا .

روت عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها . وروت عنها ابنتها حبيبة ، وأخواها معاوية وعنبسة ابنا ابى سفيان ، وابن أخيها عبد الله بن عتبة بن ابى سفيان ، وابن اختها ابو سفيان بن سعيد بن المغيرة بن الأخنس ومولياها أبو الجراح وسالم بن شوال "٢" ، وعروة بن الزبير وابو صالح السحان ، وشهر بن حوشب ، وزينب بنت ام سلمه ، وصفية بنت شيبة ، وشتير بن شكل ، وابو المليح عامر الهزلى .

---

١) الأحاديث التى اتفقت عليها البخارى ومسلم ، وماتفرد به مسلم . انظر فى صحيح البخارى كتاب النكاح . باب وان تجمعوا بين الأختين الا ماقد سلف المجلد (٣) ج(٦) ص١٢٧ . وفى كتاب الطلاق . باب الكحل للحادة . المجلد (٣) ج (٦) ص (١٨٦) . ومسلم فى كتاب الرضاع . باب تحريم الربيبة وأخت المرأة . المجلد (٢) ج(٤) ص١٦٥ . وفى الطلاق . باب وجوب الاحداد . المجلد (٢) ج(٤) ص٢٠٣ . وفى صلاة المسافرين . باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن . المجلد (١) ج(٢) ص(١٦١) وفى الحج . باب استحباب تقديم دفع الضعفة من النساء وغيرهن من مزدلفة الى منى فى أواخر الليل قبل زحمة الناس المجلد (٢) ج(٤) ص(٧٧) .

٢) وعند ابن حجر فى تهذيب التهذيب سالم بن سوار . وفى الاصابة سالم بن سوال .

وفاتها :- أخرج ابن سعد من طريق عوف بن الحارث عن عائشة قالت : دعتني أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند موتها فقالت : قد يكون بيننا مايكون بين الضرائر فغفر الله لي ولك ماكان من ذلك ، فقلت : غفر الله لك ذلك كله وتجاوز عنه ، وحللك منه ،فقالت : سررتني سرك الله ،وأرسلت الى أم سلمة فقالت لها مثل ذلك (١).

قبرت رضي الله عنها بالمدينة ، ونزل قبرها بعض بني أختها هند بنت ابى سفيان وبعض ولد عتبة بن ابى سفيان ،وابوبكر بن سعيد بن الاخنس ، وهى خالته ، أمة صخرة بنت ابى سفيان .

واختلفوا في سنة وفاتها فقيل توفيت سنة أربع وأربعين ، جزم بذلك ابن سعد وأبو عبيد ورجحه البلاذرى . (٢)

وقال ابن حبان وابن قانع توفيت سنة اثنين وأربعين ،وقال ابن ابى خيثمة توفيت سنة تسع وخمسين ، وفى الاصابة قال ابن حجر وهو بعيد ، وقيل سنة خمسين كما قيل غير ذلك والله اعلم .

---

(١) بتصرف من الطبقات . جـ (٨) ص ١٠٠ . ورواه ابن حجر فى الاصابه من طريقة جـ (٤) ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ . والذهبى في سير اعلام النبلاء جـ(٢) ص (٢٣٣) وابن الجوزى في صفة الصفوة . المجلد (٢) ص (٤٦) .

(٢) أنساب الاشراف . للبلاذرى جـ (١) ص (٤٤٠) .

الفصل الحادى عشر
" السيدة ميمونة بنت الحارث"

نسبها :ـ هى ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة "١"

امها هند بنت عوف الكنانية وقيل حميرية قاله ابن الاثير ، وهى من سيدات مكة اللواتى اشتهرن بالفضل والنسب الرفيع ، ويقال عنها انها اكرم الناس اصهارا .

وفى الاستيعاب ذكر ابن عبد البر ان اخوات ميمونه لأبيها وامها هن : ام الفضل (لبابة الكبرى) ولبابة الصغرى وعصمة وعزة وهزيلة .
واخواتها من امها هن : اسماء وسلمى وسلامة بنات عميس الخثعميات . ومر فيما سبق انه نسب الى ابى الحسن الجرجانى ان زينب بنت خزيمة هى اخت ميمونه لامها .

---

١) كذا فى الطبقات الكبرى . ج (٨) ص (١٣٢) . وسير اعلام النبلاء ج(٢) ص (٢٣٨) . وعيون الأثر الا أنه قال ميمونة بنت الحرث .

وفى الاصابة والاستيعاب عند ترجمة اختها لبابة (الكبرى) بن بجير بن الهرم . وفى اسد الغابة بن دويبة بدل بن رويبة .

وفى الاصابة ذكر ابن حجر ان لبابة الصغرى هى عصماء ، وأمهـا فاختة بنت عامر الثقفيـة وذكر ايضـا ان ام لبـابة الكبرى هى خولة بنـت عوف القرشـية .

وفى الطبقات ذكر ابن سعد ان هندا هى خولة ، وام الفضـل هى اخـت ميمونـة لابيها وامهـا ، واما لبابـة الصغـرى وعزة وهزيـلة هن اخواتهـا لابيها ،واخوتـها واخواتها لامها محميـة بن جزء الزبيدى وعوف واسماء - وسلمى بنو عميـس .

قال مجاهد : كان اسم ميمونـة برة فسماها رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ميمـونه "١" وهي خالة الصحابييـن الجليليـن عبد الله بن عبـاس وخالد بن الوليـد .

زواجها :- تزوجت ميمـونه رضى الله عنها عندما تقدم لخطبتها احـد فتيان مكة ، واختلفت الاقـوال فيمن كان زوجها فقيـل : كانت عند ابـى رهم بن عبد العزى بن عبد ود بن مالك بن حسـل بن عامر بن لـؤى القرشـى العامـرى . وقيـل عند سـخبرة بن ابى رهـم . وقيـل عند حويطب بـن عبد العزى . وقيـل عند فروة اخيـه . وقيـل عند فروة بن عبد العـزى الاسـدى وهـذا ليس بأخ لحويطب . وقيـل كانت عند مسعود بن عمـرو بن عمير الثقفى ففـارقها وخلفه عليها ابورهم بن عبد العزى فتوفى عنهـا فتزوجها رسـول الله .

---

١) اخرجـه ابن سعد فى الطبقـات ، ج (٨) ص (١٣٧) .

والصواب عند ابن عبدالبر كما ذكره في الاستيعاب هو : انها كانت تحت ابى رهم بن عبدالعزى .

وأخرج الترمذى بسند حسن عن ابى رافع قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وكنت انا الرسول (١) فيما بينهما (٢) .

وقيل ان الرسول اليها جعفر بن ابى طالب ، وعندما خطبها لرسول الله جعلت امرها الى العباس بن عبدالمطلب فزوجها منه .

وقيل ان العباس وصفها له وقال : قد تأيمت من أبى رهم فهل لك أن تزوجها ؟ فتزوجها عليه الصلاة والسلام . وذكر الزهرى وقتادة انها التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت فيها الآية (٣) وقيل الواهبة غيرها ، وقيل انهن تعددن .

وكان تزويجه صلى الله عليه وسلم بها فى السنة السابعة من الهجرة عام عمرة القضية ، قال ابن سعد : وهى آخر امرأة تزوجها رسول الله

---

(١) وقوله : وكنت انا الرسول فيما بينهما . اى الواسطة في أمر الزواج بينه وبين العباس الذى هو كيلها في الزواج .

(٢) اخرجه الترمذى في ابواب الحج . باب ماجاء في كراهية تزويج المحرم المجلد (٢) ص ١٦٧ ، ١٦٨ . وقال هذا حديث حسن ولا نعلم أحداً اسنده غير حماد بن زيد عن مطر الوراق عن ربيعة .

(٣) وهى قوله تعالى " وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين . من سورة الاحزاب بعض آية رقم (٥٠) .

واختلفت الروايات فى الصحيحين وغيرهما "١" فى زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة ميمونة اتزوجها وهو حلال او وهو محرم ؟
ففى صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو محرم . "٢" .

وفى رواية له ايضا عن يزيد بن الاصم قال : حدثتنى ميمونة بنت الحارث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال قال وكانت خالتى وخالة ابن عباس "٣" .

وللتوفيق بينهما اذكر ملخص ماذكره ابن حجر فى الفتح حيث قال : حديث ابن عباس واقعة "٤" عين تحتمل عدة احتمالات منها :ان ابن عباس كان يرى ان من قلد الهدى صار محرما ، والنبى عليه الصلاة والسلام كان قد قلد هدية فى عمرته التى تزوج فيها السيدة ميمونة ، فيكون اطلاقه ان رسول الله تزوجها وهو محرم اى عقد عليها بعد ان قلد هديه وان لم يكن تلبس بالاحرام . وذلك انه ارسل اليها ابارافع ليخطبها ، فجعلت امرها الى العباس فزوجها من النبى صلى الله عليه وسلم .

---

١) حديث زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة ميمونة وهو محرم اخرجه الترمذى عن ابن عباس فى ابواب الحج . المجلد (٢) ص (١٦٨) وابن ماجه فى كتاب النكاح . باب المحرم يتزوج . المجلد (١) ص ٦٣٢ وحيث زواجه بها وهو حلال اخرجه الترمذى عن يزيد بن الاصم فى ابواب الحج . المجلد (٢) ص (١٦٨ . وابن ماجه فى كتاب النكاح . باب المحرم يتزوج . المجلد (٢) ص ٦٣٢ .

٢) اخرجه مسلم فى كتاب النكاح . باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته . المجلد (٢) جـ (٤) ص (١٣٧ .

٣) اخرجه مسلم فى كتاب النكاح . باب تحريم المحرم وكراهة خطبته . المجلد (٢) جـ(٤) ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

٤) واقعه عين : اى رأى بعينه .

فقد اخرج الترمذى ، وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما من طريق مطـــر الوراق عن ربيعة بن ابى عبدالرحمن عن سليمان بن يسار عن ابى رافـــع : ان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وكنت أنا الرسول بينهما "

ومنها أن قول ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجهـــا وهو محرم أى داخل الحرام أوفى الشهر الحرام . كقولهم " قتلوا ابـــن عفان الخليفة محرما " اى قتلوه في البلد الحرام . وكقولهم " قتلوا كســرى بليل محرما " اى قتلوه في الشهر الحرام (١)

مناقبها : روى ابن سعد بسند حسن عن يزيد بن الأصم أن ذا قرابـــة لميمونة دخل عليها فوجدت منه ريح شراب فقالت : لئن لم تخرج الـــى المسلمين فيجلدوك أو قالت يطهروك لا تدخل على بيتى أبدا (٢)

وهذا يدل على مدى قوة ايمانها بالله عز وجل وتمسكها بتنفيـــذ أحكام الله حتى ولو على ذوى قرابتها .

وفى رواية له ايضا بسند صححه ابن حجر عن يزيد بن الاصم قال : تلقيت عائشة وهى مقبلة من مكة انا وابن طلحة بن عبيد الله ، وهو ابن اختهـــا

---

(١) بتصرف من فتح البارى . ج (٩) ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات . ج (٨) ص ١٣٩ . والذهبى فـــي سير اعلام النبلاء ج (٢) ص ٢٤٤ . وفيه ان اسناده حسن .

وقد كنا وقعنا فى حائط "١" من حيطان المدينة فأصبنا "٢" منه فبلغها ذلك فأقبلت على ابن أختها تلومه وتعذله ، ثم أقبلت على فوعظتنى موعظة بليغة ثم قالت أما علمت ان الله تبارك وتعالى ساقك حتى جعلك فى بيت نبيه؟ ذهبت والله ميمونة ورمى "٣" بحبلك على غاربك أما أنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم "٤"

ومن اخلاصها رضى الله عنها لرسول الله أنها أذنت له فى مرضه الذى توفى فيه أن ينتقل الى بيت عائشه لعلمها بارتياحه وهو عندها ٠

ولما انتقل صلوات الله وسلامه عليه الى الرفيق الأعلى ظلت رضى الله عنها تذكر يومها الميمون الذى جمعها به ٠

مروياتها : عاشت رضى الله عنها بعد وفاة رسول الله مدة من الزمن ، وكان بيتها مصدر اشعاع للمسلمين ، فقد روت رضى الله عنها عدة أحاديث ، واختلف فى عدد ما حدثت به فقيل : لها ست وأربعون حديثا وقيل ست وسبعون وقيل سبع وسبعون كما قيل غير ذلك ٠

أخرج لها منها فى الصحيحين ثلاثة "٥" عشر حديثا ٠ المتفق عليه سبعة أحاديث وأنفرد البخارى بحديث ، ومسلم بخمسة ٠

---

١) وقوله : وقد كنا وقعنا فى حائط من حيطان المدينة : أى وقعنا فى بستان من بساتينها ٠

٢) فأصبنا منه : أى أخذنا من ثماره ٠

٣) ورمى بحبلك على غاربك : أى أطلق لك حرية التصرف والفعل ٠

٤) رواه ابن سعد فى الطبقات ٠ج(٨) ص ١٣٨ ٠ والذهبى فى سير أعلام النبلاء ٠ج(٢) ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ ٠ وابن حجر فى الاصابة ٠ج(٤) ص ٤١٢ ، ٤١٣ ٠

٥) ومن مروياتها التى أخرجها البخارى فى صحيحه ـ ١ ـ كتاب الحيض ٠ المجلد (١) ج(١) ص (٨٥) ٠

روت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عنها عبد الله بن عباس وعبد الله بن شداد بن الهاد ، وعبد الرحمن بن السائب ، ويزيد بن الاصم وهؤلاء ابناء اخواتها ، كما روى عنها ايضا ربيبها عبيد الله الخولانى ومولاتها ندبة ، ومولياها عطاء بن يسار واخوه سهيل ، وكريب مولى ابن عباس ، وابراهيم بن عبد الله بن معبد بن عباس ، وعبيدة "١" بن السباق ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، والعالية بنت سبيع وخلق اخرون .

= ٢ ـ كتاب الصوم . المجلد (١) ج (٢) ص (٢٤٩)
٣ ـ كتاب الغسل . المجلد (١) ج (١) ص (٦٨)
٤ ـ كتاب الحيض . باب مباشرة الحائض . المجلد (١) ج (١) ص (٧٨)

ومن احاديثها التى اخرجها مسلم
١ ـ كتاب الصوم . المجلد (٢) ج (٣) ص (١٤٦)
٢ ـ كتاب الحيض . المجلد (١) ج (١) ص (١٦٧)
٣ ـ كتاب الحيض . باب صفة غسل الجنابة . المجلد (١) ج (١) ص ١٧٥
٤ ـ كتاب الحيض . ص ١٧٦ ، ١٧٧
٥ ـ كتاب الصلاة . المجلد (١) ج (٢) ص (٥٤) .
٦ ـ كتاب الصلاة . ص (١٢٨)
٧ ـ كتاب اللباس والزينه ، باب لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة المجلد (٣) ج (٦) ص (١٥٦) .

١) كذلك فى تهذيب التهذيب . ج (١٢) ص (٤٥٣) . واعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام . ج (٥) ص (١٣٩) . وفى سير اعلام النبلاء للذهبى . المجلد (٢) ص (٢٣٩) بلفظ عبيد بن السباق .

وفاتها : قال ابو عمر توفيت ميمونة بسرف فى الموضع الذى ابتنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه على ذلك ابن حجر فى تهذيب — التهذيب .

وروى الشيخان فى صحيحهما واللفظ للبخارى من طريق عطاء قال : — حضرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة بسرف "١" فقال ابن عباس هذه زوجة النبى صلى الله عليه وسلم فاذا رفعتم نعشها "٢" فلا تزعزعوها "٣" ولا تزلزلوها "٤" وارفقوا "٥" .. "٦" .

وروى الهيثمى من طريق يزيد بن الاصم قال : ثقلت "٧" ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة وليس عندها احد من بنى اخيها فقالت اخرجونى من مكة فانى لااموت بها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنى انى لا أموت بمكة قال فحملوها حتى اتوابها سرف الى الشجرة التى بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها فى موضع الفيئة "٨"

---

١) سرف : بفتح السين وكسر الراء وهو مكان بقرب مكة .

٢) النعش : هو سرير يوضع عليه الميت ولايسمى نعشا الا اذا كان الميت عليه والا فهو سرير .

٣) الزعزعة : هى تحويك الشىء الذى يرفع .

٤) والزلزلة : الاضطراب .

٥) ارفقوا : اى اقصدوا فى السير .

٦) اخرجه البخارى فى كتاب النكاح . المجلد (٣) ج (٦) ص ١١٧ . واخرجه مسلم فى كتاب الرضاع باب جواز هبتها نوبتها لضرتها . المجلد (٢) ج (٤) ص (١٧٥) .

٧) ثقلت : اى اشتد مرضها .

٨) الفيئة : الظل .

قال : فماتت ، فلما وضعناها في لحدها "١" ، اخذت ردائي فوضعته تحت خدها في اللحد ، فأخذه ابن عباس فرمى بها "٢"

قيل توفيت رضي الله عنها عن عمر تناهز الثمانين سنة ، وقيل احدى - وثمانين سنة ، صلى عليها عبد الله بن عباس ، وتزل قبرها هو ويزيد بن الاصم وعبد الله بن شداد بن الهاد وعبيد الله الخولاني .

واختلفوا في سنة وفاتها فقيل : توفيت سنة احدى وخمسين للهجرة ،وقيل سنة احدى وستين ، وقيل ثلاث وستين وقيل غير ذلك . والصحيح عند ابن حجر كما ذكره في الاصابة وتقريب التهذيب القول الاول وهو ان وفاتها كان سنة احدى وخمسين .

---

١) لحدها : حفرتها .
٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . ج (٦)
ص (٢٤٩) وقال رواه ابو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

الباب الثالث

وتحته فصول :-

الفصل الأول : الأمور التي عرضت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم الزوجية وهي :-
قصة شرب العسل في بيت إحدى الزوجات
وقصة تحريم مارية على نفسه .

الفصل الثاني : طلب أمهات المؤمنين التوسعة عليهن في النفقة وما ترتب على هذه المشاكل من اعتزالهن شهرًا ونزول آيات التخيير .

الفصل الثالث : الشبه التي أثيرت حول تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم وردها ويشمل ما أثير حول زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش وما أثير حول تعدد زوجاته عمومًا .

الفصل الأول

" قصة شرب العسل في بيت احدى الزوجات وقصة تحريم ماريه على نفسه "

لقد عاش صلوات الله وسلامه عليه في بيته بشرا رسولا كما خلقه الله وكما أمره أن يقول " قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا " (١)

وزوجاته رضوان الله عليهن ايضا بشر يصبن ويخطئن وليس ذلك بعيب انما العيب هو التمادى والاصرار على الخطأ وعدم الرجوع عنه .

وقصة تحريم ما أحل الله له تعرض لنا صورة من صور الحياة البيتية لرسول الله، وهي تمثل صورة من الانفعالات والاستجابات الانسانية التي لا بد من حدوث مثلها في هذه الحياة .

ووقوعها في جو النبوة وفي بيت رسول الله، ليتم على ضوئها توجيه الأمة حيث تستنبط منها الاحكام وتؤخذ منها العبر ويقتدى بمطه صلوات الله وسلامه عليه .

وبسبب احدى هاتين الحادثتين تحريم العسل أو تحريم ماريه على نفسه على اختلاف الروايات نزل قوله تعالى " يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم " الى قوله عسى ربه

---

(١) سورة الاسراء . بعض آية رقم (٩٣) .

ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا " (١)

ولكي يتضح لنا أيهما الأصح وأيهما أكثر توافقا وانسجاما مع ألفاظ الآيات نذكر الروايات التي وردت بصددهما .

حديث العسل :

أخرجه البخارى في صحيحه عند ذكر قوله تعالى " يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم " فقال حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله وسلم يشرب عسلا عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها فواطأت (٢) أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير (٣) اني أجد منك ريح مغافير قال لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب ابنة جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحدا " (٤)

كما أخرجه ايضا مسلم في صحيحه فقال : " وحدثني محمد بن حاتم حدثنا حجاج بن محمد أخبرنا ابن جريج أخبرني عطاء أنه سمع عبيد بن عمير

---

(١) سورة التحريم من آية رقم ١ - ٥

(٢) فواطأت : أى اتفقت .

(٣) المغافير : جمع مغفور وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط .

(٤) أخرجه البخارى في كتاب تفسير القرآن ، تفسير سورة التحريم . المجلد (٣) ج (٦) ص (٦٨) .

يخبر أنه سمع عائشة تخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا قالت فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على احداهما (١) فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزل لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله ان تتوبا " لعائشة وحفصة " وإذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا " لقوله بل شربت عسلا " (٢)

وفي رواية أخرى قال : " حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء وهارون بن عبد الله قالا حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء (٣) والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة فأحتبس (٤) عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة (٥) من عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يارسول الله أكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي له ما هذه الريح " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح " فانه سيقول لك سقتني

---

(١) قال ابن حجر لم أقف على تعيينها وأظنها حفصة .
(٢) اخرجه مسلم في كتاب الطلاق . المجلد (٢) ج (٤) ص١٨٤، ١٨٥
(٣) الحلواء : قال العلماء المراد بالحلواء هنا كل شيء حلو، وذكر العسل بعدها تنبيها على شرافته ومزيته، وهو من باب ذكر الخاص بعد العام . شرح النووي على صحيح مسلم . ج(١٠) ص ٧٧
(٤) فأحتبس : أي تلبث .
(٥) العكة : هي الآنية وفسرها ابن حجر بالقربة الصغيرة .

حفصة شوبة عسل فقولي له جرست (١) نحله العرفط (٢) وسأقول ذلك لـه وقوليه أنت يا صفية فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والذى لا اله الا هو لقد كدت أن أبادئه بالذى قلت لي وانه لعلى الباب فرقا (٣) منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله أكلت مغافير قال لا قالـت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت بمثل ذلك فلما دخـل على حفصة قالت يا رسول الله آلا أسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقـول سودة سبحان الله والله لقد حرمناه (٤) قالت قلت لها أسكـتي ". (٥)

ومن خلال استعراضنا لهذه الاحاديث، نجد الاختلاف في التـي سقته العسل، وفي المتظاهرات عليه، فبعضها تذكر أن التي سقته العسـل هي السيده زينب بنت جحش، وأن المتظاهرتين هما السيدتان عائشـة وحفصـة.

---

(١) جرست: أى رعت.
(٢) العرفط: قيل هو نبات له ورقة عريضة تفترش على الأرض له شوكـة حجناء وثمرة بيضاء كالقطن مثل زر القميص خبيث الرائحـة.
وقال أهل اللغه العرفط من شجر العضاة وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ. شرح النووى على صحيح مسلم جـ(١٠) ص٧٥، ٧٦.
(٣) فرقا: أى خوفـا.
(٤) حرمناه: أى منعنـاه.
(٥) أخرجه مسلم في كتاب الطـلاق، المجلد (٢) جـ(٤) ص(١٨٥).

وبعضها تذكر أن التي سقته العسل هي السيده حفصة وأن المتظاهرات عائشة وسودة وصفيه .

وقد رجح القاضي عياض الأول ، فقال : فيما نقله عنه النووى في شرح صحيح مسلم " ذكر مسلم في حديث حجاج عن بن جريج أن التي شوب عندها العسل زينب وأن المتظاهرتين عليه عائشة وحفصة ، وكذلك ثبت في حديث عمر بن الخطاب وابن عباس ان المتظاهرتين عائشة وحفصة ، وذكر مسلم أيضا من رواية ابي أسامة عن هشام أن حفصة هي التي شوب العسل عندها وأن عائشة وسودة وصفية من اللواتي تظاهرن عليه ، والأول أصح ، قال النسائي اسناد حديث حجاج صحيح جيد غاية ، وقال الأصيلي حديث حجاج أصح وهو أولى بظاهر كتاب الله تعالى وأكمل فائدة ، يريد قوله تعالى " وان تظاهرا عليه " فهما ثنتان لا ثلاث وأنهما عائشة وحفصة كما قال فيه وكما اعترف به عمر رضي الله عنه ، وقد انقلبت الأسماء على الراوى في الرواية الأخرى " . (١)

وأما حديث ماريه :

فقد أخرجه النسائي في سننه على احدى الروايتين من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطوءها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه فأنزل الله عز وجل " يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الى آخر الآية " . (٢)

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم . حـ (١٠) ص ٧٦ ، ٧٧

(٢) أخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء . المجلد (٤) حـ (٧) ص ٧١ ، ٧٢

وكذلك أخرجه الدار قطني في سننه عن ابن عباس عن عمر قـــال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم ولده مارية في بيت حفصة فوجدتـــه حفصة معها فقالت له تدخلها بيتي ما صنعت بي هذا من بين نسائك الا مـن هواني عليك فقال لا تذكرى هذا لعائشة فهي علي حرام ان قربتها ، قالت حفصة وكيف تحرم عليك وهي جاريتك فحلف لها لا يقربها فقال النبي صلى اللـــه عليه وسلم لا تذكريه لأحد فذكرته لعائشة فآلى لا يدخل على نسائه شهـــرا فأعتزلهن تسعا وعشرين ليلة فأنزل الله " لم تحرم ما أحل الله لك " الآية". (١)

وفي رواية أخرى قال : " حدثنا الحسين بن اسماعيل حدثنا عبد اللـه بن شبيب حدثني أحمد بن محمد بن عبد العزيز قال : وجدت في كتاب ابـــي عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال وجدت حفصة رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم مع أم ابراهيم في يوم عائشة فقالت لأخبرتها ، فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم هي على حرام ان قربتها فأخبرت عائشة بذلك فأعلـم الله عز وجل رسوله بذلك فعرف حفصة بعض ما قالت ، قالت له من أخبرك ؟ قال نبأني العليم الخبير " فآلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه شهـرا فأنزل الله " ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما " الآية قال ابن عبـــاس فسألت عمر من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال حفصة وعائشـــة ". (٢)

---

(١) أخرجه الدار قطني في كتاب الطلاق والخلع والايلاء وغيره . المجلـد (٢) جـ (٤) ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) أخرجه الدار قطني في كتاب الطلاق والخلع والايلاء وغيره . المجلـد (٢) جـ (٤) ص ٤١ ، ٤٢ .

وبعد سياقنا للأحاديث التي وردت في قصتي العسل ومارية، نجد الأولى وردت في الصحيحين والثانيه وردت في غير الصحيحين .

وصحح ابن كثير نزول الآية في تحريمه العسل (١) وهذا ما صححه أيضا القاضي عياض فقال " كما أن الصحيح في سبب نزول الآية انها في قصة العسل لا في قصة مارية المروى في غير الصحيحين (٢) وذكر الالوسي بأن المشهور في مارية ، الا أن بعض كتب التفاسير تشير الى أنه يمكن وقوع الحادثتين معا ، فالرواية الثانية قريبة الى جو النصوص والى ما أعقبه الحادث من غضب كاد يؤدى الى طلاق زوجاته صلى الله عليه وسلم .

كما أن الرواية الأولى قوية الاسناد من جهة رواية الشيخين لها ويمكن أن تنتج نفس الآثار التي ترتبت عليها .

فاذا لا مانع بعد هذا من القول بأن الآية نزلت عقب الحادثتين فاقتصر بعض الرواة على نقل احداهما والبعض الآخر على نقل الأخرى .

المعنى الاجمالي للآيات التي ذكرت سابقا :-

وهي قوله تعالى " يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم . قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم. واذا أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا

قال نبأني العليم الخبير . ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهــرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيـرة عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا . (١)

والتي استهلها سبحانه وتعالى بالعتاب لنبيه صلى الله عليه وسلــم اذ أنه لا ينبغي له أن يحرم على نفسه ما أحله له التماسا بذلك رضا أزواجــه وبين أن هذا الحرمان يستوجب المؤاخذه الا أن تتداركه مغفرة من اللــــه ورحمته .

وتحريمه صلى الله عليه وسلم العسل على نفسه أو مارية على اختــلاف الروايات ليس معناه تحريما شرعيا أى الاعتقاد بكونه حراما بعد ما أحله اللــه وانما حرمه على نفسه بعدم الانتفاع به مع اعتقاده أن ذلك حلالا .

ثم بين سبحانه وتعالى في الآية التي تليها بأنه يجوز للانســــان استباحة المحلوف عليه اذا كان العدول عنها أولى ، ويكون تحليله بالكفـارة وهي ما ذكرت في سورة المائدة في قوله تعالى " فكفارته اطعام عشــــرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجــــد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم " . (٢)

واختلفوا في تكفيره صلى الله عليه وسلم لليمين ، فقيل أنه كفر عنــــه، وعن الحسن أنه لم يكفر لأنه صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبــــه وما تأخر ، وأن كفارة اليمين في هذه السورة انما هو تعليم للأمــــة .

---

(١) سورة التحريم . آية رقم ١ - ٥

(٢) سورة المائده . بعض آية رقم (٨٩) .

وقال العلامة القرطبي في تفسيره : بأن الأول أصح وأن المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك تقتدى به الأمة " (١)

" والله مولاكم وهو العليم الحكيم " أى والله وليكم وناصركم فيعينكم على ضعفكم وعلى ما يشق عليكم ، عليم بما يصلحكم فيشرعه لكم حكيم في تدبير أموركم فلا يأمركم ولا ينهاكم الا وفق ما تقتضيه مصلحتكم .

ثم شرعت الآية بعد ذلك في بيان سعة علمه سبحانه وتعالى بكل شيء اذ أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم بالخبر الذى أفشته السيده حفصة وكان رسول الله قد أمر بكتمانه ، وحين راجعها بما دار بينهما من الحديث اكتفى فيه بالاشارة الى جانب منه ثم اخبرها بمصدر علمه فقال " نبأني العليم الخبير " .

والحديث الذى اسره النبي صلى الله عليه وسلم للسيده حفصة هو تحريم العسل أو تحريم جاريته مارية ، وقيل تحريم مارية وامامة الشيخين ابي بكر وعمر وولا يتهما أمر الأمة من بعده .

وأما الحديث الذى عرفه اياها فهو قوله لها " كنت شربت عسلا عند زينب ابنة جحش فلن أعود " والذى أعرض عنه هو قوله لها " وقد حلفت " أو أن الذى عرفه اياها هو أمر مارية والذى أعرض عنه هو امامة الشيخين ، وقيل العكس بأن عرفها امامة الشيخين وأعرض عن أمر مارية .

ثم اتجهت الآية بعد ذلك تستعتبهما (أى حفصة وعائشة) وتحثهما على المبادرة الى التوبة لتعود قلوبهما فتميل الى الله بعد أن بعدت عنه

---

(١) بتصرف من تفسير القرطبي . جـ (٨) ص ٦٦٦٤ ، ٦٦٦٥

بما كان منهما فقال " ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما" .

ثم تناولت الآية نصر الله لرسوله ، وأنه مؤيده في أمر دينه وسائر شئونه وكذلك جبريل وصالح المؤمنين والملائكة ايضا ان تعاونا عليه بما يسوؤه فقال " وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين (١) والملائكة بعد ذلك ظهير. " (٢)

ثم بينت الآية بعد ذلك ان هذه اللجاجه قد تؤدى الى الطلاق ومن ثم ذكرت صفات الأزواج اللواتي يمكن أن يبدله الله بهن ان طلقهن مع توجيه الخطاب للجميع في معرض التهديد فقال " عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات (٣) مؤمنات (٤) قانتات (٥) تائبات (٦) عابدات سائحات (٧) ثيبات وأبكارا" .

---

(١) قيل المراد بصالح المؤمنين : هما أبو بكر وعمر لأنهما أبوا عائشة وحفصة وكانا عونا له عليهما قاله عكرمة وسعيد بن جبير.
وقيل المراد به خيار المؤمنين وقيل غير ذلك .

(٢) ومعنى ظهير: ظهراء وأعوان له في نصره .

(٣) مسلمات: مقرات بالاسلام .

(٤) مؤمنات: مخلصات .

(٥) قانتات: مطيعات .

(٦) تائبات : أى تائبات من الذنوب أو راجعات الى الله والى امر رسوله قاله العلامة النسفي . المجلد (٢) هـ (٤) ص (٢٧٠) .

(٧) سائحات : صائمات أو مهاجرات ، والأول قاله ابن عباس والثاني قاله الحسن . وقال الفراء وغيره سمي الصائم سائحا ، لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى أن يجد ما يطعمه فشبه الصائم به في امساكه الى أن يجيء وقت الافطار - الفتوحات الالاهية . المجلد (٤) ص (٣٦٧) . - والآيات فسرت من عدة مراجع " في ظلال القرآن ، القرطبي ، التفسير الفريد في القرآن المجيد ، المراغي، الجلالين"

الفصل الثاني

طلب أمهات المؤمنين التوسعة عليهن في النفقة واعتزالهن شهرا ونزول آيتي التخيير

لقد أختار صلوات الله وسلامه عليه لنفسه ولأهل بيته معيشة الزهد والتقشف، فاذا نظرنا الى أحواله البيتية نجد ذلك واضحا في جميع أموره وأحواله، سواء كان في مأكله أو ملبسه أو منامه.

وهناك أحاديث كثيرة تدل على ما كان عليه، عليه الصلاة والسلام من الزهادة في الدنيا والاعراض عن متاعها وملاذها وشهواتها.

روى عن عائشة رضي الله عنها قالت " ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينه من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض". (١)

وعن أبي بردة قال: دخلت على عائشة، فأخرجت الينا ازارا غليظا مما يصنع باليمن وكساء من التي يسمونها الملبدة (٢) قال فأقسمت بالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض في هذين الثوبين. (٣)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة. المجلد (٣) حـ (٦) ص ٢٠٥

(٢) قال العلماء الملبدة بفتح الباء وهو المرقع، يقال لبدت القميص ألبدة بالتخفيف فيهما، ولبدته ألبده، بالتشديد، وقيل هو الذى ثخن وسطه حتى صار كاللبد. شرح النووى على صحيح مسلم. حـ (١٤) ص (٥٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب التواضع في اللباس والاقتصار على الغليظ منه واليسير من اللباس والفراش وغيرهما. المجلد (٣) حـ (٦) ص (١٤٥).

وعن عبد الله قال : " نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء (١) ، فقال مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها" (٢) . واختياره عليه الصلاة والسلام لنفسه ولأهل بيته هذه المعيشة ليس تكليفا ولا أمرا من الله عز وجل ، اذ أن الطيبات لم تكن محرمة في شريعته قال تعالى : " يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات .. " . (٣)

ولذا لم يحرمها على نفسه حين كانت تقدم اليه عفوا بدون تكلف ، كما أن اختياره لها ليس عجزا ، وانما استعلاء عليها ورغبة خالصة فيما عند الله سبحانه وتعالى من الجزاء والثواب العظيم الذى وعد به رسله الأكرمين وعباده المتقين . وكيف يكون عجزا ؟ وقد أعطى صلوات الله وسلامه عليه خزائن الأرض وأحلت له من الغنائم ما لم تحل لأحد قبله .

---

(١) وقوله " لو أتخذ لك وطاء " جاء في تحفة الأحوذى أن كلمة " لو " تحتمل أن تكون للتمني وأن تكون للشرطية ، والتقدير " لو اتخذنا لك بساطا حسنا وفراشا لينا لكان أحسن من اضطجاعك على الحصير الخشن " . حـ (٧) ص (٤٨) .

(٢) أخرجه الترمذى . في باب ما جاء في أخذ المال بحقه . المجلد (٤) ص (١٧) وقال هذا حديث صحيح .

(٣) سورة المائدة . بعض آية رقم (٤) .

كما فتحت في عهده بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب ، وحمل اليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها الكثير.

الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لاقى من أزواجه رضوان الله عليهن بسبب هذه المعيشة وقلة النفقة عليهن كما لاقى غيره من البشر. اذ أن الحياة في بيت النبوة لم تكن لتقضي على المشاعر والهواتف البشرية في نفوس أزواجه ، فعلى الرغم من منزلتهن العالية وقربهن من رسول الله فان رغبتهن في متاع الحياة وزينتها ما زالت حية في نفوسهن ، فما أن رأين السعة والرخاء الذى أفاضه الله على رسوله والمؤمنين حتى اجتمعن حوله يطالبنه بالتوسعة عليهن في النفقة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستقبل مطلبهن بالترحاب بل لقد بلغ به من الأسى والحزن أن احتجب عن أصحابه واعتزل نساءه .

أخرج مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما (١) ساكتا قال : فقال لأقولن شيئا أضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة (٢) سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت (٣) عنقها

---

(١) واجما : أى حزينا ممسكا عن الكلام .
(٢) لو رأيت بنت خارجة : يقصد امرأته ابنة زيد .
(٣) فوجأت : أى طعنت .

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده، فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية يا أيها النبي قل لأزواجك حتى بلغ للمحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة اني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك (١)، قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله استشير أبوى بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت، قال لا تسألني امرأة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا (٢) ولا متعنتا (٣) ولكن بعثني معلما ميسرا". (٤)

---

(١) قال العلماء وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة ان تشاور أبويها لأنه كان يحبها، وكان يخاف أن يحملها فرط الشباب على أن تختار فراقه، ويعلم من أبويها أنهما لا يشيران عليها بفراقه. تفسير القرطبي. هـ (٦) ص (٢٤٥).

(٢) معنتا: أى مشددا على الناس وملزما اياهم ما يصعب عليهم.

(٣) ولا متعنتا: أى ولا طالبا زلتهم.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق. المجلد (٢) هـ (٤) ص ١٨٧، ١٨٨.

كما أخرجه أيضا الامام أحمد (١) في مسنده ، الا أن هناك أحاديث أخرى تثبت أن للاعتزال سببا آخر وهو غضبه صلى الله عليه وسلم وموجدته على السيدتين عائشة وحفصة رضي الله عنهما عندما تظاهرتا عليه .

أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لم أزل حريصا على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله لهما ان تتوبا الي الله فقد صغت قلوبكما فحججت معه فعدل (٢) وعدلت معه بالاداوة (٣) فتبرز حتى جاء فسكبت على يديه من الاداوة فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال لهما " ان تتوبا الى الله" فقال واعجبي (٤) لك يا بن عباس عائشة وحفصة ثم أستقبل عمر الحديث يسوقه (٥) فقال اني كنت وجار (٦) لي من الانصار في بني أميه بن زيد وهي من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه الامام احمد في مسنده في الجزء (٣) ص (٣٢٨) .

(٢) فعدل : أى عدل عن الطريق المسلوكة الى طريق لا تسلك فيه غالبا ليقضي حاجته .

(٣) الاداوة : اناء صغير من جلد يتخذ للماء .

(٤) قال ابن حجر : " وان عمر تعجب من ابن عباس مع شهرته بعلم التفسير كيف خفي عليه هذا القدر مع شهرته وعظمته في نفس عمر وتقدمه في العلم على غيره ، ومع ما كان ابن عباس مشهورا به من الحرص على طلب العلم ومداخله كبار الصحابة وأمهات المؤمنين فيه . أو تعجب من حرصه على طلب فنون التفسير حتى معرفة المبهم . فتح البارى ح (١٩) ص (٢٨٠) . وجاء في بلوغ الأماني بأن وجه تعجبه هو تأخير ابن عباس سؤاله عنهما الى ذاك الحين هيبة له .

(٥) وقوله " ثم استقبل عمر الحديث يسوقه " أى أخذ عمر يسوق القصة التي كانت سبب نزول الآية المسئول عنها .

(٦) قال ابن حجر واسم الجار المذكور أوس بن خولي بن عبد الله بن الحارث الانصارى سماه ابن سعد من وجه آخر عن الزهرى عن عروة عن عائشة =

فينزل هو يوما وأنزل يوما فاذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره
واذا نزل فعل مثله وكنا معشر قريش تغلب النساء فلما قدمنا على الانصار اذا
هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصحت
على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني فقالت ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله
أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم
حتى الليل فافزعني فقلت خابت من فعل منهن بعظيم ثم جمعت على ثيابي
فدخلت على حفصة فقلت أتغاضب احداكن رسول الله صلى الله عليه وسلم،
اليوم حتي الليل؟ فقالت نعم فقلت خابت وخسرت أفتأمن أن يغضب الله
لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فتهلكين لا تستكثرى على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وأسأليني ما بدالك ولا يغرنك

= فذكر حديثا وفيه " وكان عمر مؤاخيا أوس بن خولي لا يسمع شيئا الا حدثه
ولا يسمع عمر شيئا الا حدثه فهذا هو المعتمد ، وأما من قال بأنه عتبان
بن مالك فهو من تركيب ابن بشكوال فانه جوز أن يكون الجار المذكور
عتبان لآن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين عمر لكن لا يلزم
من الاخاء أن يتجاورا ، والأخذ بالنص مقدم على الأخذ بالاستنباط
وقد صرحت الراوية المذكورة عن ابن سعد أن عمر كان مؤاخيا لأوس
فهذا بمعنى الصداقة لا بمعنى الاخاء الذى كانوا يتوارثون به ثم
نسخ . فتح البارى . جـ(٩) ص ٢٨١ .

ان كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عائشة وكنا تحدثنا أن غسان (١) تنعل النعال (٢) لغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابي ضربا شديدا وقال أنائم هو ؟ ففزعت فخرجت اليه وقال حدث أمر عظيم قلت ما هو ؟ أجاءت غسان ؟ قال لا بل أعظم منه وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، قال قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون فجمعت على ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل مشربة (٣) له فاعتزل فيها فدخلت على حفصة فاذا هي تبكي فقلت ما يبكيك ؟ أولم أكن حذرتك ؟ أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت لا أدري . هو ذا في المشربة فخرجت فجئت المنبر فاذا حوله رهط (٤) يبكي بعضهم فجلست معهم قليلا ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي هو فيها فقلت

---

(١) غسان : بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة غير منصرف أي قبيلة غسان وملكهم في ذلك الوقت الحارث بن ابي شمر ، وهم كانوا بالشام . كذا في تحفة الأحوذي . ج (٩) ص ٢٢٦ .

(٢) وقوله " تنعل النعال " أي يجعلون لخيولهم نعالا لغزونا والمعنى انهم يتهيئون لقتالنا .

(٣) والمشربة : الغرفة .

(٤) قال ابن حجر لم أقف على تسميتهم .

لغلام (١) له أسود استأذن لعمر فدخل فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت فذكر مثله فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت استأذن لعمر فذكر مثله فلما وليت منصرفا فاذا الغلام يدعوني قال أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فاذا هو مضطجع على رمال حصير (٢) ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئ على وسادة من أدم (٣) حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم طلقت نساءك ؟ فرفع بصره الي فقال لا . ثم قلت وأنا قائم استأنس يارسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم فذكره (٤) فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قلت لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب الى النبي صلى الله عليه وسلم يريد عائشة فتبسم أخرى فجلست حين رأيته تبسم ثم رفعت (٥) بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر (٦) غير أهبة (٧) ثلاثة فقلت أدع الله فليوسع على أمتك فان

---

(١) ذكر القسطلاني أن اسمه رباح .

(٢) على رمال حصير : بكسر الراء وقد تضم ، والمراد به النسج ، تقول رملت الحصير وأرملته اذا نسجته ، وحصير مرمول أي منسوج ، والمراد هنا أن سريره كان مرمولا بما يرمل به الحصير . فتح الباري . ج (٩) ص (٢٨٧) .

(٣) من أدم : أي من جلد مدبوغ .

(٤) فذكره : أي السابق من القصة .

(٥) رفعت بصري : أي نظرت .

(٦) وقوله " ما رأيت فيه شيئا يرد البصر " أي ما رأيت فيه شيئا يحملني على تكرار الرؤية

(٧) قال الحافظ ابن حجر الأهبة بفتح الهمزة والهاء وبضمها أيضا بمعنى الأهب والهاء فيه للمبالغة ، وهو جمع اهاب على غير قياس ، وهو الجلد قبل الدباغ ، وقيل هو الجلد مطلقا دبغ أو لم يدبغ ، والذى يظهر أن المراد به هنا جلد شرع في دبغه ولم يكمل . فتح الباري ج (٩) ص ٢٨٨ .

فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله وكان متكئا فقال أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت يارسول الله استغفر لى . فأعتزل النبى صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة الى عائشة وكان قد قال ما أنا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله فلما مضت تسع وعشرون دخل على عائشة فبدأ بها فقالت له عائشة انك اقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وانا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين قالت عائشة فأنزلت آية التخيير فبدأ بى أول امرأة فقال انى ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك قالت قد أعلم أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفراقة ثم قال ان الله قال " يا أيها النبى قل لازواجك الى قوله عظيما " قلت أفى هذا استأمر ابوى فانى أريد الله ورسوله والدار الاخرة ثم خير نساءه فقلن مثل ما قالت عائشة " (١)

وأخرجه ايضا مسلم والترمذى (٢) ولفظه عند مسلم عن ابن عباس قال : لم أزل حريصا أن اسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى " ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما "

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب المظالم . المجلد (٢) ج(٣) ص ١٠٣ - ١٠٦

(٢) أخرجه الترمذى في كتاب تفسير القرآن ، تفسير سورة التحريم . المجلد (٥) ص ٩٢ - ٩٦ .

حتى حج عمر وحججت معه فلما كنا ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم أتانى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله عز وجل لهما " ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما " قال عمر واعجبا لك يا ابن عباس ، (قال الزهرى كره والله ماسأله عنه ولم يكتمه) قال هى حفصة وعائشة ثم أخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلى في بنى أمية بن زيد بالعوالى (١) فتغضبت يوما على امرأتى فاذا هى تراجعنى ، فأنكرت ان تراجعنى فقالت ماتنكر أن أراجعك فوالله أن ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل ، فأنطلقت فدخلت على حفصة فقلت اتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ، فقلت أتهجره احداكن اليوم الى الليل ؟ قالت نعم ، قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأ من احداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا هى قد هلكت لا تراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا وسلينى مابدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هى أوسم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك (يريد عائشة) قال وكان لى جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول

---

(١) قال الحافظ ابن حجر العوالى جمع عالية وهى قرى بقرب المدينة مما يلى المشرق وكانت منازل الأوس . فتح البارى ج (٩) ص (٢٨١)

الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وأنزل يوما فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي ثم أتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه ، فقال حدث أمر عظيم، قلت ماذا أجاءت غسان ؟ قال لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق النبي صلى الله عليه وسلم نساءه ، فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أدري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى انتهيت الى المنبر فجلست فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد ثم أتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه ، فقلت أطلقت يارسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه الي وقال لا ، فقلت الله اكبر (١) لو رأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فتغضبت على امرأتي يوما فاذا هي تراجعني فأنكرت

---

(١) وقوله " فقلت الله أكبر" قال الكرماني : لما ظن الانصاري أن الاعتزال طلاق أو ناشئ عن طلاق ، اخبر عمر بوقوع الطلاق جازما به ، فلما استفسر عمر عن ذلك فلم يجد له حقيقة كبر تعجبا من ذلك .
قال ابن حجر ويحتمل ان يكون كبر الله حامدا لعلى ما أنعم به عليه من عدم وقوع الطلاق . فتح الباري ج(٩) ص (٢٨٧)

أن تراجعني ، فقالت ماتنكر أن أراجعك فوالله إن ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتأمن احداهن ان يغضب الله عليها لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا هى قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك ان كانت جارتك هى أوسم منك وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى ، فقلت أستأنس يارسول الله ، قال نعم فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله مارأيت فيه شيئا يرد البصر الا أهبا ثلاثة فقلت أدع الله يارسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك أنت يا ابن الخطاب ؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا ، فقلت استغفر لى يارسول الله ، وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل ، قال الزهرى فأخبرنى عروة عن عائشة قالت لما مضى تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بى ، فقلت يارسول الله انك أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين أعدهن فقال أن الشهر تسع وعشرون ثم قال ياعائشة انى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ على الآية : يأيها النبى قل لازواجك حتى بلغ أجرا عظيما قالت عائشة قد علم والله أن أبوى لم يكونا ليأمرانى بفراقه قالت فقلت أوفى هذا أستأمر أبوى ؟ فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة .

قال معمر فأخبرنى أيوب أن عائشة قالت لا تخبر نساءك انى أخترتك

فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ان الله أرسلني مبلغا ولم يرسلني متعنتا ، قال قتادة صغت قلوبكما ، مالت قلوبكما " (١)

وبعد ذكر الأحاديث التى وردت بصدد الاعتزال ونزول آية التخيير نجد اتفاقهما على أن الآية نزلت عقب انتهاء الشهر الذى اعتزلهن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختلافها في سبب الاعتزال ، أكان سببه مراجعتهن له فى أمر النفقة ؟ أم موجدته صلى الله عليه وسلم وغضبه على السيدتين عائشة وحفصة رضى الله عنهما عندما تظاهرتا عليه ؟ الا أنه يمكن الجمع بين هذه الروايات على أن تكون الحادثتان سببا للاعتزال ، فقصة المتظاهرتين خاصة بالسيدتين عائشة وحفصة ، وقصة سؤال النفقة عامة في أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن .

وذكر ابن حجر في كتابه فتح البارى بأن مناسبة أية التخيير لقصة سؤال النفقة أليق منها بقصة المتظاهرتين " (٢)

وأما آيتا التخيير فهما قوله تعالى

" ياأيها النبى قل لأزواجك (٣) ان كنتن تردن الحياة الدنيا

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الطلاق . المجلد (٢) ج(٤) ص١٩٢-١٩٥

(٢) فتح البارى . كتاب تفسير القرآن . ج (٨) ص (٥٢١)

(٣) ذكرت كتب التفاسير أن عدد النسوة اللواتى كن تحت جناح رحمته صلى الله عليه وسلم تسع ، وخمس منهن قرشيات وهن عائشة وحفصة وسودة وأم حبيبة وأم سلمة ، وأربع منهن غير قرشيات وهن زينب بنت جحش الاسدية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية ، وصفية بنت حيى النضيرية .

وزينتها (١) فتعالين أمتعكن (٢) وأسرحكن (٣) سراحا جميـــلا (٤) وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكـــن أجرا عظيما " (٥)

المعنى الاجمالي لما تضمنته الآيتان :-

وقد ابتدأت بتوجيه الخطاب لنبيه صلى الله عليه وسلم ليخير أزواجـــه رضوان الله عليهن بين أحد أمرين اما الحياة الدنيا وزينتها ، واما اللـــه ورسوله والدار الآخرة ، فالقلب الواحد لا يسع تصورين للحياة كما قال تعالى " ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه " (٦)

---

(١) زينتها : أى زخرفها ونعيمها .
(٢) امتعكن : أعطكن متعة الطلاق .
(٣) أسرحكن : قال العلامة الألوسى والتسريح في الأصل مطلق الارسال ثم كنى به عن الطلاق أى وأطلقكن .
(٤) سراحا جميلا : أى طلاقا حسنا لا ضرار فيه كما في الطلاق البدعى ، وفى مجمع البيان فسر السراح الجميل بالطلاق الخالى من الخصومـــة والمشاجرة .
(٥) سورة الاحزاب . رقم الآية ٢٨ ، ٢٩
(٦) سورة الاحزاب . بعض آية رقم (٤) .

فان آثرن الحياة الدنيا وملذاتها فليقبلن اليه ليعطيهن متعة الطـــــلاق ويسرحهن سراحا جميلا لا ضرار فيه .

وان آثرن رضا الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منهن ثوابا عظيما ، ثوابا لا يحصى كثرته عظيما لا تستقصى عظمته ، وهذا ماأختارته أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن بعد أن خيرهن رسول الله والــــتى أبتدأها بالسيدة عائشة رضي الله عنها كما وضح ذلك من الأحاديث السالفة الذكر .

" التوجيهات الالاهية لنساء النبي صلى الله عليه وسلم"

ها هي التوجيهات الالاهية لنساء النبي ليكن قدوة للنساء المسلمات كما كان رسول الله قدوة للجميع . قال تعالى " يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا . ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما . يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . وأذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا " (١)

ابتدأت هذه الآيات الكريمات بوعظ أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن عن مقارفة فاحشة مبينة ، والفاحشة المبينة كما قاله ابن عباس هي النشوز وسوء الخلق ، قال ابن كثير : فهو شرط والشرط لا يقتضي الوقوع كقوله تعالى " لئن أشركت ليحبطن عملك " (٢) وكقوله " قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين " (٣) فاذا فرض وقارفت احداهن فاحشة مبينة واضحة لا خفاء فيها كانت مستحقة لضعفين من العذاب . ولهذا كان ذم العقلاء للعالم العاصي أشد منه للجاهل العاصي .

---

(١) سورة الاحزاب الآيات ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤
(٢) سورة الزمر بعض آية رقم (٦٥)
(٣) سورة الزخرف آية رقم (٨١) .

" وكان ذلك على الله يسيرا " هينا سهلا لا تمنعه ولا تصعبه مكانتهن من رسول الله بل هو سبب لمضاعفة العذاب .

ثم ذكر سبحانه وتعالى في الآية التى تليها عدله وفضله فقال " ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما" فبعد أن ذكر مضاعفة العقاب لهن اذا أتين بفاحشة مبينة أتبعه بذكر مضاعفة الثواب اذا هن عملن صالح الأعمال مع ما هيأه لهن من الرزق الكريم .

والقنوت : الطاعة والخضوع . والعمل الصالح هو الترجمة العملية للطاعة والخضوع .

ثم بينت الآيات بعد ذلك ما لأمهات المؤمنين - رضوان الله عليهن - من اختصاصهن بما ليس لغيرهن من النساء ان أتقينه عز وجل كما أمرهن . ومن قرار أوامره أنه نهاهن عن ترخيم أصواتهن اذا خاطبن الأجانب حتى لا يطمع فيهن من في قلبه مرض، كما أمرهن ايضا بالقرار في بيوتهن ، ولا يظهرن ولا يبدين زينتهن للأجانب كما كانت تفعله أهل الجاهلية الأولى . وأمرهن ايضا باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وطاعته وطاعة رسوله في كل ما يأمر وينهي . وأن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من القرآن الكريم وما يسمعنه من النبي صلى الله عليه وسلم من السنة النبويه الشريفة .

قال عز من قائل " يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض وقلن قولا معروفا . وقرن في

بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى واقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعسن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا " .

" يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن " بمعنى أنهسن ان اتقين الله عز وجل كما أمرهن فهن لا يشبههن أحد من النساء في الفضل والشرف والمنزلة الرفيعه .

" فلا تخضعن بالقول " قال السدى يعني بذلك ترقيق الكلام اذا خاطبن الأجانب .

" فيطمع الذى في قلبه مرض " أى فجور وشهوة وقيل نفاق .

" وقلن قولا معروفا " قال ابن زيد أى قولا حسنا جميلا معروفا في الخير . ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم ولا ترقيق . أى لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها .

" وقرن في بيوتكن " فيه اشارة الى أن يلزمن بيوتهن ، وكما أشرت سابقا أنه لا يلزم من الأمر بملازمة البيوت أن لا يبرحنها على الاطلاق ، وانما هي اشارة الى أن يكون البيت هو الأصل في حياتهن وما عداه استثناء طارىء لا يثقلن فيه ولا يستقررن ، انما هي الحاجة تقضي وبقدرها .

قال ابن كثير في تفسيره : ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تمنعوا اماء الله مساجد

الله ولكن ليخرجن وهن تفلات[1] ". (٢) وفي رواية " وبيوتهن خير لهن "(٣).

" ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى " قال مجاهد : كانت المرأة تمشي بين يدى الرجال فذلك تبرج الجاهلية " وقال قتادة : وكانت لهن مشية تكسر وتغنج " وقال مقاتل بن حيان : والتبرج انها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيوارى قلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها " وأما الجاهلية الأولى فقد اشار الشوكاني في تفسيره الى أن هناك اختلافا في تحديد زمنها فقيل ما بين آدم ونوح ، وقيل ما بين نوح وادريس ، وقيل ما بين نوح وابراهيم، وقيل ما بين موسى وعيسى ، وقيل ما بين عيسى ومحمد . والواقع ان الجاهلية ليست لها فترة زمنية معينة ، وانما هي حالة اجتماعية يمكن تواجدها في أى زمان ومكان .

" وأقمن الصلاة وآتين الزكاة " قيل خصهما بالذكر لما لهما من كبير الآثام في طهارة النفس وطهارة المال . " وأطعن الله ورسوله " أى فيما أمر ونهى .

" انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " أى أن ما سبق من النهي والأوامر انما كان ليذهب عنكم الرجس. والمراد بالرجس هنا الأثم والذنب . واختلف أهل العلم في المراد بأهل البيت المذكورين في الآية . قال العلامة الخازن في تفسيره المسمى لباب التأويل في معالم التنزيل : " هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لأنهن في بيته ،

---

(١) تفلات : غير متطيبات .
(٢) اخرجه ابو داود في كتاب الصلاة . المجلد (١) حـ(١) ص ١٥٥ .
(٣) اخرجه ابو داود في كتاب الصلاة . المجلد (١) حـ(١) ص ١٥٥ .

وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى " واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة " وهو قول عكرمة ومقاتل . وذهب ابو سعيد الخدرى وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم الى انهم : على وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، يدل عليه ما روى عن عائشة أم المؤمنين قالت : خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء على فأدخله فيه ثم جاء الحسن فأدخله فيه ثم جاء الحسين فأدخله فيه ثم قال : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " أخرجه مسلم . والمرط الكساء ، والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرحال ، وبالجيم المنقوش عليه صور الرجال .

وعن أم سلمة قالت : أن هذه الآية نزلت في بيتها " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله الست من أهل البيت؟ فقال انك الى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله وعلى وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح غريب .

وعن أنس بن مالك " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب .

وقال زيد بن أرقم: أهل البيت من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس (١) " واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة " ولفظ الذكر - كما وضحه العلامة الشوكاني في تفسيره - يحتمل أربعة معاني .

١- أي أذكرن موضع النعمة اذ صيركن الله في بيوت تتلي فيها آيات الله والحكمة .

٢- أو أذكرنها وتفكرن فيها لتتعظن بمواعظ الله .

٣- أو أذكرنها للناس ليتعظوا بها ويهتدوا بهداها . (٢)

٤- أو أذكرنها بالتلاوة لها لتحفظنها ولا تتركن الاستكثار من التلاوة

وأما آيات الله والحكمة فقد قال أهل التأويل آيات الله هي القرآن والحكمة السنة . وقال مقاتل : المراد بالآيات والحكمة أمره ونهيه في القرآن ، وقيل أن القرآن جامع بين كونه آيات بينات دالة على التوحيد وصدق النبوة ، وبين كونه حكمة مشتملة على فنون من العلوم والشرائع (٣)

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل . المجلد (٣) ص (٤٦٦) .

(٢) فتح القدير . للعلامة الشوكاني ، المجلد (٤) ص (٢٨٠) .

(٣) فتح القدير . للعلامة الشوكاني ، المجلد (٤) ص (٢٨٠) .

" ان الله كان لطيفا خبيرا " أى ذا لطف بكن اذ جعلكن في البيوت التى تتلى فيها آيات الله وشرائعه ، خبيرا بكن اذ أختاركن لرسوله أزواجا"

" حجاب أمهات المؤمنين "

قال تعالى " ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غيرناظرين أناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبى فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما " (١)

الشرح والبيان :

في هذه الايه بيان لبعض الحقوق على الناس المتعلقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وهو عند نسائه ، والحقوق المتعلقة بهن رضى الله تعالى عنهن اثر بيان احكام وحقوق له عليه الصلاة والسلام وازواجه في الآيات السابقة

وقت نزولها : نزلت هذه الايه يوم تزوج عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش وكان ذلك في ذى القعدة من السنة الخامسة وقيل في السنة الثالثة .

---

(١) سورة الاحزاب آية رقم (٥٣)

سبب نزولها : سبب نزول هذه الآية التي اشتملت على آداب دخول بيوت النبي صلى الله عليه وسلم وتناول طعامه والجلوس فيها وأمر الحجاب كما روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون واذا هو كأنه يتأهب للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل فاذا القوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فالقى الحجاب بيني وبينه فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي) الآية " (١) وهذه الآية قد وافق تنزيلها اقتراح عمر بن الخطاب على النبي صلى الله عليه وسلم أن يحجب نساءه .

فقد ثبت في الصحيح عن عمر قال : " وافقت الله في ثلاث - أو وافقني ربي في ثلاث - قلت : يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى . وقلت : يارسول الله ، يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ، فأنزل الله آية الحجاب . قال وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه ، فدخلت عليهن قلت : ان انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا منكن ، حتى أتيت احدى نسائه قالت : ياعمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن . المجلد (٣) ج (٦) ص (٢٥) .

حتى تعظهن انت ؟ فأنزل الله (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات) الآية " (١)

معانى المفردات :-

ناظرين : منتظرين ، اناه : نضجه ، فانتشروا : تفرقوا ، ولا مستأنسين لحديث : لا تمكثوا مستأنسين بالحديث ، متاعا : شيئا يتمتع به من الماعون وغيره ، حجاب : ستر

آداب دخول بيوت النبى وتناول طعامه :-

كان قوم من المؤمنين يتحينون طعام النبى صلى الله عليه وسلم فيدخلون قبل أن يدرك الطعام فيقعدون الى أن يدرك ثم يأكلون ويمكثون مستأنسين بالحديث فنهوا أن يدخلوا بيوت النبى صلى الله عليه وسلم الا بعد الاذن والدعوة الى طعام وعندئذ يكون الدخول على وجه يعقبه الشروع في الاكل بلا فصل ثم أمروا أن يتفرقوا وينتشروا عقب الانتهاء من تناول الطعام فان مكثهم في بيوت النبى صلى الله عليه وسلم بعد الطعام مستأنسين بالحديث كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم حيث يكون مانعا له من قضاء بعض حاجاته .

---

(١) أخرجه البخارى في كتاب تفسير القرآن . المجلد (٣) ج (٥) ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

وفيه تضييق المنزل عليه وعلى أهله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاهم عن ذلك من شدة حيائه ولكن الله تعالى لا يمنع من بيان الحق واظهاره ، ولما كان الخروج من بيوت النبي عليه الصلاة والسلام عقب الاكل حقا فقد أمر الله به .

الحجاب :

كما أمروا اذا كانت لاحدهم حاجة يريد تناولها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا أن يطلبها من وراء ستر حتى لا ينظروا اليهن بالكلية .

روى النسائي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيسا في قعب ، فمر عمر فدعاه فأكل ، فأصاب اصبعه اصبعي فقال : حسن ـ أو أوه ـ لو أطاع فيكن ما رأتكن عين . فنزل الحجاب " (١)

والذى شرعه الله تعالى وأمر به من الحجاب أطهر للقلوب من الخواطر التي تعرض للنساء في أمر الرجال وللرجال في أمر النساء وأنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له فان مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه .

---

(١) ذكر ابن حجر هذه الرواية في فتح البارى ، ج (٨) ص (٥٣١) وعزاها الى النسائي وبحثت عنها فلم أجدها .

حرمة ايذاء الرسول ونكاح ازواجه من بعده :

" وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما "

المعنى : ماصح لكم أن تفعلوا في حياته صلى الله عليه وسلم فعلا يكرهه ويتأذى به كاللبث والاستئناس بالحديث الذى كنتم تفعلونه وغير ذلك من كل مافيه ايذاء له ومن الأذى المحرم نكاح ازواجه من بعده لذا فقد حرم الله على المؤمنين أن ينكح أى منهم احدى زوجاته من بعد وفاته أو فراقه .

سبب النزول : نزل قول الله تعالى " وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده " وقوله تعالى " وازواجه امهاتهم " لما قال رجل : لو قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت عائشة ، وقيل لما نزلت آية الحجاب قال رجل : أننهى أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد صلى الله عليه وسلم لنتزوجن نساءه . وقد نسب هذا الى طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة وأنه ندم على قوله هذا ، وكفر عنه بأن أعتق رقبة وحمل على عشرة افراس في سبيل الله ومشى الى مكة حاجا على رجليه .

ولكن يستبعد صدور هذا القول من طلحة بن عبيد الله احد العشرة المبشرين بالجنة فان له من فضله وسبقه مايحول بينه وبين هذا القول الذى يتأذى به الرسول لامحاله ويكون صاحب هذا القول اذا هو طلحة آخر غير طلحة احد العشرة المبشرين ويكون من باب اشتباه الاسم .

فان الذى يغلب على الظن أن مثل هذا القول لا يصدر الا عن منافق فقد جاء في بعض الروايات أن أحد المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بعد أبي سلمة ، وحفصة بعد خنيس بن حذافة : مابال محمد يتزوج نساءنا والله لو قد مات لا جلنا السهام على نسائه فنزلت الآية في هذا ، وحرمة نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم من بعده وجعلهن في حكم الامهات من خصائصه صلى الله عليه وسلم بيانا لفضله وتنبيها على علو شأنه . قال الشافعي رحمه الله : وأزواجه صلى الله عليه وسلم اللاتي مات عنهن لا يحل لأحد نكاحهن ومن استحل ذلك كان كافرا لقوله تعالى " وماكان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا ازواجه من بعده أبدا "

وقيل : انما منع من التزوج بزوجاته ، لأنهن ازواجه في الجنة وأن المرأة في الجنة لآخر أزواجها ، قال حذيفة لا مرأته ان سرك أن تكوني زوجتي في الجنة ان جمعنا الله فيها ؛ فلا تزوجي من بعدي أبدا فان المرأة لاخر ازواجها .

وهل حرمة نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم من بعده تشمل المدخول بها وغيرها أو أنها خاصة بالمدخول بها فقط ؟

قال الامام الشافعي : لا فرق في ذلك بين المدخول بها وغيرها كالمستعيذة والتي رأى بكشحها بياضا فقال عليه الصلاة والسلام قبل الدخول " الحقي بأهلك " مستدلا بأن عموم الازواج ظاهر في هذا .

وصحح امام الحرمين والرافعي ؛ ان التحريم للمدخول بها فقط ، مستدلين

بما روى أن قتيلة بنت قيس أخت الأشعث بن قيس تزوجها عكرمة بن ابى جهل بحضرموت وكان قد زوجها أخوها قبل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل أن يدخل بها حملها معه الى حضرموت وتوفى عنها عليه الصلاة والسلام فبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه فقال : هممت أن أحرق عليها بيتها فقال عمر رضى الله عنه ماهى من أمهات المؤمنين مادخل بها صلى الله عليه وسلم ولا ضرب عليها الحجاب وقيل : لم يحتج بذلك ، بل احتج بأنها ارتدت حين أرتد أخوها فلم تكن من امهات المؤمنين بارتدادها وبما روى أيضا أن الاشعث بن قيس الكندى نكح المستعيذة في زمن عمر رضى الله عنه فهم عمر برجمه فأخبر أنه لم يكن مدخولا بها فكف من غير نكير .

حكم الأمة التى يفارقها الرسول بعد وطئها :-

في حكم الأمة التى يفارقها الرسول عليه الصلاة والسلام بعد وطئها اقوال ثلاثة :-

الأول : الحل ، لأن التعبير بالازواج ظاهر في عدم حرمة الأمه .

الثانى : الحرمة ، اجراء لحكم الحرائر في ذلك على الاماء . اذ لا فرق .

الثالث: انها تحرم ان فارقها بالموت كمارية رضى الله عنها ، ولا تحرم ان باعها أو وهبها في الحياة .

" ان ذلكم كان عند الله عظيما " أى ان ايذاءه عليه الصلاة والسلام ونكاح أزواجه من بعده كان في حكم الله أمرا عظيما وخطبا هائلا وذنبا كبيرا .

" أن تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شئ " عليما " (١)

أن تظهروا شيئا مما لا خير فيه على السنتكم كالتحدث بنكاحهن أو تخفوه في صدوركم فان الله يعلمه علما كاملا فيجازيكم على ماصدر منكم من المعاصي البادية والخافية .

الذين لا يجب الاحتجاب عنهم :-

قال تعالى " لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ماملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ " شهيداً " (٢)

مناسبتها لما قبلها : - أمر الله تعالى فيما سبق نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب من الأجانب وفي هذه الآيه بين من لا يجب الاحتجاب منهن من الاقارب .

سبب النزول : - روى أنه لما نزلت آيه الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب أو نحن يارسول الله نكلمهن أيضا من وراء حجاب فنزلت .

والمعنى : لا اثم عليهن في ترك الحجاب من هؤلاء المذكورين ولم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين فقد أطلق على العم أب . في قوله

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٤) .
(٢) سورة الاحزاب آية رقم (٥٥) .

تعالى " واله آبائك ابراهيم وأسماعيل " (١) واسماعيل علي يعقوب .
والمقصود بنسائهن في الآية المؤمنات ، فيحتجبن على الكافرات ولو كتابيات لأنهن لا دين ولا خلق ولا أمانة عندهن يمنعهن من أن يصفن زوجات الرسول للأجانب ، وماملكت أيمانهن العبيد والاماء وهو مذهب الشافعي ، ومذهب ابى حنيفة أنه مخصوص بالاماء . ولا يجب الاحتجاب من أصناف آخرين يعرفون من آية النور وهي " ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن او نسائهن أو ماملكت ايمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء . . " (٢)

بعولتهن : أزواجهن

" أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال ; كالاجراء والاتباع الذين ليسوا باكفاء ولا همة لهم الى النساء ولا يشتهونهن .

" أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء " لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعطفهن في المشية وحركاتهن وسكناتهن فاذا كان الطفل صغيرا لا يفهم ذلك فلابأس بدخوله على النساء فأما ان كان مراهقا أو قريبا منه بحيث يعرف ذلك ويدريه فيمنع من الدخول

---

(١) سورة البقرة بعض آية رقم (١٣٣) .
(٢) سورة النور بعض آية رقم (٣١) .

على النساء وفي ختام هذه الآية امرهن بتقوى الله في الخلوة والعلانية فانه شهيد على كل شيء ولا تخفى عليه خافية ولا تتفاوت في علمه الأحوال فيجازى على الاعمال بحسبها . " واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيداً" .

الفصل الثالث

" ماأثير حول زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش "

لقد ذكرت فيما سبق قصة طلاق زيد من زينب وزواج الرسول منها كما ورد في القرآن والسنة الا أن بعض المفسرين الذين فسروا الآيات الخاصة بهذا الشأن صدرت منهم آراء وذكروا أقوالا اتخذها اعداء الاسلام فيما بعد منطلقا للطعن والتشويه من سمعة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ،

فانظر الى ماذكره الطبرى والزمخشرى والنسفى ومن سلك مسلكهم في تفسير قوله تعالى : " واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا " (١)

حيث قال الطبرى في تفسيره :

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عتابا من الله له واذكر يامحمد اذ تقول للذى انعم الله عليه بالهداية وانعمت عليه بالعتق يعنى زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله وذلك ان زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الاحزاب آية رقم ٣٦ ، ٣٧

فاعجبته وهي في حبال مولاه ، فألقى في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع فأراد فراقها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك وهو صلى الله عليه وسلم يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها . (واتق الله) وخف الله في الواجب له عليك في زوجتك .

(وتخفي في نفسك ما الله مبديه) يقول وتخفي في نفسك محبة فراقه اياها لتتزوجها ان هو فارقها والله مبد ماتخفي في نفسك من ذلك .

(وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) يقول تعالى ذكره وتخاف أن يقول الناس أمر رجلا بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها والله أحق أن تخشاه من الناس . ثم قال وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، ثم ذكر رواية عن ابن وهب قال قال ابن زيد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريده وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف وهي في حجرتها حاسرة فوقع اعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم فلما وقع ذلك كرهت الاخر فجاء فقال يارسول الله اني أريد أن أفارق صاحبتي ، قال مالك أرابك منها شيء ؟ قال لا والله مارابني منها شيء يارسول الله ولا رأيت الا خيرا . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجك واتق الله فذلك قول الله تعالى " واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه " (١)

---

(١) تفسير الطبري المجلد (٨) ج (٢٢) ص ١٠ ، ١١

وأما الامام الزمخشرى فقال في تفسيره للآية

" للذى أنعم الله عليه " بالاسلام الذى هو أجل النعم ، وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه . " وأنعمت عليه " بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن حارثة .

" أمسك عليك زوجك " يعنى زينب بنت جحش رضى الله عنها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ما أنكحها اياه فوقعت في نفسه فقال : سبحان الله مقلب القلوب . وذلك أن نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو أرادتها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن وألقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انى أريد أن أفارق صاحبتى . فقال : مالك أرابك منها شىء ؟ قال : لا والله مارأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى ، فقال له : امسك عليك زوجك واتق الله .

ثم قال " فان قلت : ما أراد بقوله " واتق الله " قلت أراد (واتق الله) فلا تطلقها ، وقصد نهى تنزيه لا تحريم لأن الأولى ان لا يطلق. وقيل أراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وأذى الزوج .

فان قلت : ما الذى أخفى في نفسه ؟ قلت : تعلق قلبه بها ، وقيل مودة مفارقة زيد اياها ، وقيل علمه بأن زيدا سيطلقها وسينكحها لأن الله تعالى قد أعلمه بذلك . وقال أيضا فان قلت الواو فى وتخفى فى نفسك وتخشى الناس والله أحق ماهى ؟ قلت : واو الحال . أى تقول لزيد

أمسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة أن لا يمسكها وتخفى خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بأن تخشى الله ، أو واو العطف كأنه قيل : واذا تجمع بين قولك أمسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك " (١)

وأما الامام النسفي فقد قال في تأويل الآية

" وإذ تقول للذى أنعم الله عليه " بالاسلام الذى هو أجل النعم " وانعمت عليه " بالاعتاق والتبنى فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة " أمسك عليك زوجك " زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصرها بعد ماأنكحها اياه فوقعت في نفسه فقال : سبحان الله مقلب القلوب ، وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها وسمعت زينب بالتسبيحه فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: انى أريد أن أفارق صاحبتى ، فقال : مالك أرابك منها شيء ؟ قال لا والله مارأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى فقال له : أمسك عليك زوجك .

" واتق الله " فلا تطلقها وهو نهى تنزيه اذ الأولى أن لا يطلق أو اتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وأذى الزوج .

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل . للزمخشرى . المجلد (٣) ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

" وتخفى في نفسك ما الله مبديه " أى تخفى في نفسك نكاحها ان طلقهـا زيد وهو الذى ابداه الله تعالى ، وقيل الذى أخفى في نفسه تعلق قلبـه بها ومودة مفارقة زيد اياها . والواو فى " وتخفى في نفسك " وتخشى الناس" أى قالة الناس أنه نكح امرأة ابنه " والله أحق أن تخشاه " واو الحال . أى تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة أن لا يمسكها وتخفـى خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بأن تخشى الله " (١)

وقد وضح من أقوال هولاء المفسرين انهم ينسبون الى النبى صلـى الله عليه وسلم مايلي :

أولا : تعلق قلبه الشريف صلوات الله وسلامه عليه بالسيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها عندما رآها وهى فى محاسنها وأنه لهذا تمناها زوجـة له وود لو أن زيدا يفارقها ليتزوجها .

ثانيا : أن ما اخفاه في نفسه خلاف ما أظهره ، فقد أخفى محبته لهـا ورغبته في أن يطلقها زيد ليتزوجها ، وأظهر خلافه وهو حرصه على بقاء زيد معها وخشى أن يقول الناس أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها حين طلقهـا وكان عليه أن يخشى الله سبحانه وتعالى ولا يخشى الناس .

---

(١) تفسير النسفى . المجلد (٣) ص (٣٠٤) .

وهذا مايسر لاعداء الاسلام من مبشرين ومستشرقين أن يتشبثوا بهذه التأويلات ويركزوا حملاتهم المسعورة على النبى صلى الله عليه وسلم في حين أن ظاهر الآية التى تعرضت لهذه المسألة تأبى ماذكره هؤلاء المفسرون وغيرهم أشد الاباء .

ولكى ندحض هذه الآراء والأقوال التى نسبت اليه نقول :-

أولا : أن نبينا عليه الصلاة والسلام ليس ممن تغر بهم مفاتن النساء أوتميل قلوبهم رؤية الجميلات ، أو يتزوج لمجرد الاستجابة لنزوة . ولو كان كذلك - وحاشاه - لأشبع رغبته بالتعدد وهو في ميعة صباه ، وماقنع بزوجة واحدة عاش معها زهرة شبابه راضيا بها الى أن توفيت .

وكما هو معروف ايضا ان الشهوانى ينعطف وينساق وراء الشابات الابكار الجميلات الصغيرات في السن ، ونحن اذا نظرنا الى أزواجه اللائى ظللهن تحت جناح رحمته نجد أن اكثر من تزوجهن قد جاوزن مرحلة الشباب ، وكن غير جميلات وكلهن ثيبات ماعدا السيدة عائشة رضى الله عنها ، وكذلك اذا نظرنا الى اسباب تعدده يتضح لنا أن ارتباطه بهن كانت لدوافع انسانية سامية .

ثانيا : أن زواجه صلى الله عليه وسلم كان تطبيقا عمليا لتشريع من تشريعات الاسلام الا وهو ابطال آثار التبنى ، وكما ذكرت أنه كان من العادات المتأصلة عند العرب التبنى ، وتنزيل المتبنى منزلة الابن الحقيقى ، ولهذا كانوا يرون حرمة زوجه على من تبناه ، فأراد الله سبحانه وتعالى ابطال هذه العادة المألوفة بينهم فجعل رسوله عليه الصلاة والسلام الاسوة الحسنة

في هذا الأمر ، حيث شاءت أرادته سبحانه وتعالى أن يزوج الرسول عليه الصلاة والسلام متبناه زيدا بابنة عمته ثم طلاقة اياها وزواج الرسول منها ويتضح هذا من قوله تعالى " فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا" (١)

ثالثاً : ان ما اخفاه الرسول في نفسه ليس هو محبته لها ورغبته في أن يطلقها زيدا ليتزوجها ، وانما هو اعلام الله له بأنها ستصير احدى زوجاته بعد طلاق زيد اياها . وهذا ما ابداه الله وأظهره ، اذ لو أخفى غيره لابداه الله سبحانه وتعالى ، والذى حمله على ذلك ، خشية أعتراض الناس عليه وقولهم تزوج محمد امرأة متبناه وكان عليه أن لا يبالى بقولهم مادام ذلك بامر الله سبحانه وتعالى فهو الأحق وحده ان يخشاه ولا يخشى معه أحدا .

قال ابن حجر " وقد أخرج ابن ابى حاتم هذه القصة من طريق السدى فساقها سياقا واضحا حسنا ولفظه :-

" بلغنا ان هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش ، وكانت امها اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك ، ثم أنها رضيت بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها اياه ، ثم اعلم الله عز وجل نبيه بعد أنها من أزواجه فكان يستحى ان يأمر بطلاقها ، وكان لا يزال

---

(١) سورة الاحزاب بعض آية رقم (٣٧)

يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمسك عليه زوجه وأن يتقى الله ، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه ، وكان قد تبنى زيدا " (١)

ثم قال والحاصل ان الذى كان يخفيه النبى صلى الله عليه وسلم هو اخبار الله اياه انها ستصير زوجته والذى كان يحمله على اخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه " (٢)

وأما ماروا‌ه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : جاء زيد بن حارثة فقال يارسول الله ان زينب اشتد على لسانها ، وأنا أريد أن اطلقها فقال له : اتق الله وأمسك عليك زوجك قال : والنبى صلى الله عليه وسلم يحب أن يطلقها ويخشى قالة الناس" (٣)

فقد رده القاضى عياض فقال : " ولا تسترب في تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر ، وأنه يأمر زيداً بإمساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكره جماعة من المفسرين .

ثم قال : ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا" وكان امر الله مفعولا" أى لا بد لك أن تتزوجها ، ويوضح هذا أن الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها ، انه الذى اخفاه عليه الصلاة والسلام مما كان اعلمه الله به " (٤)

---

(١) فتح البارى . ج (٨) ص (٥٢٣)
(٢) فتح البارى ج (٨) ص (٥٢٤)
(٣) فتح البارى ج (٨) ص (٥٢٤) .
(٤) عصمة الانبياء للدكتور محمد ابو النور الحديدى ص ٤٦٤ .

رابعا : ان خشيته عليه الصلاة والسلام من مقالة الناس ليس معناه أنـــه لا يخشى الله سبحانه وتعالى ، وكيف يكون كذلك ؟ وهو القائل " أما واللــه انى لاخشاكم لله وأتقاكم له " (١)

ولكنه لما خشى الناس أيضا في هذا الأمر وكان عليه أن يخشى اللــه وحده ولا يخشى معه أحدا - كما قال تعالى " الذين يبلغون رسالات اللــه ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله " (٢) - عوتب على ذلك .

---

(١) اخرجه البخارى في كتاب النكاح . المجلد (٣) ص (١١٦)
(٢) سورة الاحزاب . بعض آية رقم (٣٩)

" ما أثير حول تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم عموما "

لقد حاول اعداء الاسلام منذ القديم من مبشرين ومستشرقين التهجم على رسول الاسلام والنيل من كرامته ، فأخذوا ينتحلون الاكاذيب والاباطيل ليصوروه أمام الناس بصورة لا تتناسب مع مقام النبوة وأن صاحبها لا يتصف بالاخلاق الحميدة ، ولا غرابة في أن يقف هؤلاء هذا الموقف العدائي تجاه خاتم الانبياء والمرسلين فتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا وصدق الله حيث يقول في كتابه العزيز " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا" (١)

ان اعداء الاسلام لما لم يجدوا مطعنا يتقولونه للتشويه من سمعته صلى الله عليه وسلم اتجهوا الى تعدد زوجاته فزعموا ان الداعي اليه افتتانه بالنساء ونسوا أنه أرفع وانبل خلقا مايدور بخلدهم .

فقالوا لقد انقلب محمد الذي كان داعية توحيد وقناعة وزهد وبعد عن شهوات الدنيا الى رجل شهوة يسيل لعابه لمنظر المرأة ومفاتنها فلم يكتف بزوجة واحدة أو أربع كما أمر أمته وانما عدد الزوجات حتى فقن العشرة ، كما كانوا يقولون أيضا أن هذا التعدد يخدش النبوة .

---

(١) سورة الفرقان رقم الآية (٣١) .

ونحن نرد عليهم بعدة وجوه فنقول :

أولا : أن هذا عار عن الحقيقة ، وتجاهل لها وطعن في غير محله ، والباعث على ذلك هو التعصب الذميم واشباع شهوة التحامل على رسول الله ، لأنهم لو استعرضوا حياته صلى الله عليه وسلم منذ أن ولد الى أن اختاره الله الى جواره ، لوجدوا أنه كان المثل الأعلى فى كل تصرفاته ، فلم يكن في يوم من الايام رجل شهوة ، وقد ادرك بعض عقلاء الافرنج ذلك فردوا على مااقتراه بعضهم من قصار النظر ، يقول الفيلسوف الانجليزى توماس كارليل : " وماكان محمد أخا شهوات برغم مااتهم به ظلما وعدوانا وشد ماتجور ونخطىء اذا حسبناه رجلا شهويا لا هم له الا قضاء مآربه من الملاذ ، كلا فما أبعد ماكان بينه وبين الملاذ أية كانت " (١)

ثانيا : أنه صلى الله عليه وسلم عدد زوجاته وهو فى مرحلة الشيخوخة وبعد أن تجاوز الخمسين من عمره فلو كان كما يزعمون لعددهن وهو فى مرحلة الشباب ، هذا ولو أنهم بحثوا عن حياته صلى الله عليه وسلم لوجدوا أنه قضى ربع قرن مع السيدة خديجة رضى الله عنها لم يشركها معها غيرها في فراش الزوجية حتى ماتت ، فهل من المعقول أن من كانت عنده الميول الجنسية جامحة أن يقضى من حياته ربع قرن بدون تعدد ؟ بالطبع لا .

" هذا ويقرر الاطباء الباحثون عن الميول الجنسية والاخصائيون في باب

---

(١) محمد رسول الله . محمد رضا ص (٣٦٢)

التناسل وعلى رأسهم البروفيسور " فيوبنجر " أن الفريزة التناسلية في الرجل تبتدى بالهبوط في سن الاربعين والابحاث العلمية الخاصة فى هذا الموضوع توءيد هذا الرأى " (١)

كما ثبت أيضا لدى الباحثين ان كثرة الاعطال والتفكير من الاسباب التى توءدى الى ضعف الفريزة وهم اذا تتبعوا مراحل حياته صلى الله عليه وسلم بعد الخمسين وجدوا أنها كانت مليئة بالمشاغل والتفكير.

لقد انشغل صلوات الله وسلامه عليه بالحروب فاجتمعت قريش واليهود وغيرهم من قبائل العرب المتاخمة على حربه فحاربهم مجتمعين ، وهو الى جانب ذلك كان مشغولا بتلقى الوحى من رب العزة وتنظيم المجتمع الاسلامى الجديد وفق نهجه الحكيم ، فهل من المعقول من كانت ظروفه كذلك بالاضافة الى ماعرف عنه من تقشف وورع أن يتجه تفكيره الى المرأة والجنس فيدفعه ذلك الى التعدد .

بالطبع لا يقول هذا الا السفيه والفاجر ومن كان عدوا لنبى الاسلام.

ثالثا : أن جميع زوجاته صلى الله عليه وسلم أرامل وثيبات ماعدا السيدة عائشة رضى الله عنها فهى الوحيدة من بين نسائه التى تزوجها علية الصلاة والسلام بكرا فلو كان هذا التعدد جريا وراء اللذة ومتعة الجسد لأختار الأبكار الجميلات لا الارامل والثيبات وهو القائل لجابر بن عبدالله هل تزوجت ؟ قال نعم ، قال : أبكرا أم ثيبا ؟ قال ثيبا . قال :" فأين

---

(١) الى الدين الفطرى الأبدى . مبشر الطرازى الحسينى . ج (٢) ص ص (١٩٨) .

أنت من العذارى ولعابها " (١) فاذا الرسول عليه الصلاة والسلام يعرف أن الاستمتاع بالعذارى الجميلات يكون اكثر . وليس من العسير عليه أن يجمع أجمل بنات العرب لما له من مكانة مرموقة في المجتمع مع ما أشتهر به بين قومه بالاخلاق الحميدة والصفات الحسنة ، فها هو أبو سفيان على شركه حينما سمع بزواج الرسول صلى الله عليه وسلم من ابنته قال : هو الفحل لا يقرع انفه ، كما أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يفدونه بأرواحهم فلو أنه طلب من أحد أصحابه أن يزوجه من يريدها لما تأخر أحد منهم في الاجابة .

فلماذا اذا تزوج الثيبات والارامل وترك الجميلات والأبكار ؟

ان هذا بلاشك يدفع كل تقول وافتراء على رسول الهدى ، ويرد على كل أفاك أثيم يحاول أن ينال من كرامة الرسول والطعن في سمعته الشريفة الطاهرة ، هذا وقد ذكرت فيما سبق الاسباب الحقيقية لزواجه صلى الله عليه وسلم بهذا العدد من النساء .

وأما قولهم أن التعدد يخدش منزلة النبوة فهذا جهل واضح وافتراء كاذب لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن بدعا من الرسل فليس هو الوحيد الذى تزوج وعدد الزوجات فان من سبقوه من الانبياء قد عددوا كابراهيم ويعقوب وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ومع ذلك لم يعده احد طعنا في نبوتهم .

---

(١) هذا طرف من حديث أخرجه مسلم في كتاب الرضاع . المجلد (٢) ج (٤) ص (١٧٦) .

نقول اذا كان من سبقوه عددوا الزوجات فلماذا اذا يثيرون هذه الضجة في حق خاتم الانبياء والمرسلين ؟

حقا انهم كما قال الله تعالى في كتابه العزيز " فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " (١)

ويقول القائل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

كما أن التعدد دليل على صدق النبوة ، لأنهن يطلعن على بواطن أمره ، فتعرف كل واحدة منهن من سره مالا يستطيع غيرها أن يطلع عليه ، فلو كان صلوات الله وسلامه عليه مدعيا النبوة ، لاجتمعن عليه وكشفن أمره ولفضلن الرجوع الى أسرهن وقبائلهن وهن بمكانة سامية عند أقوامهن وقبائلهن .

فهذه أم حبيبة رضى الله عنها رأت والدها يذل ويهان من قبل الرسول والمسلمين وهو السيد من سادات قريش ، وزعيم كبير من زعماء العرب ، فهل من المعقول لو كان في رسالته صلى الله عليه وسلم أدنى شك أو كذب ان تقف بجانبه صلى اللهُ عليه وسلم وتترك والدها ؟

لو كان كذلك لما وقفت من أبيها موقفا عدائيا وهذا يتضح من مقابلتها له عندما قصد بيتها بعد أن نقضت قريش عهد الحديبية فعندما أراد الجلوس على فراش رسول الله طوته عنه وقالت بل هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك فلم أحب أن تجلس عليه .

---

(١) سورة الحج بعض آية رقم (٤٦)

فلو كان محمد كاذبا في دعوته - وحاش لرسول الله أن يكون كذلك - فهل يطاوعها قلبها أن تقابل والدها هذه المقابلة ؟

وهذه صفية بنت حيي يهوديه متعصبة لدينها وقومها قتل زوجها وأبوها وكثير من قومها بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل من المعقول أن ترضى بزواجه منها وتتفانى في خدمته وطاعته بعد أن فعل مافعل لو لم يكن صادقا في دعوته ؟

فاذا من هنا يتبين لنا أن الانسان المنصف غير المتعصب يستطيع أن يلتمس من التعدد الدليل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا ماطالعتنا به الاخبار الهندية بماقاله الرجل البوذى الذى اسلم حديثا وترك ماكان عليه قومه .

يقول " من دلائل النبوة للنبى محمد أنه تزوج تسعا ولم تشك واحدة منهن في تصرف من تصرفاته ، ومع أنه كان مشغولا بالفتوحات الا أنه كان عادلا بينهن ، ومع قيادته الرشيدة في الحروب فانه كان يميل الى السلم ، ومع كثرة المال الذى كان يأتيه فقد كان لا يبقى شيئا عنده ، وهذه قدرة فوق طاقة البشر لا يتحملها الا نبى يوائم بين أبياته عادلا وتشهد كل نسائه له بأنه على خلق عظيم ، فدل ذلك على أنه نبى اذ ليس في قدرة بشر أن يوائم بين سلوكه وكثرة ضيوفه وانشغاله بالحروب وانشغاله بالصدقات وهذا يكفى لمن قرأ سيرته المطره في الاعتقاد بأنه نبى " (١)

---

(١) زوجات النبى محمد صلى الله عليه وسلم وأسرار الحكمة في تعددهن ابراهيم الجمل . ص ١٤١ ، ١٤٢ .

الخاتمـــة

تضمنت نتائج البحث ومن أهم هذه النتائج مايلي :

أولا : حث الاسلام على الزواج والترغيب فيه وذلك لما يترتب عليه من آثار نافعه والتي منها سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي ، اذ بالزواج يسلم المجتمع من الانحلال ويأمن افرادها من الفساد الاجتماعي ، لأن غريزة الميل الى الجنس الآخر قد اشبعت بالزواج المشروع والطريق الحلال . وقد قال عليه الصلاة والسلام يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء" (١)

ثانيا : حرص الاسلام وعنايته بالمبادئ والاسس التي تكفل دعم الاسرة وصيانتها من الاضمحلال والانهيار وجعلها أسرة متماسكة متحابة اذ فرض لكل من الزوجين حقوقا وواجبات فمتى روعيت تلك الحقوق عاشت الاسرة الاسلامية في أرغد عيش وأهنأ حياة .

ثالثا : ان القوانين الوضعية غير صالحة فان صلحت لفترة من الزمن فسرعان ماتسقط وذلك لان واضعيها بشر ، ويؤيد هذا استحسان بعض الغربيين لبعض مبادئ الشريعة الاسلامية والتي من جملتها نظام الشريعة في التعدد .

---

(١) الحديث سبق تخريجه في الفصل الاول من الباب الاول .

رابعا : الصبر على المحن والمصائب عند نزولها والتوكل عليه سبحانه وتعالى وحمده عند انفراجها وهذا ماكن عليه امهات المؤمنين - رضوان الله عليهن - والصحابة والسلف الصالح .

خامسا : عدالة الشريعة الاسلامية في تطبيق احكامها على كل من قام بعمل أو خاض في قول أوجب عليه الحد وانها لا تنظر الى نسب الانسان وحسبه بل الناس في نظرها سواسية وليس أدل على ذلك من اقامة الحد على حمنة بنت جحش اخت السيدة زينب بنت جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سادسا : احترام امهات المؤمنين رضوان الله عليهن وتعظيمهن وتوقيرهن ولكن ينبغي علينا ان لا نجردهن من كل العواطف والمشاعر البشرية لان تجريدهن من كل ذلك ترسم لنا صورة غير واقعية فمن ثم لا نتبين من خلالها ملامحهن الانسانية الاصيلة وحينئذ تبقى شخوصهن في حسنا أقرب الى الاطياف التى لا تلمس ولا تتماسك في الايدى فلا نعود نتأسى أو نتأثر يأسا من امكان التشبه او الاقتداء بهن .

سابعا : ان الوحى الالهي والهدى المحمدى أراد من أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن أن يكن قدوة صالحة واسوة حسنة لجميع النساء المسلمات ومثلا بارزة في البر والتقوى والعلم والحكمة ومعالي الامور ومكارم الاخلاق من العفة والصيانة والامانة والديانة وأن يرجئن مايشتهين من الزينة والنعمة الى الدار الآخرة . قال تعالى " فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل" (١)

---

(١) سورة التوبة بعض آية رقم (٣٨) .

ثامنا : احترامه صلى الله عليه وسلم حيا ، وميتا وعدم ايذاءه ومن ايذاءه المحرم نكاح ازواجه من بعده .

تاسعا : الدفاع عن الحق وابطال الباطل ، وايضاح الحقائق التى يعمد اعداء الاسلام الى تشويهها لنصون بذلك كرامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذى شرفنا الله بالانتساب اليه واكرمنا باتباع هديه .

وفي الختام احمده سبحانه وتعالى الذى وفقنى على اتمام هذا البحث وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

المراجع

كتاب الله

١- القرآن الكريم . مطبعة شركة الطباعة العربية السعودية بالرياض .

كتب التفاسير

٢- تفسير الطبرى
للامام الكبير المحدث الشهير بأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى .
ت سنة ٣١٠ هـ . ١٣٩٨ - ١٩٧٨م ، دار الفكر بيروت .

٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .
لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى .
ت سنة ط ١ ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م ، دار الفكر .

٤- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معانى التنزيل
للامام العلامة علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى الصوفي
المعروفى بالخازن . ت سنة ٧٢٥ هـ ، دار المعرفة بيروت

٥- تفسير ابن كثير
للامام الحافظ عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن كثير القرشى
الدمشقى . ت سنة ٧٧٤ ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠م ، دار الفكر بيروت

٦- تفسير الجلالين
للعلامه جلال الدين محمد بن احمد المحلى . ت سنة ٨٦٤ هـ .
والشيخ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى . ت . ٩١١هـ ، دار مروان
ودار العربية .

٧ - تفسير القرطبي الجامع لاحكام القرآن
لابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ، دار الشعب بالقاهره .

٨- الفتوحات الالاهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية .
سليمان عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل . ت ١٢٠٤ هـ ، دار الفكر .

٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير .
محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت سنة ١٢٥٠ هـ ،دار المعرفة بيروت .

١٠- تاج التفاسير
للعلامة السيد محمد عثمان بن ابي بكر بن عبدالله الميرغني .
ت سنة ١٢٦٨ هـ ،١٣٩٩ هـ -١٩٧٩م ، دار المعرفة بيروت .

١١- التفسير الكبير
للامام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري ،١٣٩٨هـ -١٩٧٨م ، دار الفكر بيروت

١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
للعلامة ابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي ، ت سنة ١٢٧٠ هـ ،دار احياء التراث العربي بيروت

١٣- تفسير النسفي
للامام الجليل ابي البركات عبدالله بن احمد بن محمود النسفي ، دار احياء الكتب العربية .

١٤- تفسير المراغى
لصاحب الفضيلة احمد مصطفى المراغى ، ط ٣ ١٣٩٢ ، ١٩٧٤م ،
دار احياء التراث العربى .

١٥- التفسير الفريد للقرآن المجيد
محمد عبدالمنعم الجمال ، دار الكتاب الجديد

١٦- في ظلال القرآن
للسيد قطب ، ط ٥ ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م ، دار الشروق ببيروت

١٧- روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن
للشيخ محمد على الصابونى ، ط ١ ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢م ،
دار القرآن الكريم بالكويت .

١٨- مناهل العرفان في علوم القرآن
للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقانى ، دار احياء الكتب العربية

" كتب الاحاديث وشروحهـــا "

١٩- صحيح البخارى
للامام ابى عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة
بن بردزبة البخارى الجعفى . ت سنة ٢٥٦ ، دار الطباعة العامــرة
باستنبول .

٢٠- الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم
للامام ابى الحسين مسلم بن حجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى .
ت سنة ٢٦١ هـ ، دار الفكر بيروت .

٢١- سنن ابى داود
للامام الحافظ ابى داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى .
ت سنة ٢٧٥ هـ ، دار الفكر

٢٢- سنن ابن ماجه
للحافظ ابى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى . ت سنة ٢٧٥ هـ ،
دار الفكر بيروت .

٢٣- سنن الترمذى
للامام الحافظ ابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى .
ت سنة ٢٧٩ هـ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م دار الفكر بيروت .

٢٤- سنن النسائى بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الامام السندى
للامام الحافظ ابى عبدالرحمن احمد بن شعيب بن على بن بحر
ابن دينار النسائى . ت سنة ٣٠٣ هـ ، ط ١ ، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م
دار الفكر بيروت .

٢٥- سنن الدارقطنى
للامام على بن عمر الدارقطنى . ت سنة ٣٨٥ هـ ، دار المحاسن
بالقاهرة .

٢٦- السنن الكبرى
لامام المحدثين الحافظ ابى بكر احمد بن الحسين بن على البيهقي
ت سنة ٤٥٨ هـ ، دار الفكر .

٢٧- مسند الامام احمد

للامام احمد بن حنبل ، ت سنة ٢٤١ هـ

على المحدث الفاضل الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني ،

المكتب الاسلامي ودار صادر بيروت .

٢٨- المستدرك على الصحيحين

للحافظ امام المحدثين ابى عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم

النيسابورى ت سنة ٤٠٥ هـ ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، دار الفكر بيروت

٢٩- شرح النووى على صحيح مسلم

للامام النووى ، ط ٢ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م ، دار الفكر بيروت

٣٠- فتح البارى بشرح صحيح الامام البخارى

للامام الحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى . ت سنة ٨٥٢ هـ ،

١٣٨٠هـ ، المطبعة السلفية بالقاهره .

٣١- عمدة القارى شرح صحيح البخارى

للامام العلامة بدر الدين ابى محمد محمود بن احمد العينى .

ت سنة ٨٥٥هـ ، ادارة الطباعة المنيرية

٣٢- ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى

لابى العباس شهاب الدين احمد بن محمد القسطلانى . ت سنة ٩٢٣ هـ

ط ٦ ، ١٣٠٤هـ ، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق بمصر .

٣٣- عون المعبود شرح سنن ابى داود

للعلامة ابى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى ، ط ٦ ،

١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، المكتبة السلفية بالمدينة المنوره .

٣٤- الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل الشيباني مع مختصر شرحه بلوغ الاماني لاحمد عبدالرحمن البنا الشهير بالساعاتي ، دار الحديث بالقاهره

٣٥- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي
للامام الحافظ ابي العلى محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري.
ت سنة ١٣٥٣ هـ ، ط ٣ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، دار الفكر .

٣٦- التاج الجامع للأصول في احاديث الرسول
للشيخ منصور على ناصف ، ط ٤ ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، دار الفكر

* كتب الفقـــــه

٣٧- كتاب الفقه على المذاهب الاربعة
لعبد الرحمن الجزيري ، ١٩٦٩م ، دار احياء التراث العربي بيروت

٣٨- فقه السنة
للسيد سابق ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، دار الكتاب العربي بيروت

" كتب الأعلام والتراجم والسير "

٣٩- اسد الغابة في معرفة الصحابة
للامام عز الدين ابى الحسن على بن محمد بن عبد الكريم الجزرى المعروف بابن الأثير ت سنة ٦٣١ هـ ، المكتبة الاسلامية بطهران .

٤٠- الاصابة فى تمييز الصحابة
لشهاب الدين ابى الفضل احمد بن على بن حجر القسطلانى ، ط ١ ، ١٣٢٨ هـ ، مطبعة السعادة بمصر .

٤١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب
للفقيه الحافظ المحدث ابن عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ابن عاصم النمرى القرطبى المالكى . ت سنة ٤٦٣ هـ ، ط ١ ١٣٢٨ هـ ، مطبعة السعادة بمصر .

٤٢- صفة الصفوة
للامام جمال الدين ابى الفرج ابن الجوزى ، ت سنة ٥٩٧ هـ ، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ، دار المعرفة - بيروت .

٤٣- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين
للامام تقى الدين محمد بن احمد الحسنى الفاسى المكى . ت سنة ٨٣٢ هـ ، مكتبة السنة المحمدية بالقاهره .

٤٤- سمط النجوم العوالى في ابناء الأوائل والتوالى
لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامى المكى . ت سنة ١١١١ هـ ، ١٣٨٠ هـ ، المطبعة السلفية بالقاهره .

٤٥- سير اعلام النبلاء
للامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي . ت سنة ٧٤٨هـ
ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، موسسة الرسالة بيروت .

٤٦- اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام
لعمر رضا كحاله ، ط ٣، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م ، موسسة الرسالة .

٤٨- الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين .
لخير الدين الزركلي ، ط ٤، ١٩٧٩م ، دار العلم للملايين بيروت .

٤٨- تراجم سيدات بيت النبوة
للدكتورة بنت الشاطئ ، دار الكتاب العربي ببيروت .

٤٩- السيدة عائشة
لعبد الحميد طهماز ، ط ١ ، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ، دار القلم بيروت .

٥٠- الكاشف مع معرفة من له رواية في الكتب الستة
للامام الذهبي . ت سنة ٧٤٨ ، ط ١ ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ، دارالنصر

٥١- تهذيب التهذيب
للامام الحافظ ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط ١
١٣٢٥هـ ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد .

٥٢- تقريب التهذيب
للحافظ احمد بن على بن حجر العسقلانى ، ط ٢ ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م
دار المعرفة بيروت .

٥٣- خلاصة تذهيب الكمال
للامام العلامة الحافظ صفى الدين احمد بن عبدالله الخزرجى الانصارى
ط ١ ، ١٣٢٢هـ ، المطبعة الخيرية .

٥٤- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في اسماء الرجال
لمحمود عبدالوهاب فايز ، تصحيح محمود غانم غيث ، ١٣٩٢هـ -
١٩٧٢م ، مطبعة الفجالة الجديدة .

٥٥- تاريخ الطبرى
لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ت سنة ٣١٠ هـ ، طبعة دار
المعارف ج ٠ م ٠ ع ٠

٥٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
للحافظ ابى نعيم احمد بن عبدالله الاصفهانى ت سنة ٤٣٠ ، دار
الفكر .

٥٧- البداية والنهاية
للحافظ ابن كثير ، ط ٢ ١٩٧٧م ، مكتبة المعارف بيروت .

٥٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

للحافظ نور الدين على بن ابى بكر الهيثمى ت سنة ٨٠٧ هـ ،
الطبعة الثانية ١٩٦٧م ، دار الكتاب بيروت .

٥٩- الطبقات الكبرى

لابن سعد ، دار صادر بيروت

٦٠- السيرة النبوية

لابى محمد عبد الملك بن هشام ، دار الجيل بمصر .

٦١- عيون الأثر في فنون المغازى والشمائل والسير

لابن سيد الناس ، ط ٢ ١٩٧٤م ، دار الجيل بيروت .
الطبعة الثانية ١٩٧٤م ، دار الجيل بيروت .

٦٢- انساب الأشراف

لاحمد بن يحى المعروف بالبلاذرى ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله
١٩٥٩ هـ ، دار المعارف بمصر .

٦٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب

للمؤرخ الفقيه الأديب ابى الفلاح عبد الحلي ابن العماد الحنبلى ،
ت سنة ١٠٨٩هـ ، دار الآفاق الجديدة بيروت

٦٤- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية

لاحمد بن محمد بن ابى بكر الخطيب القسطلانى ، دار الكتب العلمية .

٦٥- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية
للامام محمد عبدالباقي الزرقاني ، ط ٢ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م ،
دار المعرفة بيروت .

٦٦- خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم
لمحمد أبو زهرة ، ط ١ ١٩٧٣م ، دار الفكر بيروت .

٦٧- السيرة العطرة محمد خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم
للمستشار عبدالعزيز خير الدين ، ط ١ ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩م ، دار
الفكر بيروت .

٦٨- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة
للدكتور محمد محمد أبوشهبه

٦٩- عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم
لمحمد عطيه الابراشي ، عيسى البابي الحلبي بمصر .

٧٠- عين اليقين في سيرة سيد المرسلين
لمحمد سيد كيلاني ، ط ٢ ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، دار المعرفة بيروت

٧١- فقه السيرة
لمحمد الغزالي ، ١٩٧٦م ، دار الكتب الحديثة بمصر .

٧٢- محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمحمد رضا ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، دار الكتب العلمية بيروت .

" كتب الثقافة العامـــة "

٧٣- عصمة الانبياء والرد على الشبه الموجهة اليهم
للدكتور محمد أبو النور الحديدى ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، مطبعـــة الامانة بمصر

٧٤- حقوق النساء في الاسلام
لمحمد رشيد رضا ، المكتب الاسلامى ببيروت

٧٥- الاحوال الشخصية في الشريعة الاسلامية فقها وقضاء
لعبد العزيز عامر ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، دار الفكر العربى

٧٦- الاسرة في الاسلام عرض عام لنظام الاسرة في ضوء الكتاب والسنة .
للدكتور مصطفى عبد الواحد ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م ، مكتبـــة المتنبى بالقاهرة .

٧٧- نظام الاسرة وحل مشكلاتها في ضوء الاسلام
للدكتور عبد الرحمن الصابونى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م ، دار الفكر ببيروت

٧٨- زوجات النبى الطاهرات وحكمة تعددهن
لمحمد محمود الصواف ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م ، موسسة الرسالـــة ببيروت .

٧٩- زوجات النبى محمد صلى الله عليه وسلم واسرار الحكمة في تعددهن
لابراهيم محمد حسن الجمل ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٨٠- الى الدين الفطرى الابدى
لسماحة العلامة ابو النصر مبشر الطرازى الحسينى ، المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة .

"كتب المعاجم"

٨١- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم
لمحمد فؤاد عبدالباقى ، دار الفكر بيروت .

٨٢- المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى
رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين ونشره الدكتور . أى . ى . ونسنك ١٩٣٦م ، مكتبة بريل بمدينة ليدن .

٨٣- مختار الصحاح
للامام محمد بن ابى بكر بن عبدالقادر الرازى ، دار الفكر بيروت .

٨٤- تاج العروس من جواهر القاموس
للامام اللغوى محب الدين ابى الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الواسطى الزبيدى ، الطبعة الاولى ١٣٠٦هـ ، المطبعة الخيريه بمصر .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعـــات

الموضـــــوع	الصفحـــــه
شكر وتقدير	
المقدمة	١ - ٦
الباب الاول	٧ - ٥٦
الفصل الاول - نظرة الاسلام على الزواج	٧ - ٣٢
الفصل الثاني - تعدد الزوجات في الاسلام بوجه عام	٣٣ - ٤١
الفصل الثالث - تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم على الخصوص	٤١ - ٥٦
الباب الثاني	٥٧ - ٢٣٠
الفصل الاول - السيدة خديجة بنت خويلد	٥٨ - ٨١
الفصل الثاني - السيدة سودة بنت زمعة	٨٢ - ٨٩
الفصل الثالث - السيدة عائشة بنت ابى بكر	٩٠ - ١٤١
الفصل الرابع - السيدة حفصة بنت عمر	١٤٢ - ١٥٥
الفصل الخامس - السيدة زينب بنت خزيمة	١٥٦ - ١٥٩
الفصل السادس - السيدة أم سلمة بنت ابى أميــة	١٦٠ - ١٧٦
الفصل السابع - السيدة زينب بنت جحش	١٧٧ - ١٨٧
الفصل الثامن - السيدة جويرية بنت الحارث	١٨٨ - ١٩٦
الفصل التاسع - السيدة صفيه بنت حيي بن أخطب	١٩٧ - ٢١١
الفصل العاشر - السيدة رملة بنت ابى سفيان	٢١٢ - ٢٢١
الفصل الحادى عشر - السيدة ميمونة بنت الحارث	٢٢٢ - ٢٣٠

الباب الثالث ٢٣١ -

الفصل الاول - قصة شرب العسل في بيت احدى
الزوجات وقصة تحريم ماريه على نفسه ٢٣١-٢٤٠

الفصل الثانى - طلب امهات المؤمنين التوسعة ٢٤١-٢٧١
عليهن في النفقة واعتزالهن شهرا ونزول آيتى التخيير

الفصل الثالث - ماأثير حول زواجه صلى الله عليه وسلم ٢٧٢-٢٨٦
بزينب بنت جحش ، وما أثير حول تعدد زوجاته عموماً .

الخاتمة ٢٨٧-٢٨٩

المراجع ٢٩٠-٣٠٣

* * *